

الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب والكنيسة

الروايات الأوروبية اللاتينية والافريقية

الملاحم

١ - نشيد رولاند

٢ - رتشارد قلب الأسد

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤١٤ - ١٩٩٣

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

كلما تعمق الباحث في ميادين تاريخ الحروب الصليبية ، يجد نفسه وسط مجموعة هائلة من الأسئلة التي تحتاج الى اجابات موثقة ، ويبقى على رأس الأسئلة: ما هو سر الاستجابة الشعبية الهائل للنداء الذي اطلقه البابا اوربان الثاني؟ ما الذي حرك مئات الالوف من الاوربيين للزحف نحو الشرق وتحمل مخاطر الحملة؟ ثم ما سبب الحقد المرعب الذي حمله افراد الحملة الاولى تجاه المسلمين في المشرق الى حد انهم لم يكتفوا بإبانتهم بل اكلوا لحومهم بعد قتلهم؟.

لقد عرف التاريخ عددا من موجات هجرات الشعوب ، وجلها كانت هجرات شعوب بدوية ، لكن ان يهجر الناس مدنهم وقراهم ويرحلون نحو الشرق باسم الحج وتخليص الأماكن المقدسة من ايدي المسلمين فهذه ظاهرة فريدة من نوعها تحتاج الى البحث عن اسبابها البعيدة والقريبة.

وعبثا يحاول المرء ان يجد الاجابات الكاملة المقنعة في الروايات عن تعذيب الحجاج ، او في ازيمات نظام الاقطاع الاوربي وتراكماته ، يضاف الى هذا ان الحديث عن الرغبات في توحيد الكريستين الشرقية والغربية لا يقنع ، لاسيما ان ايا من زعماء الحملة الاولى لم يثر هذا الموضوع مع اركان الكنيسة الارثوذكسية او مع الامبراطور البيزنطي. هذا وإن الحديث عن دور الدول الايطالية والاهداف الاقتصادية سيكون متأخرا يرتبط بما حدث بعد

الحملة الثالثة ، وتبقى المسألة ليست معلقة بما إرادته البابا اوربان الثاني او غيره لكن بالاستجابة الشعبية الهائلة لنداء الزحف نحو المشرق.

وعندي ان افراد الحملة الاولى عندما اكلوا لحوم العرب المسلمين فعلوا برغبة الانتقام والتشفي وليس بسبب الجوع والحاجة الى الطعام ، فما سر هذا الحقد الدفين لدى الاوربيين ، ومتى وكيف تكون؟

من المؤسف ان المصادر التاريخية لاتحمل الاجابة ، لكنها تساعد على رسم الاجواء التي عاشها الغربيون منذ القرن الثامن للميلاد حتى اواخر القرن الحادي عشر.

المجتمع الاوربي كان مغلقا الى حد بعيد ، شغلت فيه الكنيسة الدور القيادي الموجه مثلما شغلت دور مقر الثروة والثقافة والقيادة الشعبية ، واذا ما عدنا الى اخبار نشاط الفتوحات العربية في اوربا الغربية نجدها استهدفت الكنائس والاديرة ، وذلك في كثير من الحالات.

ومع هذا لانجد في مدونات الكنائس والاديرة ما نبحت عنه من اجابات ، اننا نجد ذلك في الملاحم الشعبية ، فالشعوب الصانعة الفعلية للتاريخ عبرت ان ارادتها ورغباتها وتصوراتها لاحداث التاريخ وعن مشاعر العدا او الصداقة من خلال الملاحم الشعبية ، وكتب التاريخ ، وإن لم تزل من بعض المادة عن الجماهير ، هي بالاصل سجلات لأعمال القادة والحكام.

وفوائد الملاحم كبيرة وكذلك عيوبها ، فالملاحم لاتتقيد بالتاريخ بدقة ولا تعطي الزمن قيمة كبيرة ، ولعل مرد ذلك ان التغييرات التي تنال الشعوب بعمق هي دوما بطيئة الحركة لاتتوافق ولا تتماشى مع التغييرات السياسية.

ولا يجوز لأي باحث تجاهل الملاحم والتمنع عن التعامل معها ،
لوجودها ولأنه لسوء الحظ لم يتوفر للجماهير من يؤرخ لها جماعة
أو فردا فردا ، وكان على رأس الملاحم التنسي اسمته في صياغة
الرأي الجماهيري العام في غربي أوروبا تجاه الاسلام والمسلمين ،
وذلك بشكل عدواني رهيب فيه روح التعصب والانتقام : ملحمة
نشيد رولاند .

ولن اتحدث عن محتويات هذه الملحمة فقد جاء هذا في مقدمة
الترجمة ، ولقد بحثت عن نظير لهذه الملحمة في أوروبا الشرقية فلم
أجد ، وتعاملت مطولا مع ملحمة « دايجيس اكريتس » فلم أجدها
تفني بالفرض.

ومع نشيد رولاند قدمت ملحمة رتشارد قلب الاسد ، لقوة
الترايط ، ولأن شعراء هذه الملحمة ساروا على الطريق الذي عبده
شعراء نشيد رولاند وتفوقوا عليهم تعصبا.

وأنه لا مثير للدهشة ان نجد صورة الاسلام والمسلمين لدى
شعوب أوروبا الغربية كما هي مرسومة في الملاحم ، على قرب أوروبا
الغربية من الاندلس وصقلية ، واعظم اثاره واشد غرابة استمرار
هذه الصورة مع الجهالة بعد مضي قرن على قيام الحروب الصليبية ،
فهذا ما نراه لدى وليم الصوري وسواه من كتاب الغرب
المسيحي - لابل حتى عند الشرقيين - ومرد هذا ان جل الكتاب هم
من رجال الكنيسة ، ورجال الدين لا يرغبون دوما في تغيير قناعاتهم
الموروثة وتصوراتهم ، وهم ابعد الناس عن استخدام المحاكمة
العقلية الصحيحة ، وهم في أوروبا مثلوا الثقافة والعقيدة ووجهوا
الجماهير وقادوها ، وقد يساعد هذا على تفهم جذور اسباب بعض
الحركات الاصلاحية التي استهدفت تدمير الكنيسة.

ومما لا ريب فيه ان الحروب الصليبية اثرت على أوروبا الغربية
والكنيسة فيها ، ومع ان أوروبا هزمت في نهاية هذه الحروب عسكريا

في المشرق لكنها كانت قد حققت انتصارات هائلة في الغرب ، لانها استعارت الخبرة الحضارية العربية لاسيما في مجالات التعامل مع العقل ، وبذلك اتيح لها ملكة المستقبل ، لكن وقتها فقد العرب المستقبل لانهم منذ ايام الحروب الصليبية شرعوا بالتخلي عن العقل تدريجيا ، فالجند الغرباء وقفوا دوما ضد العقل وكذلك شجعهم جل الذين تحالفوا معهم من رجال الدين ، فضلا عن ان التصوف كان قد تحول من حركة تفكر الى استسلام وغيبيات وطقوس غناء وطعام ورقص جنوبي

سيعثر القارئ العربي على كنوز من صور المشاعر في ملحمتي نشيد رولاند ورتشارد قلب الاسد ، واملي عظيم في ان يساعد هذا على دراسة اوفى لظاهرة الحروب الصليبية ، والله الموفق للسداد وهو من وراء القصد ، له الحمد والشكر - والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القاهرة ٢٦ / ١١ / ١٩٩٤

سهيل زكار

نشيد رولاند

مدخل

الشعر :

جاء في سنة ٧٧٧ وفد يمثل أمراء مسلمين من الأندلس الى الامبراطور شارلمان لطلب مساعدته ضد واحد من أعدائهم ، الذي كان أيضا مسلما مثلهم ، وكان شارلمان مشغولا بالحرب ضد الاسكسون ، ومع هذا تقبل دعوتهم ، وبعد تركيزه بعض الحاميات لتقوية حدوده زحف الى الأندلس ومعه جميع قواته التي توفرت له ، وقد قسم جيشه الى قسمين ، قام قسم منهما بعبور جبال البرانس الشرقية باتجاه جرنده ، وعبر الآخر تحت قيادته جبال البرانس البشكنسية (الباسك) وأخذ اتجاه بمبيلونا ، وسقطت المدينتان والتقى الجيشان واتحدا معا أمام سرقةسطة التي حاصرها بدون نجاح ، وأرغمت تجدد أعمال القتال في بلاد الاسكسون شارلمان على التخلي عن حملته الأندلسية ، وفيما هو راجع يعبر جبال البرانس هوجمت ساقة جيشه من قبل طائفة متآمرة من البشكنس الذين كانوا قد زرعوا عدة كمائن على طرفي الامر الواقع بين الشعاب الجبلية الكثيفة الأشجار ، واستغل هؤلاء تعرجات الأرض وخفة أسلحتهم فاذقضوا على جنود الساقة فقتلواهم حتى آخر رجل ، ونهبوا قطار الأمتعة والمعدات ثم اختفوا تحت جناح الظلام ، وختم المؤرخ ايكنهارد الذي روى هذه الحادثة التاريخية المحزنة في كتابه « حياة شارلمان » الذي كتبه حوالي سنة ٨٣٠ م ، ختم حديثه بقوله : « وقتل في هذه الواقعة ايغهارد حاجب الملك ، وأنسلم كونت القصر ، وروланд دوق تخوم بريتاني مع أعداد أخرى كبيرة » ، وزودتنا مخطوطة أخرى من القرن التاسع حوت بالشعر اللاتيني ماكتب عن وفاة الحاجب ايغهارد ، بتاريخ المعركة بأنه كان ١٥ - آب ٧٧٨ ، وجرى ذكر هذه الواقعة مجددا

في سنة ٨٤٠ من قبل مؤرخ آخر ، كان قد قام أولا باختصار الرواية المعطاة في كتاب « حياة شارلمان » ثم أضاف : « بما أن أسماء الذين سقطوا مدونة على السجلات لأجد حاجة لأعادة ذكرهم في روايتي »

واختفت بعد هذا حكاية روزسيفو لمدة تقارب المائتي سنة ، وعندما ظهرت ثانية الى الوجود كانت قد مرت بعمليات تحول كانت بلاشك ستدهشنا لولا أننا رأينا الشيء نفسه يقع في حكاية حروب الملك آرثر ، فقد فعل سحر الاسطورة فعلة وتضخمت الحوادث التاريخية الصغيرة حتى غدت ملحمة واسعة ذات أجزاء بطولية وأهمية عقائدية عالية ، فشارلمان الذي كان في الثامنة والثلاثين من عمره أيام الحملة الى الاندلس ، أصبح الآن شخصية عالية التقديس ، له مائتي سنة من العمر ، ملك لحيته بيضاء كالثلج ، انه الامبراطور المقدس ، بطل المسيحية والمحامي عنها ضد المسلمين ، وأمير الحرب الذي امتدت أعماله التوسعية فعمت العالم المتمدن ، وغدت الحملة حدثا رئيسا في الصراع بين الهلال والصليب ، وتحول المغيرون البشكنس وتعاضم حجمهم وباتوا الآن عبارة عن جيش عملاق ضم آلاف مؤلفة من المسلمين ، واختفى اسم كل من ايغهارد وأنسلم من الساقة وبقي رولاند ، وبات الآن ابن أخت الامبراطور « والساعد الايمن له » وأعظم المحاربين في العالم يمتلك قوى خارقة وطاقات ، وهو بطل انجازاته الرائعة لاتعد ولا تحصى ، ويرافقه أولفر صديقه الحميم مع عشرة آخرين من الأتراب ، وهي عصبة مختارة من الفرسان الذين لا يوجد من يباريهم شجاعة ، انهم نخبة فرسان فرنسا ، وظل الكمين الذي ساقهم الى الموت نتيجة عمل خياني من الجانب الفرنجي ، غير انه أصبح الآن قد كشف الغطاء عن أنه كان مؤامرة دبرها الملك مارسليون المسلم والكونت غاندلون وهو نبيل فرنسي ، كان زوجا لام رولاند ، وكان الهدف الكامل من المؤامرة تدمير رولاند نفسه وأترابه ، ونشأت المؤامرة وتأسست نتيجة للغيرة الحقوية التي شعر بها غاندلون تجاه ابن زوجته ، وقد صيغت روايتها بشعور

درامي وشعور أخلاقي مع زوائد سيكولوجية ، يمكن أن تمتن عملية مقارنة مع دسائس ايغو المشوهة ، وباختصار بدأنامع كارثة عسكرية من النوع العادي ، ولها أهمية صغيرة الى حد ما ، وحصلنا بشكل ما خلال قرنين من الزمن على ملحمة درامية رائعة ، لقد وصلنا الى نشيد رولاند .

وحسب معلوماتنا يبدو أن الشعر وصل الى شكله النهائي مع نهاية القرن الحادي عشر ، وليس من الصعب رؤية السبب الذي جعل الأسطورة تأخذ الشكل الذي أخذته ، وأيضا لماذا كانت شعبية في هذه الآونة ، فقد أصبح الخطر الاسلامي على المسيحية مزعبا مع نهاية القرن العاشر ، وقاد الى عدد من الحملات ضد مسلمي الأندلس مما كانت دوافعه بكل تأكيد دوافع دينية ، وفي الوقت نفسه أخذت سلسلة من الأقايصيص البطولية والأشعار تطرح بالتداول على طول مختلف طرق التجارة ، وسبل الحجاج في اوروبا ، وهي أقايصيص ارتبطت بأسماء بعض الأبطال المحليين وتعاليشت مع المدن الهامة والأديرة المنتشرة على كل طريق ، وقاد طريق الحج الى معبد القديس جيمس الهام في كومبوستيلا الى الممر نفسه الذي عبرته ساقه جيش شارلمان وعانت فيه ما عانت ، فما الذي يمكن أن يكون أفضل موائمة للرحالة من أن يتعاليشوا ويتسلوا بالنصوص التي تمجد المأساة المحلية ، زد على هذا لقد كان القرن العاشر هو القرن الذي شهد ذروة ازدهار النظام الاقطاعي وتطور قاذون الفروسية الذي ربط التابع بروابط أداء خدمات دينية لسيده ، وبالاخلاص نحو أتباعه ، وأخيرا ألهب التبشير بالحملة الصليبية المسيحية كلها بحماس منقطع النظير لممارسة الحرب المقدسة ضد المؤمنين برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ولدينا القليل من البيانات الخارجية حول نشيد رولاند وكما هي قائمة الآن يبدو أنها تتوافق مع البيانات الداخلية (المتعلقة باللغة ، والأعراف الاقطاعية والأسلحة ، والمحاكمات ، وربطت أسماء الشخصيات التاريخية بشكل خاطيء بأسطورة شارلمان

ومسحت كل ما بدا معلومات أصلية عن المسلمين وبلادهم) التي أخذت أماكنها في نشيد رولاند - كما هو لدينا الآن - بعد وقت قليل من الحملة الصليبية الأولى ، واقد قلت كما هو لدينا الآن لأن اسطورة رولاند لا بد وقد وجدت في وقت أبكر بكثير ، وقد افترض شاعرنا وتصور لدى شروعه بحكاية قصته أن جمهور المستمعين كانوا يعرفون كل شيء حول شارلمان وأترابه وحول صداقة رولاند أولفر ، وحول غانلون ، وكان مثله مثل هومر يحكي حكاية موجودة في قلوب الرجال وذاكرتهم ، والأمر الذي لم يستطع الباحثون تتبعه بعد هو المراحل التي حول التاريخ فيها نفسه الى أقاصيص ، والأقاصيص الى ملحمة ، ولا بد أن رولاند دوق تخوم بريتاني كان شخصية هامة ، لكننا لانملك المزيد من الاماعات التاريخية حوله ، فلماذا وقع الاختيار عليه ليشغل دور البطل في الملحمة وتم اقضاء الآخرين الذين قاتلوا وقتلوا معه ؟ كيف تبدلت الحكاية وتحولت وبأي شكل ؟ أناشيد شعبية ؟ الأغاني ذات النوعية الملحمية البدائية ؟ نحن لانعرف وكل ما يمكننا فعله هو الارتكاء على العبارة الغامضة لكن المفيدة : « تقاليد شفوية » ، وأن نشير اذا شئنا الى كتاب السير موريس بورا الرائع الذي حمل عنوان « شعر البطولة » الذي أظهر كيف أنه يمكن بسرعة وبشكل غريب ، حتى في هذه الأيام في أجزاء من أوروبا الوسطى ، أن يتلى تاريخ هذه الأيام ليكون ملحمة للغد ، وشيء واحد مؤكد هو أن نشيد رولاند القائم بين أيدينا ليس تصنيفا عابرا لمجموعة من القصص الشعبية ، إنه عمل قام عن سابق تصميم ، وهو قطعة فنية رائعة ، ذات شكل واحد ، وراءها عقل بناء ، ساق جميع أحداثها وسماتها وفق نظام واضح ومتوازن بشكل جميل على العموم .

ولنترك بسرور الى العلماء النقاش حول الأصول ، فعملنا مرتبط بالشعر نفسه ، فنشيد رولاند ، يعد واحدا من أقدم الملاحم الفرنسية التي تعرف باسم « أناشيد الأعمال » وأكثرها شهرة ، وأعظمها مكانة ، وباختصار في الملحمة مايزيد على أربعة آلاف بيت من الشعر ، وهذا يعني أنها بدون شك ثروة أدبية

كبيرة ، لكنها ليست أدبا بالمرّة ، ويمكن لقوتها بالذات وبساطتها ومظهرها غير الفني أن تخدعنا وتجعلنا نراها أنها ليست بدائية فقط (وهي حقا كذلك) ولكنها فجّة أو بالحري ساذجة ، لكنها ليست حقا كذلك ، ففي تصميمها توازن نبيل بين الأجزاء ، وإذا ما سايرناها فقرة فقرة وبخنا إلى مشاهد المعارك نجد تحت السطر براعة سيكولوجية ذات أخلاق وحركة ، وهذا كله قد ترك لنا لنكتشفه ، فقد كان الشاعر يذشد ويغني إلى جمهور مزيج بشكل واسع ، جمهور يطلب قصة سريعة مثيرة فيها الكثير من الأفعال ، وهو لم يمتلك الوقت ليهدره في سبيل تحليل أدبي طويل على طريقة هنري جيمس أو ماريسيل براوست .

إن أسلوب الملحمة في الحقيقة أشبه ما يكون بأسلوب الدراما ، يدخل كل واحد من الممثلين فيتكلم ويمثل وفق دور مسرحي مرسوم وتعليقات من القصاص ، وذلك من وقت لآخر كدعوى من التوجيهات المسرحية في إخبارنا أن ذلك الانسان « متسرع » وذلك الآخر « عاقل » وتلك الحالة كذا وذلك الأمر كيت ، أو فلان « حزين أو » غاضب » أو « لديه اعتبارات مأكرة للذي سيوله » ، لكن في الجزء الأعظم علينا أن نراقب وأن نصغي وأن نستخرج لأنفسنا المحرضات التي حركت الممثلين ، والعلاقات فيما بينهم ، ونادرا ما أرينا ما فكروا به أو أخبرنا حول ذلك ، مما ليس له علاقة مؤكدة مع الدور ، وهناك بعض النقاط التي لم توضح أبدا ، وهكذا لم نخبر عن السبب الأصلي للنزاع بين رولاند وزوج أمه ، وفقط في نهاية الملحمة يلمح غاندلون بأن « رولاند أخطأ بحقه في المال والأموال » وتركنا نخمن ماهي طبيعة الحكاية الأصل وكانت معروفة بشكل جيد من قبل الجمهور ، أو أن مسألة الغيرة بين ابن الزوجة وزوج الأم ، وهي أمور مطروحة في التقاليد الشعبية ، اتخذت أساسا لحكاية النزاع ، لكننا في الحقيقة لانحتاج لمعرفة هذه التفاصيل ، فالوضع العام جعل واضحا لنا بما فيه الكفاية من خلال الكلمات الأولى التي تفوه بها رولاند وغاندلون ، وفي الحقيقة إن مشاهد افتتاحية الملحمة هي نموذج لما سيكون العرض

عليه ، وتخبّرنا القصيدة الأولى باختصار بصورة الوضع العسكري ، وبدأ مشهد مجلس مارسليون بالعمل ليرينا بأن المسلمين جاهزين للقيام بأي عمل تأمري ، ويعرض مشهد مجلس شارلمان الكبير كافة الممثلين الرئيسيين في الجانب المسيحي ، ومع عرض سريع موجز يتضمن بشكل مؤكد الخطوط العريضة لسماتهم وأوضاعهم بالنسبة لبعضهم بعضا : فشارلمان هو في الوقت نفسه رجل حذر وحاسم ، وروланд شجاع الى حد التهور ، سهل الاثارة ، متعجرف مع سذاجة ادعاءات بطل ملحمي ، فهو مخلص ، وواثق من نفسه ومذفتح مثل النهار ، وكان أولافر مثله شجاعا ، لكن متعقل وحكيم ومدرّك لنقاط الضعف لدى صديقه ، وأما الدوق نايمون ، فكان عجوزا حكيما في مشاوراته ، وأيضا توربين ، رئيس الاساقفة المقاتل ، مع تقديراته للآخرين ومسحة من الدعابة الحادة ، ولم يكن غانلون جبانا كما برهن مؤخرا في الملمحة ، وقد دعمت نصيحته في ابرام الصلح من قبل جميع رفاقه ، ولكن لسوء الحظ كان عليه بعدما أظهر رولاند ان اقتراح البعثة خطير ولا يمكن الوثوق بمارسليون ، ان يضرب ضربته بالحال ويعلن عن تطوعه ، فقد ترك الآخرين يتقادمون عليه ، وعارض شارلمان الذهاب ، وبذلك أظهر انه كان أيضا مدركا للمخاطر ويتشكك بمارسليون ، ثم سمى رولاند غانلون ، وعندما صدر هذا عنه ، حملت الامور رائحة شيء من التحدي ، ولم يعترض شارلمان على برهان غانلون الغاضب في انه يقدره اقل من تقديره لنايمون أو توربين وأقل من رولاند أو أي واحد من الاتباع الاثني عشر ، وجاءت ردات فعل غانلون من موقفه الصعب بالحال عبثا بقوله : « هذه مؤامرة للتخلص مني » وأما رولاند (المؤكد تماما انه لم يحمل أية فكرة من هذا القبيل في ذهنه البسيط) فقد انفجر ضاحكا ، وهذا أنهاها ، واستبد الغضب والارغام والغيرة والانتقام للاهانة العامة على شخصية هي بالأصل غير مستقرة عاطفيا ، وسقط فريسة لأحزانه الشخصية ، ورأى نفسه قد جرح وأهين ، وتملكته رغبة شديدة بضرورة التخلص من رولاند بأي ثمن دون اقامة اعتبار للأشرف والواجب ، وبدون اهتمام مطلق

بالنتائج ، وقد أوجد القرن الثاني عشر كلمة لوصف غاذلون هي « الهلوسة وانفصام الشخصية ، ولم يعرف شاعر القرن الحادي عشر هذه الكلمة ، ومع هذا وصف الحالة بكل صدق وأمانة ».

وما هو مثير للاهتمام ودرامي في منهج الشاعر هو الطريقة التي أظهر بها الحقيقة كاملة حول غاذلون ، فهي قد ظهرت مع مسيرة القصة تدريجيا ، فقد تركنا معلقين حوله ، ولم نكن في البداية متأكدين فيما اذا كان رجلا شجاعا أو جبانا ، وعندما رفض في حركة انفعالية عالية أن يسمح لحاشيته في مرافقته الى سرقسطة قائلا : « الأفضل أن أذهب وحيدا ، لأن أذبح خيرة الرجال معي » أخذنا وقتها كلماته على ظاهرها ، ولم يخطر ببالنا أنه لم يرغب بوجود شهود على المؤامرة الخيانية التي كان يحيكها ، وفي الحقيقة شهر سيفه فقط ، بعدما قام عن سابق تصميم بتحريض المسلمين حتى وصلوا الى حد الانفجار « وأسند ظهره الى جزع شجرة صنوبر » عندها نلاحظ أنه كان بعيدا عن الجبن ، وأنه هادئ الأعصاب ومقامر صعب ، جاهز ليخاطر بحياته في اللعبة الخطيرة التي كان يلعبها ، حتى عندما قدم للمحاكمة بقي متحديا وبكل جلد وهدوء أقر بخيانه مع دعاوى مسوغة بقذفه بالتهم ضد رولاند ، ولم تتخل عنه أعصابه - أن كانت قد تزلت - الا في اللحظة الأخيرة عندما لم يعد رأسه ويداه تخدمانه ، وهنا صرخ لقرينه بينابل قائلا : « أطلع اليك لتخرجني من هذا كله » لقد توفرت شارة لعجزه لكن ليس أكثر ، وبديهي أن تهمة الأولى ضد رولاند قامت على حق : فـ رولاند متسرع ، مثير للخصام ، أرعن ، وسلوكه تجاه زوج أمه يوحي أن الكراهية لم تكن كلها من جانب واحد ، والقصة التي حكاها غاذلون الى بلانكاندريين (الأبيات ٣٨٣ - ٣٨٨) حول رولاند وعجرفته وسوء تصرفه مع التفاحة هي إما سمة مخترعة أو حقيقة ، وليس فيها شيئا غير ممكن ، ولا شك أن تقرير غاذلون العدوانى حول رسالة شارلمان (الأبيات ٤٣٥ ، ٤٣٩) بعيد كل البعد عن الصدق ، لكن

يمكن - بحدود ما نعرف - أنه عبر بصدق عما اعتقده غاذلون أنه نوايا شارلمان ومقاصده ، وحتى التفصيل الزائدة (البيتان ٤٧٤ - ٤٧٥) المختصرة يمكن أن تكون « توقعات ذكية مسبقة » وبناء عليه نعطي غاذلون هنا مزية وأسبقية الشك ، لكنه عندما عاد الى معسكر الامبراطور وبين اخفاقه في احضار الخليفة كرهينة (الايات ٦٨١ - ٦٩١) من خلال خطة مرسومة وبيان أوضاع نعرف أنها كذب من الاول الى الآخر ، عندها نعرف اين نحن ، ولانميل بعد هذا الى تصديق قصة الدفاحة ، أو أية تهمة صدرت عن غاذلون ، أو أية كلمة قالها .

ومثل هذا ، من الممكن حتى أن نعجب خلال مشهد الاجتماع والمشاهد مع بلانكاندريين ومارسليون ، دقة غاذلون وغيرته وحرارته في اخلاصه للامبراطور ، وكان ما أعلنه هذا التابع لدى مديحه لسيده : اذا لم يكن شيء ما سيء جدا بالنسبة لروланд مامن شيء سيكون طيب جدا لشارلمان ، ولكن عندما حيكت المؤامرة ، وكانت قيد التنفيذ ، وفيما هو راكب عائدا الى بلاده برفقة شارلمان سمعا صوتا ظن أنه لن يسمعه ثانية ، لقد كان نعيق بدوق رولاند ، وهنا قال شارلمان : « اسمع ان رجالنا يحاربون » وأجابه غاذلون بوقاحة لانظير لها : « لو أن أحدا غيرك قال هذا ، لكان كاذبا ، وعندما اصر الامبراطور انفجرت الوقاحة تقول بدون اعتبار :

لقد تقدمت بك السذون ، وشعرك شاب وابيض
وعندما تتحدث هكذا تتكلم وكأنك طفل

ليس فيه لايمان ولاصدق ولاأدب ، لأن عقله كله وشجاعته تعفنت ثم تعفنت ، ومع هذا لم يكن هكذا دوما ، فقد كان قد كسب حب رجاله ، وعده الفرنسيون بارونا نبيلًا ، ولا بد أن بعض الخير توفر بالرجل قبل أن تجرفه حرارة الغيرة وتلتهمه :

انتصب أمام الملك الكونت غاذلون
بجسم رشيق ولون نقي
وبدا سيدا جيدا ، أو لم يكن هذا زيفا
هكذا وصفه الشاعر بايجاز ثم تركه

ورسمت صورة شارلمان وصنعت من خلال عدد من الاقاصيص
وسمات لاتعد ولا تحصى عزيت الى شخصيته بحكم انه الامبراطور
المقدس ، فالقداسة الامبراطورية هي وأعمالها تسلمها شارلمان عبر
الامبراطور قسطنطين ومن خلال الامبراطور جستنيان ، تسلمها
كامبراطور الغرب ، وبه بقيت ، ولشارلمان من العمر مالا يمكن عد
سنيه ، أو بالحري هو العمر كله والوقت جميعه ، لأن ولده وابن
أخته من الشباب ، ولحيته البيضاء الكثة وقوته لم تتأثرا « بمائتي
سنة أو أكثر » وهما مثلان علويان ورمزان للأبوة ، فهو خليفة
الرب على الأرض ، ووالد المسيحية كلها ، وهو النموذج الأرضي
للأيام الخوالي ، واليه تتحدث الملائكة وتعطيه القوى العلوية من
عليين وتظله .

ونستخر . من تحت هذه الشخصية العظيمة ، التي هي أعظم
بحجمها من الحياة شخصية أخرى هي صورة الحاكم الدنيوي
المثالي : العادل والحكيم والعظيم والمؤمن ، ولقد بذل الشاعر
ما أمكنه من جهد بالنسبة لشارلمان ليرسم لنا تصور العصور
الوسيطة المبكرة لما ينبغي أن ندعوه في أيامنا هذه
الملك « الدستوري » فهو لم يكن « متسرعا بالاجابة » وما كان
ليقوم بشيء الا بعد الاصفاء الى آراء مستشاريه ، وقد امتدك - كما
يبدو - الحق في الاعتراض على أي اقتراح قبل عرضه على
التصويت ، وما أن ينال الاقتراح الموافقة الجماعية لمجالس
المستشارين حتى يرتبط بذلك القرار ، سواء أوافق عليه شخصا
أم لم يوافق ، وفي هذا كان بكل عناية على عكس مارسليون الملك
المسلم ، الذي قاد بذاته معظم مناقشاته ، وامتنع عند بعض النقاط
بكل صعوبة عن رمي خنجره نحو رسول من الرسل الذي كان

عندما يستدعي مجلس مستشارية يفعل ذلك الذي قال انه سيفعله ، ورأى بعض الكتاب أن سلوك شارلمان الدستوري دليل على الضعف لكنني لا أرى أن ذلك ما عناه الشاعر مطلقا ، فهو قد بدا وهو يعد ذلك صحيحا جدا بالنسبة لسلوك الملك ، مع أننا قد يساورنا الشك حول الحدود التي عكست حقيقة سلوك أي ملك في الفترة الاقطاعية ، وتقرب الصورة المقدمة من حالة الملك الانكليزي في يومنا هذا ، الذي يعطي موافقته على القرار بعد مروره بصورة قانونية على مجلسي العموم واللوردات ، هو يمكن أن يراه غير حكيم ، لكنه لن يحجب لهذا السبب الموافقة ويمتنع عن توقيعه.

ومجددا يقوم تحت هذا كله السمات الشخصية لشارلمان : قدراته السلطوية ، وأدبه ، وشجاعته ، وقوته ، وعمق مشاعره الدينية ، وصداقته مع نايمون ، ومشاعره الحارة تجاه ابن اخته وأترابه مع جميع « الشباب العزابة » الذين دعاهم « بأبنائه » واعتاد ان يركب فرسه وأن يقاتل بين باروناته بمثابة البارون الأكبر بينهم جميعا .

وهنا أيضا ، علينا كما رأى أن نلاحظ وجود نقطة ضعف به ، وذلك عندما غلبه الحزن لدى موت رولاند ، الى حد أنه فقد وعيه وسقط فوق جثته ، وحتى أنه احتاج الى مساندة باروناته ليتمكن من النهوض وهو يتفوه بكلمات الندب والبكاء ، لقد كانت هناك طرائق ل اظهار المشاعر كما لكل شيء ، ففكرة أن الرجل القوي ينبغي ان تكون ردات فعله تجاه المصائب الشخصية والوطنية بظهور بعض التأثير على شفتيه ، وبرمييه بكل هدوء وصمت بسيكارته في قلب موقد النيران هي فكرة ذات أصل حديث ، وبالنسبة لمعايير العصر الاقطاعي كان مسلك شارلمان صحيحا تماما الصحة ، فقدان الصواب ، والبكاء والنحيب هو ما كان يستدعيه الحال ، وقد حذا جميع الفرسان والبارونات المحتشدين بشكل علني حذوه ، وبكوا وانتحبوا وندبوا مثلما فعل :

شهو مئات الالوف من الفرانسيين حزنا
وما من واحد منهم إلا وبكى وعلا صوته بالنحيب
وفي نهاية هذا الفصل :
ومزق لحيته التي كانت بيضاء كالثلج
واقطع من رأسه شعره الأبيض من الجذور
ومئات الالوف من الفرانسيين انتحبوا مثله وأكثر

ويمكن ان نأخذ هذه الاستجابة على أنها طقوسية
وشعرية ، فالحزن مثل كل شيء في الملحمة تم عرضه بشكل مكشوف
أكثر مما نفع نحن الآن ، ليس هناك من سبب لكي نفترض أنهم
تدربوا على فقدان الوعي بعيدا عن الناس ، وهذه الحركة كانت
تلاقي القبول منهم ، فهذا ما كانوا يرغبون رؤية الناس يقومون
به ، ففي كل عصر يحتفظ لنا الفن بالنموذج المحتذى
بالسلوك ، وهو ما تسعى الحياة الحقيقية لتأكيد به كل ما
يمكن ، ولا يمكننا أن نستخلص من بكاء شارلمان وسقوطه مغشيا
عليه أية محصلات حول أخلاقه ، باستثناء أن الشاعر قدمه كمثال
نموذجي حول اظهار الرجل لشاعره ، وفقا لمعايير أساسيس تلك
الفترة .

ولدى مقارنة أخلاق رولاند وسماته ببراعة ودهاء غانلون ، نجده
بسيطا في ذاته ، متسرعا ، متعجرفا وكريما ، يكره الأخطاء
ويفضحها ، مخلص ، وانفعالي ، متفرد بتفكيره ، إنه حمل جميع
السمات التي أحبها الرجال في قائدهم وتعلقوا بها مع صورة البطل
الرومانسية المقدمة للجمهور ، ولم يكن لديه أدنى مكر ، وكانت
عقول الناس الآخرين بالنسبة له كتابا مغلقا ، ففي البداية رفض أن
يصدق خيانة غانلون ، وعندما تمت مواجهته بالحقيقة ، كل ما
استطاع القيام به هو أنه افترض أن الجريمة قد اقترفت من « أجل
الذهب » وفي الحقيقة لم يفهم مطلقا السبب الذي جعل أوفر غاضبا
منه ، ولم يقدر أبدا القدر الذي اسهم فيه كبرياؤه وحماقته في مأساة
رونسيفو ، لقد امتلك سذاجة أخيل وغروره ، مما سيدمر الحملة

- ٤٩٠ -

وذلك من أجل الكبرياء الذاتي ، ولكنه كان انسانا أكثر لطفا من أخيل ، فهو لم يشمت قط أو حمل حقدا ، وقد تحمل انتقادات أولفر بطبع هادئ لطيف ، وكان تحت « جديته المتطرفة » تسامح حقيقي في القلب ، وبساطة كبساطة الأطفال في الحب والاخلاص : للرب وللإمبراطور ، ولأصدقائه ، ولرجالهم ، ولفرسه ، ولدورندال سيفه الطيب ، ومشهد موته مثير بشكل غريب

ولكن الصورة التي تبقى أكثر إشراقا معنا هي صورة الشاب المسرور الذي لا يقهر فما من ملحمة تضرب على هذا الوتر بمثل هذا الوضوح :

مضى رولاند خلال بوابات اسبانيا عابرا على ظهر فرسه
نحو فيلانتف ساق فرسه مسرعا
وكان هو الذي مضى شاكي السلاح
مضى بشجاعة يهز رمحه عاليا
نحو السماء رفع سنان رمحه بعيدا
وربط على قناته ريشة بيضاء كالحرير
وكانت حوافها تلامس يده عند المقبض
وسار مرافقه خلفه مجدين
وأعلن الفرنسيون جميعا أنه حاميتهم
والقى نحو المسلمين نظرة كبرياء
لكن ما ألقاه نحو رجال فرنسا كان لطيفا ناعما
فإليهم تحدث دوما من قلب ودود

وهكذا ساق داخلا الى ذلك العالم المنظف حديثا ، ذي الشمس الواضحة

والألوان البراقة التي ندعوها العصور الوسطى (مع أنها كانت في عمرها الوسيط) لكن لعلها امتلكت حقا أكثر من صيف النهضة المتفجر الذي سيدعى بعصر الولاية الجديدة ، إنه عالم مليء

بالدماء ، والحزن ، والموت ، والوحشية العارية ، ولكن أيضا عالم العواصف الصريحة ، والبساطة البريئة ، والطافح بالذقة بالنفس ، إنه عالم فئتنا الاتصال به كلية الى حد التورط في استخدام كلمات « اقطاع » أو « عصور وسطى » كمجرد عناوين لظلام دامس ، وأي انسان يرى بارقة ضوء في ذلك العالم يتعرض للاتهام بمرض رومانسيه الحنين الى العصر الذهبي الذي لم يوجد قط ، لكن شخصية رولاند تقف هناك لتكذبنا : فقد كان في عصر الشباب كما رأى ذلك العصر نفسه ، وبالمقارنة معه إن مفامري الفضاء والاطفال اللامعين في أيامنا ، ليسوا أقل من الرجال القساة الاشداء في ملحمة من عصور النهضة ، يبدو أنها ولدت وسيطة العمر .

« كان رولاند حادا وكان أولفر عاقلا » وكان أولفر رفيق رولاند ، نشأ وتربى معه ، ووفقا لتقاليد وممارسات تلك الايام شاركه أعماله وتدريباته ، كما أظهر بعضا من طباع الهدوء والصمت ، والعناد التي هي سمات عامة توجب تقليبها تدويرها في « صديق البطل » وكانت الحكمة بمعنى الممارسة العقلانية ثمينة لكن لم تكن للعرض

أو ربما سمة محبوبة جدا ، فلقد كانت حياة ماري استيورات التاريخية المساوية ، وليست حياة اليزابيث تيودور الحذرة والماهرة ، هي التي ألهمت طريقها خلال صفحات الاناشيد الشعبية والرومانسيات ، وكان أولفر عسكري أكثر اقنا من رولاند وأعظم اهتماما وتمسكا بالمستلزمات العسكرية منه بسـمـمـته الشخصية ، فقد كان يعتلي الهضاب قبل المعركة ليستطلع أوضاع الاعداء ويعرف أعدائهم وأوضاعهم ، وهو عمل بالنسبة لمعايير أناشيد الاعمال نادرا ما عد من أعمال السانة ، وكان حين يجد الأمور شاذة وغير معقولة كان يحرض رولاند على طلب المساعدة ، وهو أمر كان البطل يراه مما يحط بكبريائه ، وكان يمضي عابسا وواجما الى عمل كان يعرف مسبقا أنه غير

- ٤٠٩٢ -

ممکن ، وكان لا يرعى الامور الخيالية ولم يكن رومانسيا ليشعر
بالسرور عندما يعرف ان « انسانا ما اقترف خطأ » ، فهو لم يكن
وضعه مشرقا مثل وضع رولاند ، فقد كان قادرا على المثابرة
بالرفض ، وعندما يتبرهن ان ما حذر منه بنات صحيحا ، كان
يخاطب رولاند قائلا بأسف : « لقد اخبرتك بذلك » .

يارفيق انت الذي وضعتنا في هذا الارياك
هناك شجاع حكيم وهناك مهمل
الحكمة أسوأ بكثير من الحماسة
فمن خلال تعقلك ابك الآن على الفرذسيين المدمرين
إننا لن نكون ثانية قادرين على خدمة شارلمان
لو انك أصغيت قليلا لما قلته
لجاء مولاي ومضت المعركة على خير ما يرام
وكان الملك مارسليون هو الآن أسيرا أو قتيلا
إن شجاعتك يارولاند لعنة على رؤوسنا

هذا صحيح جدا ، وليس من الكرم أن تمسح الامور هكذا في
ساعة المأساة ، ولعل الذي بات طبيعيا هو أن تقع المسؤولية تحت
نير اللامسؤولية ، وذلك مهما كانت ذكية وعبرت عما في نفسها
هكذا ، وعلى كل حال إن عددا كبيرا من النساء المتزوجات
سيتعاطفن مع أولفر .

وكان له كبرياؤه ، وقد غضب ، وانزعج وتألم ، عندما قرر
رولاند بعد طول انتظار استدعاء شارلمان وذلك بعدما رأى أن قوات
المؤخرة التي تحت امرته قد نقص عددها من العشرين ألفا الى ستة
الاف رجل فقال له : « عندما طلبت منك فعل ذلك ، لم تستجب ، ولو
انك فعلت لما خسرت اليوم ولا نقضت رجالنا ، وأن تفعل ذلك الآن
(يعني عندما لم يبق أحد للانقاذ غيرنا) سيكون عارا ، وتدخل
رئيس الاساقفة بقوله : صحيح أنه لا يمكن انقاذ أي انسان
الآن ، إن لشارلمان القدرة على الانتقام لهم ، وأن يدفنهم بشكل

مسيحي لائق ، وخضع أولفر لهذه المناقشة الرائعة بصمت ، فقد كان هناك بالفعل رئيس أساقفة للرايمز اسمه تليبيدوس وذلك في نهاية القرن الثامن ، ولكن لعل صورته في الشعر تدن كثيرا للخيال أكثر منها للحقائق ، وهذا لا يعني مطلقا أنها صورة غير ممكنة ، فرجال الدين المقادون عرفوا بشكل جيد في التاريخ المسيحي ، ولكن من المؤكد أن توربين كان بطلا متميزا بشجاعته وبجاذبيته الشخصية ، وقد عامله الشاعر بتدشريف خاص ، فقد أعطي مكانا متميزا في الهجوم الأول الذي قام به المسلمون وذلك بعد كل من رولاند وأولفر مباشرة (البيت ١٢٤٣ وما يليه) وأعطى في الهجوم الثاني شرف « افتتاح المعركة » (البيت ١٤٨٧) وكان هو آخر من ترك ليوقف الى جانب رولاند عندما كان البقية قد قتلوا ، ولقد انتمى توربين الى عصر كان - عندما كتب نثسيد رولاند - قد شارف على الانتهاء ، وهو عصر عاش فيه الراهب العلماني قريبا جدا من الراهب الديني ، وفي فترة متأخرة إن اشارة توربين الناقدة لحياة الرهبنة (الأبيات ١٨٨٠ - ١٨٨٢) قد جاءت غريبة جدا بخروجها من شفتي رئيس الأساقفة ، وكما علق مارك بلوخ « يبدو أن الاصلاح الغريغوري لم يكن قد وصل بعد الى شاعرنا » ومع هذا عندما صرخ الفردي : « حسنا هل يدافع عنا اسقفنا بصولجانه » (أو بحرفية أكثر « بالنسبة لرئيس أساقفتنا صولجانه قوي للانقاذ ») وقد حملت الكلمات معنى مزدوجا ، أي أن توربين كان مع كل سماته القتالية ومؤملاته ، رجل كنيسة صالح وكاهنا جيدا ، فقد كان عاقلا في مشاوراته ، ففي منطق قوي طيب وبلطف ، لكن مع سلطة قوية ، تمكن من اجمال الخصام بين رولاند وأولفر ، وجاء خطابه الى العسكر نمودجا للشجاعة والتقوى البسيطة ، وقد تحمل واجباته الكهنوتية بجدية ، وكان آخر عمل قام به قبل أن يموت هو محاولة بطولية لمساعدة انسان آخر ، وهناك لمسة خاصة في بكاء رولاند عليه ونديه له :

انت يا طبيب الذكر رجل جيد وفارس نبيل
إنني أعهد بك الآن الى رب القدرة

- ٤٠٩٤ -

فهو لن يجد عبدا أكثر طاعة منك
فمنذ أيام الرسل لم يكن هناك نبي مثلك
في الحفاظ على العقيدة وكسب الرجال
أرجو الا تلاقى روحك أي عائق في تحليلها
ولتفتح أبواب السماء لاستقبالك

ولعل هذا هو المكان المناسب لنتحدث فيه عن الروح المسيحية
لشعر المحمة ، فهذه المحمة ليست مسيحية في موضوعها
فقط ، إنها مسيحية في كل مفصل من مفاصلها ، ومامن مكان آخر
جرت تحته مجاري العقائد القديمة ثم نبعت على السطح على شكل
مسيحي كما حدث هنا ، وليس هناك خوارق غير الخوارق
المسيحية ، وهدف هذا التأثير فقط (بحكم كونه مسيحيا صرفا)
على عقول الرجال وأعمالهم وليس لتقديم آلية حركية
للقصة ، والمسيحية هنا هي المسيحية البسيطة غاية البساطة
والمعقبة كثيرا حسبما هي موجودة في أبسط القرى وفي
الكنائس ، ورجال العذف هؤلاء في أعمالهم قد تمت دعوتهم للوفاء
بواجبهم تجاه إيمانهم وتجاه الامبراطور ، وسيؤخذون عندما
يموتون ليستلقون على فرش من الورود بين - بشكل غريب ولكنه
موائم - الأبرياء المقدسين ، وسيسكنون الفردوس مع الرب
وملائكته ، وسيصلون وقتها للرب نفسه مباشرة ، دون تدخل
القديسين ، وكما أرى دون تدخل أم الرب ، فالمسألة باتت على
درجة عالية من البساطة .

والبساطة لا تعني الجهالة أبدا ، ويبدو أن الشاعر لم يكن راهبا
أو منتظما بالسلك الكهنوتي لاحدى التنظيمات الكبرى ، كان
قسيسا فقط يملك ما يكفي من معرفته بالكتابات المقدسة وآداب
الكنيسة وعقيدته صحيحة كما هو واضح من خلال عمله ، ولكنه
كان مثله مثل غالبية معاصريه المسيحيين يمتلك أفكارا غامضة حول
ديانة المسلمين ، وهكذا كان المسلمون بالنسبة له مجرد (بينميز)
(أي كفار) ولذلك كانوا (بالحري) وثنيين كانوا يعبدون مثلثا

جهنميا كون بشكل غريب عجيب من مهوند (محمد صلى الله عليه وسلم) وتيرماغانت (شخصية عامية ذات أصل مجهول) وبشكل غير متوقع مطلقا - أبولو الذي مسخ في مجريات الحوادث الى « أبوليون الشيطان الاحمق » الذي اعتدنا على معرفته من خلال « تطور الحج » وحملت نصب هذه « الالهة المزيفة » أمام الجيوش الاسلامية وتمت عبادتها بوساطة الجثو على الركب ، وعندما تنزل مصيبة بالكفار ، تراهم يغضبون ويتصرفون بطريقة وحشية مجذونة ، وعقيدة (يعني شريعة) « مهوند وتيرماغانت » موجودة في كتاب ، وهنا لا نعرف حقا فيما إذا كان الشاعر قد عرف بوجود القرآن ، أو أنه افترض فقط على أساس شروح الكتاب المقدس - أن كل بيانة لا بد أن يكون لها كتاب مقدس من نوع ما (وكان هذا الجهل متبادلا ، ويمكن أن يرى من قبل أي انسان يحرص على معرفة الروايات عن العبادات المسيحية والعبادات حسبما عرضت جزئيا في ألف ليلة وليلة) .

وجرت محاولات لطيفة لتفريق العادات الشرقية عن العادات الغربية ، فمارسيلون ملك الكفار اعتاد على عقد مجلس مستشارية وهم مضجعون على المرافق أو الدواوين ، في حين جلس شارلمان منصبا على مقعد (كرسي أو عرش) ، وانحصر استخدام رمي الحراب وبقيّة أنواع الأسلحة المقدوفة بالجيوش المسلمة ، ويوحى حصار سرقةسطة أن الشاعر حمل في ذهنه صورة المدن الاسلامية ذات الاسوار العظيمة في الأندلس ، حيث كان فن التحصين متقدما كثيرا على نظيره في شمالي أوروبا ، ولعل من المهم أيضا معرفة ان الأمير باليغانت قد وعد عساكره ليس بالغنائم فقط ولكن « بالنساء الشقراوات » وذلك جزاء على شجاعتهم ، ومهما يك من أمر كان المجتمع الاسلامي بشكل عام - سواء أكان في حالة مواجهة للمجتمع الغربي أم لا - يتسم بسمات بناء المجتمع الاقطاعي نفسها ، كما أن الشاعر المسيحي لم يكن غير كريم نحو الاعداء ، فصحيح أن مارسيلون كان مخادعا واميرا مطلق السلطات بالمقارنة مع ملكية شارلمان « الدسستورية » لكنه كان

شجاعا ، وكانت الشجاعة الشخصية متوفرة على كلا الجانبين ، ومع أن عدداً من الأبطال المسلمين اتهموا بالخداع وبالتأمر الرهيب المرتبط بالشياطين والسحر ، إنهم لم يستخدموا قط بشكل غير صحيح الأعمال العسكرية المؤيدة بالسحر ، وكان كل شيء صحيحاً ، والقتال نظيفاً ، ولم تكن شخصية صلاح الدين العظيمة الفروسية قد قامت بعد لتجذب الإعجاب الفرنجي ، لكن سمعة المقاتل المسلم انتصبت عالية وكانت محط إعجاب غير مشوب

جاء من بالاغويت أمير
شكله شكل نبيل ، عيناه شجاعتان وذقيتان
وعندما يمتطي ظهر حصانه للقيام بمهمة
يحملة بشجاعة شاكي السلاح للمعركة
وكانت شجاعته معروفة من القريب والبعيد
وهو وإن لم يكن مسيحياً ظهر بمظهر فارس صحيح

ولم يتم التغلب على زولاند واتباعه بالعقد المتفوق ، بل واجهوا
عدواً كان كفئاً لسلاحه وجديراً به ، وهذا يعني من بعض الجوانب
أنه لا يمكن صياغة ملحمة حول صراع حيث جميع السمات البطولية
موجودة فيه في جانب واحد

وجاء وصف مشاهد المعركة مزوداً بما لا يحصى عنه من
المقدمات ، ومن وجهة نظرنا بتطويل ممل ، لكن علينا أن نتذكر أن
الأعمال الحربية وفنون القتال كانت بالنسبة لشعب العصور
الوسطى أكثر من مجرد دعوة تسلية ، لقد كانت أعظم الأعمال
الرياضية وأهمها تمتع الشعب بتفاصيل القتال ، وبإحصاء وعد
مختلف المقاتلين الذين اشتركوا بأعمال القتال مثلما نتمتع في أيامنا
هذه في سماع التعليقات المذاعة حول مباراة رياضية أو تصفية
نهائية لكأس ما ، وذلك مع إعطاء ملاحظات حول حياة كل واحد من
اللاعبين .

وتمت الأعمال القتالية كلها من على ظهور الخيل ، وجرى استخدام السلاحان النيبلان فقط وهما الرمح والسييف ، ولم يرد ذكر للرجالة ، أو للنبالة الذي شغلوا دورا هاما في معركة هيسنغ ، وجاء هذا من بعض الجوانب ليتواءم مع صياغة الملحمة ، ولكنه كان صحيحا تاريخيا من جانب آخر ، في أنه في تلك الفترة شغل هجوم الفرسان الدور الاعظم في المعركة ، وما من واحد من الفرقاء توفرت لديه رغبة قوية في اثقال اي جيش بأعداد كبيرة من المشاة ، لاسيما في البلدان الأجنبية حيث سرعة التحرك كانت اساسية ، عندما كان الأمر يتطلب قطع مسافات شاسعة عبر طرق قليلة وسيئة مع تسهيلات فقيرة للتقل والتزود بالمؤن.

أما بالنسبة لأعمال أصحاب المراتب والأفراد فإن مازونا به قليل ، وفيما عدا ذلك تبادل الفرنسيون والمسلمين الضربات أثناء اللقاء بشكل عام ، وتم التركيز في جميع الأماكن على المبارزات الشخصية بين القادة على كلا الجانبين ، وسنلاحظ هذا الشيء نفسه في الروايات التاريخية الجادة حول معارك العصور الوسطى ، وهذا ثانية لم يكن مجرد قانون ، ويظل الأدنى (كما يوننا بعض الكتاب أن نعتقد) هو اظهر الروح « غير الديموقراطية » أو عدم التقدير للإنسان العادي ، ولقد توفر سبب عملي جدا لهذا الحال ، ففي ظل النظام الاقطاعي كان على واحد من البارونات الكبار خدمة الملك في المعركة ، وأن يجلب معه كل ما يتوفر له من الاتباع المسلحين ، الذين جلب كل واحد منهم بدوره ما توفر له من الاتباع الأدنى الخاصين به ، وهكذا نزولا الى أدنى مستويات الطبقة ، وكان كل تابع مرتبطا بيمين الولاء نحو سيده وسيده فقط ، « طرأ استمرار حياتهم » ، ونتيجة لهذا اذا ما قتل سيد كبير في المعركة كان اتباعه يتحررون بشكل آلي من ولاءهم ، وكان بإمكانهم - وهذا ما فعله بعضهم - عدم متابعة القتال والا يأخذوا المزيد من الدور فيه ، ويطبق الشيء نفسه اذا ما وقع بالأسر أو هرب من ميدان المعركة ، فالاتباع وقتها يتركون بلا قائد وقد يميلون الى

التميز وعدم الاندماج بغيرهم ولهذا كان عظيم الأهمية ان يقود السيد رجاله ، وأن يقاتل باقدام ظاهر

وأن يجهد (بقدر الامكان) في أن لا يقتل أو أن يرجل من على ظهر حصانه ، حتى لا يبتعد أتباعه عن مشاهدته فيفقدون شجاعتهم ، ولهذا السبب أصر غانلون كل الاصرار أنه اذا ما أمكن التخلص من رولاند ، فإن زهرة الجيش الفرنسي ، الذين كان معظمهم من أتباع رولاند سيتفرقون ، وهذا هو السبب أنه عندما أصيب مارسليون بجراح وهرب ، نكص الجيش المسلم كله على أعقابه وهرب ، وحدث مثل هذا في المعركة النهائية الكبيرة حين جاء الامبراطور شارلمان والامير باليغانت ، سيد المسلمين جميعا ، للتقابل وجها لوجه ، وتعلقت نتيجة الحرب كلها على مبارزتهما ، وسقط باليغانت ، وهرب الجيش المسلم كله في تلك اللحظة من ميدان المعركة .

وحملت الملحمة اسم « نشيد رولاند » لكن النصف الاول منها هو الذي يتعامل مع انجازات رولاند نفسه ، فهو قد مات (البيت ٢٣٩٦) في نهاية وقفته الكبرى مع قوات المؤخرة ضد هجوم الملك مارسليون الغدار ، وتعلق القسم المتبقي من القصة بالانتقام الذي قام به شارلمان لموته ، ولما قتل الاحد عشر رجلا من الاتباع الآخرين والعشرين ألفا من الفرنسيين الذين قتلوا معهم ، وبالنسبة لمعايير تلك الأيام كانت الحكاية ستتترك غير كاملة بدون الانتقام ، وكان اسم شارلمان سيبقى تحت الرغام لأنه سمح لمقتل واحد من أتباعه أو أقربائه أن يعبر دون أن ينتقم له ، فذلك كان سيبقى شيئا مشينا ، لكن في الملحمة أمر اكبر من هذا ، هناك مسألة تتعلق بمجال الملحمة كله كملحمة وبعملها ، وبحق رولاند في أن يحمل لقب ملكيا .

عندما تعاملت أولا مع نشيد رولاند ، وكنت وقتها تلميذة جامعية ، تقبلت آنذاك الأحكام الرائجة وقتها والتي أطلقت على

الجزء الثاني من الملحمة ، فوقتها قال غوستاف لاندسون : « أنا لايمكنني شخصيا الا أن أضع نفسي الى جانب الذين يرون أن انتقام شارلمان من الأمير باليغانت والأمير مارسليون مجرد اضافات رخيصة صممت لمبيع العبت الوطني على حساب الشعر » ولدى قراءتي الملحمة مجددا بعد مضي أربعين سنة ، وذلك بقصد ترجمتها وجدت من المستحيل أن أضع نفسي الى جانب أولئك .

ويعود ماحدث خلال تلك الفترة لسبب واحد ، هوالتغيير والتحول من الفكرة الرومانسية حول طبيعة ومقصد الشعر الملحمي الى الفكرة الكلاسيكية ، فمع نهاية هذا القرن كانت ماتزال الاهتمامات تميل نحو التركيز بشكل ضيق على سحر التعاطف الشخصي واستغلال الأوضاع المثيرة ، فقد قامت سمعة الاليانة على أدوار هكتور وأندروماخ ، واللقاء بين بريام وأخيل ، ومثل هذا من « الجماليات » المنتقاه ، وثمنت الانبياء بسبب أحزان نيدو ، والكوميديا الالهية بسبب حادث باولو فرانسيسكا والرعب اللطيف لاغيليزو في برج المجاعة ، لكن الاطار الفكري الاوسع وهيكلته أن يغوص المرء في جسم الحكاية في سبيل انتقاء بعض اللقطات « الشعرية » راسخة في عقول عدد من مخرجي الافلام ، وهؤلاء الذين ينتجون نصوصا مصنعه من حكايات كلاسيكية ، أو يعرضون علينا هومر والكتاب المقدس بصورة ساخرة وتقنية عارية ، ومفيد لهؤلاء الذين يأسفون كثيرا بسبب آخر النتائج أن يتذكروا أن كثيرا من البذور المنحطة بامكانها الافتخار عاليا بأجدادها المحترمين ، لكن ماعاد بالامكان لدراسة نقدية جادة أن تتبنى الميول الرومانسية ، إن عليها القيام بدراسة الملحمة الشعرية ككل .

واذا ماقمنا الآن بتفحص رأي لاندسون في ضوء رولاند نفسه سنجد ان ماقام به بالفعل هو أنه تعامل مع الحقائق بالطريق المعكوس ، حيث أنه ليس القسم الثاني من الملحمة بل القسم الاول هو الذي صنع لتلبية العبت الوطني ، فقد تكونت قروات المؤخرة

المشهوره كليا من « رجال فرنسيين من فرنسا » وعندما سأل
مارسليون على من يعتمد شارلمان في انتصاراته العسكرية ، أجابه
غانلون : « على الفرنسيين » وكان الامبراطور في مجلسه « لا يصنع
شيئا الا بناء على نصيحة الفرنسيين » ، وقدمت لنا الحرب نفسها
في البداية على أنها صراع على السلطة بين « مسلمي
الانداس » و « مسيحي فرنسا » لكن من أجل هذا كله بشكل رئيس
بين اسبانيا وفرنسا ، وفقط بعدما سقط خيرة فرسان فرنسا
أمواتا في رونسيفو ، وهرب مارسليون الى سرقةسطة بعد اصابته
بجراح مميتة ، انبعث قائما خلف شخصيات الأبطال الفرنسيين
والملك الاسباني النصبان العملاقان للأمير والامبراطور ، للشرق
والغرب ، للاسلام والمسيحية ، ان العالم مفتوح أمام أعيننا ،
وبماكاننا أن ننظر عبر سرقةسطة إلى الاسكندرية ، لا بل الى بابل
الحكايات ، « فمن أربعين مملكة » جمع باليغانت قواته ، وحارب
بها ضد الفرنسيين ، فللمرة الأولى نرى « الفرنجة » ونسمع
بصوت جميع العالم المسيحي ، ففي المواجهة النهائية للمعركة
الكبرى الأخيرة التقى شارلمان وباليغانت وجها لوجه :

قال الامير : فكر يا شارلمان وانظر في
أن تعتذر الي من كل ما اقترفته بحق
لقد ذبح ابني وأعرف أن ذاك تم من قبلك
واقترفت الآثام على أراضي التي أخذتها
كن واحدا من رجالي وسأكون مولاك
ثم تعال واعمل في خدمتي من هنا الى الشرق
وقال شارلمان : لا ، أنا أعد ذلك خيانة
لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام
أمن أنت بما أوجاه الرب
اعتنق المسيحية وعندها سأكون صديقك الأول
وقال باليغانت : « طقوسك » ماهي الا دعوة مريضة
ومجددا حارب أحدهما الآخر

وتم أخيرا التفوة بالكلمة التي توجب التفوة بها منذ زمن بعيد : « لن أظهر لمسلم أننى حب أو سلام » ، ولا بد أنه تم التفوة بها في ذلك الاجتماع الأساوي الأول ، ولكن شارلمان مع أن عقله وضميره قد غفرا له ، استشار الفرزسيين ، واختار الفرزسيون - بعد اقناعهم من قبل نايمون وغانلون - السلام من أجل السلام ، وصحیح أن مارسليون قد وعد - اذا ما أزيل الخطر العسكري - أن يعتنق المسيحية ويقدم الولاء للإمبراطور ، لكن هل يمكن لرجل قادر على قتل السفراء ، أن يفی بمثل هذه الوعود خلال ثلاثة أشهر ، أو يعطي أننى قيمة لحياة رهائنه ؟ وكان شارلمان عندما سمع بالعرض للمرة الأولى ، ألمح أن لديه بعض الشكوك حول ما كان حقا في ذهن مارسليون ، لكن هذه النقطة لم تناقش أثناء الاجتماع ، وكان رولاند وحده المصمم على عدم الوثوق بالمسلم ولو لأش واحد ، فقد أراد استسلاما كاملا ، وفق شروط يفرضها المنتصر ، ولسوء الحظ أعطى الانطباع بشدة أنه أشار بالرأي الصواب من أجل سبب خاطيء ، وأنه أراد الحرب من أجل الحرب فقط ، وأخذت الدبلوماسية طريقها ، ونسي المسيحيون ، وكان هذا هو الذنب الذي سبب وقوع المأساة ، وتم التلاعب بالحكمة النبوية بشكل خياني من قبل غانلون ومارسليون ، وكان الثمن فقدان الرفاق الاثني عشرة مع العشرين ألفا من الفرزسيين ، وفي النهاية كان لابد من مواجهة النتائج ، وقبل كل شيء أرسل مارسليون رسولا الى معسكر الامبراطور يخبر أن باليغانت قد أبحر من الاسكندرية •

وهكذا حدثت الخطوط العظمى للمحنة نفسها ، هناك حرب خاصة نشبت داخل حرب وطنية ، والحرب الوطنية ثانية داخل حرب عالمية بين الصليب والهلل ، وقد هز الصراع الصغير في المركز الهيكل بأكمله ، وما فعله الشيطان كان من غير الممكن منع حدوثه ، وقضى الرب بقضائه الحق ، فكان أن قتل مارسليون وباليغانت ، وتم الاستيلاء على سرقة سطة وطلب من أهلها أن يختاروا بين الموت والتعميد ، وتحولت الملكة براميموند بكل

سلام ، لكن رولاند مات وأترابه ماتوا ، والحرب بين المؤمنين وغير المؤمنين مستمرة هناك بلا توقف ، وسأل مرسلون عن شارلمان قائلا : « انه رجل مسن ، ومتى سيتعب من الذهاب الى الحروب ؟ » وأجابه غانلون : « لن يتوقف مطلقا مادام رولاند حيا ومتى مات رولاند سنمتلك السلام » لكن ذلك كان كذبا ، صحيح انه بات مسنا ، لكنه يبذل كل ما أمكنه لتقديم المساعدة ، فضلا عن انه - أي شارلمان - ما يزال عبدا تابعا للمسيح ، ما انكف ي قول : « لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام » ولقد استدعاه الملك وأمره بالذهاب :

قلب شارلمان صغير حتى يتحمل أعباء السفر والقتال
وقال الملك : « يا الهي كم هي حياتي متعبة »
وبكى ثم ربط لحيته البيضاء المتطايرة
هنا نهاية سجل الأعمال

انتهت الملحمة مثلما انتهت الاليانة والايناد ، بمفتاح صغير ، ومع نهاية الانشاد لأرى أن هناك ما يمكن خشيته من عقد المقارنة .

وما أن فرغنا من رؤية البناء المنهجي للملحمة ، بات من الصعب أن نعد النصوص المتعلقة بشخصيته باليغانت « سجل حوادث » أو أن نعتبر قصة الانتقام « اضافة » ، وحتى اذا ما قدرنا الشعر فقط ، من أين سذقوم بالقطع ؟ بعد وفاة رولاند ؟ لكن كنا قد سمعنا لتونا صوت البوق وهو يجلس ، وصوت الذفير والأبواق الامبراطورية ، وبعد الانتقام من مارسليون هل نترك البكاء على رولاند ، أم نترك وفاة الدا ، أم ندع حكاية غانلون بلا نهاية ، هل نفعل ذلك فنخسر الكثير الكثير ؟ ولقد نسيت ، حتى قرأت الملحمة ثانية ، فعرفت كم هو جميل ، لابل كم هو مشرق النصف الثاني من نشيد رولاند ، فقد جعل الاسطول المسلم ، بمشاعله التي لاتعد ولا تحصى ، الليل جميلا وأضاء ساحل اسبانيا بطوله ، ولمع مثل

صاروخ ألعاب متلألئ الألوان ، وهناك صورة مارسليون وهو يموت وقد جالته العار ، يموت في مخدعه العالي والمقيت ، وهو يسلم قفازه واقطاعه الى باليغانت ، مضفيا عليه شرفا لم يتمتع به خلال حياته ، ثم هناك المباراة الأخيرة للمعركة الأخيرة عندما اشتبك هذان الشيخان المرعبان بالقتال يدا بيد ، ووقفت الأرض والسماء حابسة أنفاسها تنتظر النتيجة ، وهي لحظة يبدو أنها حدثت خارج الزمان ، لقد كانا عظيمان وقديمان بشكل خارق ولحيتهما « بيضاوتان مثل أي وربة على شوكة » وتلقى شارلمان لكمة كاد يسقط أرضا بسببها ، وأتاه صوت القديس جبرائيل فاستعاد وعيه واسترد قواه ، ذلك أن الصوت السماوي تتباين قوته عن صوت التقوى الخافت :

وقال : « ماأنت مقبل عليه أيها الملك العظيم ؟ »

وتوجد هنا قسوة حقيقية ، كان بإمكان القديس ثيراس أوف أفلا ملاحظتها ، وتبعث الأحداث بعضها بعضا بسرعة صحيحة ، وبدون اضاعة كلمة واحدة ، وذلك من الدخول الى سرقسطة ، الى الرحلة الجنائزية الى بلاني ، الى العودة الى أكس (آخن) الى وفاة ألد ، الى أعمال الاستئناف نهابا وأيابا أثناء الحاكمة ، الى المحنة بالقتال ، الى الاعدام المريع لغانلون ، كل ذلك مع المشهد الصغير اللطيف المتعلق بتعميد براميموند ، وسيكون من السهل عدم تدارك هذه السرعة بسبب التسارع ، سهل ، ولكنه مصطنع ، وهذا ما صنعناه مع أعمال الخصام الخاصة ، واللا حسم ولا قرار ، والتطور البطيء للنقاش والتأمر ، فالأحداث الآن ضربة من ضربات مطرقة الرب ، ولهذا وقعت مسرعة ، وهناك عيب عام امتاز به القصاص في العصور الوسطى هو عدم القدرة على توزيع فراغاتهم لتتواءم مع أوزانهم الشعرية ، لكن المهم أن يعرف المرء موضوع الحديث ، وهكذا فإن نشيد رولاند وأن كان قصيرا وبسيطا في أسلوبه قد حقق الوصول الى درجة ملحمة ، إنه ليس كتاب سيرة رومانسية ، بل شعر ملحمي عظيم حول موضوع عظيم .

وبين الملاحم الشعرية العظيمة في العالم لعل ملحمة رولاند هي
الامتز ، ليس في الموضوع فقط بل في المعالجة أيضا ، فالأسلوب
غير مزخرف كليا ، هناك تصريحات مباشرة ، وخطابات
مباشرة ، ونادرا ماتجد أصداء عامة ، كل ما هناك تجد هنا وهناك
خلاصات حكيمة تجمال الأوضاع أو تشير إلى المقاصد الخفية
والمعنوية .

عندما يعرف أنه لن يكون هناك أسرى
سيقاتل الرجال بكل شجاعة وسيتمسكون بصيدهم
الخيانة تدمر نفسها وتدمر الآخرين أيضا

ويوجد بين الأربعة آلاف بيت أقل من نصف دزينة من التشابيه
البلاغية ، وهذه التشابيه ليست مثل تشابيه هومر ، وهي لم تحكم
صنعها من أجل خاطرها ، بل لتعبر عن أشياء بديهية بأدنى الحدود
وأبسط الكلمات :

لم يكن الفهد أو الأسد حادا قط مثله
لحيته بيضاء مثل أي ورنه من ورود الربيع
ومثلما يهرب الغزال أمام كلب صيد الغزلان
أبدى المسلمون أعقابهم وهربوا أمام رولاند

وأعقبت أعمال المبارزة أحدهما الآخر ، مع قليل من محاولات
التدويع ، بل صدرت كلها عن الوصف نفسه ، الأبيات نفسها وكذلك
أنصاف الأبيات ، ولائحة الحشود نفسها ، والتعليقات نفسها من
البداية إلى النهاية ، فهذا ما يقتضيه بناء الملحمة ، ولذلك جميع
الأبطال شجعان وكل منهم مقادام ، طليت خوذاتهم
بالذهب ، مهورهم سريعة الجريان أسلحتهم متينة ، وسالت الدماء
على الأعشاب الخضراء ناصعة براقه ، وتم الإيحاء بهذا المشهد في
بيت أو بيتين :

الهضاب عالية والواديان عميقة مظلمة
الصخور مخيفة والشعاب عابسة مريجة
وكان النهار مشرقا وتلألا نور الشمس بوضوح

وقام في مواجهة، هذه الخلفية الأزرق والابيض والارجواني
والذهبي ، والاشرطة البراقة ، والترسة الملونة والمرصعة
بالكريستال البراق والمنسطح المقطوع باتقان مثل رمز خط على قطعة
من الرق ، واذا ماقررنا الا نجد أية متعة بل تجارب وتعقيدات
فالا فضل لنا أن نترك ملحمة رولاند وشأنها ، أنها تقدم لتوقعاتنا
المتداخلة أضيق الحلول وأشدها اختصارا : المسلمون على
خطأ ، والمسيحيون جميعا على صواب ، ومايهم هو الشجاعة
والاخلاص ، والوفاة النبيلة تاج حياة نبيلة .

وتغير الزمان ، وانهار البناء الاقطاعي العظيم ، وجاءت الثقافة
الجديدة من الشرق ، « وعلم بهجة » الحب من بروفانز ، وأعطت
القلعة مكانها للبلاط ، وحول قصاص الحكايات نفسه من القاعة
الصاخبة الى العزلة الهادئة ، وتبدلت الموسيقى الخشنة لروايات
الاعمال واضمحلت ، وتخلى السجع عن مكانه لصالح القافية ، أما
القصائد الطوال والكثيرة التكرار وذوات الاشكال والابنية غير
المحكمة فقد حل محلها المقطعات المقفاة المتدفقة بلا عوائق والرشيقة
بالوقت نفسه والنقية ، وتخلى شارلمان عن مكانه لصالح آرثر
البريطاني ، وقام مقام رولاند وأوفر فرسان الطاولة
المستديرة ، ثم عاود هؤلاء الظهور بعد قرون بمثابة الأبطال
الغامضين وغير الطبيعيين ، لشدة المبالغة ، لدى
بوياردو ، وأريستو ، ومع منتصف القرن الثاني عشر تغيبت
الملحمة وقام في مكانها الرومانسيات ، ونسيت الآن معظم أناشيد
الاعمال الا من قبل الباحثين ، ومن الذي مايزال يتذكر
اسماء : وليم دي اورانج ، وراؤول دي كامبراي ، وكواتر
فلزايمار ، وجيرارت دي فيين ، وحقل الساكانز ؟ قد يكونوا

قلة ، لكن مع ذلك ما يزال صوت بـوق رولاند يصدح خلال ممـر
رونـسيفو « يااللهـي كم هو محـزن صوت البوق في قلب الغابات »

٢ - الصورة الاقطاعية:

غالبا ما استخدمت عبارة « عصور وسطى » بشكل غير محدود لتغطي الفترة الممتدة من نهاية عصور الظلام (حوالي القرن التاسع) الى بداية عصر النهضة (حوالي القرن السادس عشر) ومن السهل أن نخرج بانطبـاع أن المجتمع الأوروبي بقي خلال تلك الفترة متشابهـا بعضه من بعض ، وكان كله منظما بشكل ماعلى أساس « النظام الاقطاعي » وهذه أليتنا القاذونية والاجتماعية حتى هذا اليوم ، لكن التنظيم الاقطاعي الاصيل كان قد بدأ بالتمزق في كل مكان تقريبا في حوالي القرن الحادي عشر ، (الوقت الذي دونت فيه ملحمة رولاند كتابة للمرة الاولى) ليتخلـى عن مواقعه لصالح نمط من الحكومات الأكثر مركزية في ظل التيجان التي تزايدت قوتها بشكل كبير ، ومع منتصف القرن الثاني عشر كان وجه المجتمع قد تبدل كليا ، فقد توفرت ثقافة جديدة وأدب جديد ، ومواثيق جديدة للعلاقة والسلوك بين الرجل والمرأة ، وأخلاق جديدة ، وعادات جديدة ، وأسلحة جديدة ، واهتمامات جديدة ، وتطورات جديدة في الكنيسة والقلعة ، والمعسكر والبلاط ، وان هذا ما نذكره بالعادة فيه عندما نسمع عبارة « العصور الوسطى » لأن القصة والصورة جعلتهم معروفين بالنسبة لنا ، لكن نشيد رولاند ينتمي الى قلب الفترة غير المتطورة ، وعندما جعل انعدام الأمن الكلي في الحياة من القوة المادية الضرورة التي هي أساسية لعدد كبير من الفضائل ، وكان الشغل الشاغل لكل بارون في أن يجعل من نفسه ملانا قويا للقاطنين على أرضه ، وبناء عليه جاءت البنية الاقطاعية حسبما ظهرت - بشكل غير مقصود التنظيم ، من الأوضاع السائدة ، بنية مجتمع منجذب بشكل دائم الى الأعمال الحربية ، وكانت أغانيه كلها تقريبا حكاياته حول المقاتلين الشجعان والأعمال البطولية في

المعركة ، وليس حول السيدات أو الافتتان ، أو مغامرات العالم الأخرى مثل رومانسيات الفرسان التي ستأخذ مكانهم ، وكان العالم الفرنسي أيام « أناشيد الأعمال » عالما للرجال بشكل واضح أكثر من عالم هومر ، أو عالم الحكايات الكلتية الشعبية ، أو حتى عالم الملاحم الاسكندنافية ، وأحيانا صدف بالفعل للمرأة أن صنعت ظهورا لنفسها ، أحيانا كما فعلت سيدة صلبة متماسكة مثل غيوبروك ، زوجة وليم أوف أورانج ، التي كانت قادرة على الاحتفاظ بقلعة زوجها أثناء غيابه ، وتمكنت أن تطبخ له أيضا وجبة عظيمة جدا لدى عودته من ميدان المعركة ، وأحيانا كضحية غير سعيدة لحظوظ الحرب ، مثل الحسناء أودي في نشيد رولاند ، وأحيانا مثل الملكة المسلمة براميموند ، التي كانت امرأة روحانية ، لكن بأفق ضيق لتدرك فيه إمكاناتها ، لكن لم تسلط أية انفعالات عاطفية قوية على هذه السمات الانثوية ، وكانت العلاقات التي تلامس شفاف القلب هي العلاقات التي تربط التابع بمولاه والمقاتل برفيقه بالسلاح وصديقه ، وكانت الروابط فيما بين الجذود الاتباع قوية دوما ، ووضحت قوتها الفارقة عندما سببت الحرب الغياب عن المنزل لسنوات في وقت لم تتوفر فيه الرسائل أو وسائل الاتصال ، وامتلكت العلاقة فيما بين رولاند وأوفرالبريق والعمق والاخلاص في روابط الحب ، لكن بدون سوء نية أو انفعال عاطفي حولها ، وبذل ذلك القرن جهده للتقليل من قيمة العلاقات البشرية الى حد أنه من الصعب ايجاد كلمة كافية وافية لوصف هذه العلاقات القوية من التعاطف والاعجاب والاخلاص بين رجلين ، ان كلمة « صداقة » صغيرة وليس فيها ما يكفي من حرارة ، وعبرة « عبادة متبادلة البطولة » هي صغيرة أيضا وجافة في نبرتها العالية

ولعل الشيء الأكثر اثارة بالنسبة لنا حولها هو ان نلاحظ أنه في الأحوال الجسدية والرسومية ، كانت عبارة التخاطب والتشريف الفربية في الحزن والسرور وفي الغضب والهيام ، وفي القتال والموت هو دوما « سيدي اللطيف » رفيقي

٣ - التابعة الاقطاعية :

قام البناء الاجتماعي في العصر الاقطاعي على التابعة ، ورسا هذا - في جميع مستويات اصوله - على رباط شخصي للخدمات المتبادلة والحماية بين السيد وتابعه ، وتأكد بقسم وبطوق اعطاء الولاء ، ووضع التابع يديه بين يدي السيد ، كما لو انهما يصليان معا ، وتعهد مقسما أن يكون رجله طوال حياتهما ، وكان بعد ذلك يقبل الاثنان بعضهما بعضا على الفم ، ومن الواضح أن كلا الدورين من الطوقس يرمزان الى المقايضة في العلاقات فهذا ماعبر عنه التشابك بالايدي والخضوع والقبلة المتبادلة ، ويتعهد التابع في أن يكون مخلصا لسيدته وأن يخدمه في مختلف الطرق والوسائل بما في ذلك (ما هو رئيس بالنسبة لموضوعنا هنا) واجب الحاق به الى الحرب مع أكبر عدد ممكن من الرجال المسلحين جرى اختيارهم من بين أتباعه ، وفق ماتوجب عليه تبعا لثروته ومرتبته ، وكان واجب السيد حماية تابعه في أثناء الحياة والانتقام له في حالة الموت ، وتحقيق العدل واقامته بينه وبين أتباعه ، والاحتفاظ به ومكافاته على خدماته ، وكان الاحتفاظ على نوعين : وكان التابع يؤخذ في النوع الاول الى مقر سكتي السيد ، حيث كان يسكن ، ويأكل ويلبس ويجهز بما يلزم على حساب السيد ، وشكل هذا النوع من الاتباع حاشية السيد وأهل بيته أو عزبته ، واحتفظوا بعلاقة شخصية خاصة معه ، وعرف النوع الآخر باسم « السكنية » حيث أعطي التابع مسكنا ، أي قطعة من الأرض ، كان من المتوقع أن ينفق على نفسه من دخلها ، ودعي تعداد الخدمات ، لاسيما تعدادها على شكل منح من الأرض باسم « إقطاع » وهي كلمة أعطت اسمها للنظام الاقطاعي ، وأصبحت مع مرور الوقت هذه الاقطاعات وراثية ، انما احتفظ بها في بداية الفترة الاقطاعية على شكل ايلاء ، وتبدل منح الاقطاع بمناولة اعطية مامام شهود ، وقد تكون هذه الاعطية صدكا مكتوبا ، وغالبا ماتكون بعض الاعشاب مع جذورها أو حزمة

حصاد ، أو (في حالة التعيين في مركز عسكري هام) عصا
صدولجانا و علم ونرى في مخطوطة ألمانية ملحمة رولاند صورة تمثل
شارلمان وهو يناول رولاند علما وذلك كأمانة على اقطاعه تخوم
اسبانيا ، ونلاحظ في نشيد رولاند أن الأمانة التي غالباً
مما استخدمت لمنح اقطاع أو تسليمة كانت
قفازاً . (الايات ٢٨٢٧ - ٢٨٣٩) .

٤ - العلامات والأمارات :

ولاشك أن مناقلة الأمانة المراثية كعلامة على تعيين أو
اتفاق ، مشهد قديم جداً ، ويبدو أنه كان لها مقصدان
اساسيان ، أولهما اظهارها كنية على السلطة المعهودة الى انسان
ما : « جئت ممن عند الملك ، هذا هو وختاتمة
(عصاه - علمه - قفازه - أو أي شيء آخر) كبرهان على
ذلك ، وكان هذا له عظيم الفائدة وعملي في مجتمع عرفت قلة
القراءة ، انما استخدمت أيضاً بمثابة وسيلة للتأثير في تلك المناسبة
على ذاكرة ذوي العلاقة والحضور سواء ، وبالروح نفسها ، وبغية
اثارة الشهود الشباب للاهتمام بأمر ما ، قدم لهم صنابير لطيفة
لتوضع على الآن ، لتدليل على أن ماسمعه لن يذسوه بسرعة
ولعل تقييم القفاز قصد به أن يكون أمانة للتذكير من هذا
القبيل ، وجاء استخدام أمانة القفاز في نشيد رولاند كعلامة على
منح اقطاع كما رأينا من قبل ، وقدم القفاز والصدولجان أثناء تعيين
سفير ما أو رسول ، وقدم شارلمان القوس الى رولاند عندما عينه
أمراً لقوات المؤخرة .

٥ - الفروسية :

نجد من خلال شعر الملحمة أن كلمتي « فارس وفروسية » لم
تستخدم لتشير بالضرورة الى رجال رسموا بالسيف ليكونوا بشكل

رسمي أعضاء في منظمة للفروسية ، وعلى الرغم من اشتقاق الكلمتين من كلمة « فرس » فإن أيا منهما لا تساوي بكل بساطة ما نسميه الآن « خيال أو فارس » وصحيح أن الفارس دوما مقاتل له مطية ، لكن ليس كل مقاتل محمول هو فارس ، ذلك أن السادة ، والسيرجنديّة وشطر كبير من أي جيش قد يزحفون نحو الحرب وهم على ظهور المطايا ، وعلى ظهورها يقاتل أكثريتهم ، والعلامة المميزة للفارس هي جمعة بين « فرس حربي » وسلاح كامل ، وينبغي أن يكون السلاح متوائما مع ثروة الرجل ومنزلته ، ويتكون السلاح بالعانة من خوذة فولانية ، وسابغة معدنية (درعا كاملا من الزرد أو بنية مقواة بالصفائح الفولانية) وترس ، ورمح وسيف ، وأضيف أحيانا إلى هذا هراوة معدنية ، علما أنه لم يرد ذكرها في شعر رولاند ، وكانت أسلحة المراتب الأدنى أخف مع سابغة من الجلد أو القماش المبطن ، وكانت خيولهم بالتالي أخف وأبني متانة ، وبناء عليه عندما يتوجه اقطاعي كبير نحو معركة ما ، سيسير خلفه فرسان مقره مع الاتباع الرئيسيين في اقطاعيته ، وسيتبع هؤلاء بدورهم أتباعهم الذين قد يكون بعضهم في مرتبة الفروسية ، وسيحاط الجميع بأتباع من مراتب أدنى نزولا إلى الفلاحين الملاكين الذين توجب عليهم تأدية الخدمة العسكرية لصالح اللوردات بحكم كونهم من « رجالهم » وكانت الخدمات العسكرية المطلوبة من فلاحي الأرض محصورة حكما بعدة أيام من السنة ، مع الدفاع عن أراضي الموطن ، وعندما باتت الأوضاع تتطلب حملات طويلة الأمد خارج الحدود ، توجب إعطاء المزيد من المشجعات ، والمحرضات ، وكان السيد مسؤولا بشكل دائم عن إطعام رجاله وتزويدهم بما يلزمهم في ساحات القتال ، وقد يقدم أحيانا على توزيع بعض الأعطيات النقدية أو العينية ، ولتعويض هذه الذفقات وسواها نظر الجميع من أعلى المراتب إلى أدناها بشكل رئيس إلى الحصص التي سينالونها من غنائم الحرب ، وكونت أسلحة القتلى والمبالغ المدفوعة من فداء الأسرى ، والجزية المفروضة على المغلوبين والثروات المنهوبة من

المدن ، مكافاة النصر ، وبما أن الحديث الآن عن الغنائم والاهتمام
مركز عليها (تصدرها الفضة والذهب والبسة القتال
الصالحة) كان على رأس الهدايا الثمينة التي عرضها مارسليون
(أسود ودببة وخيول ، وكلاب الصيد ، وبغال محملة
بالذهب) ثمننا لآبرام معاهدة سلام ، بيد أنه كان على رأس الكدوز
جميعا شكة سلاح جاء وصفها بأنها حوت (خدونات محلاة
بالذهب ، وسرج مطلي بالذهب وقربوسة من الفضة وسيوف رصع
قرباب كل منها بالجواهر وهكذا دواليك) ، وبصرف النظر عن
الاشارات الى هذا كله ، ان النغمة العامة المنتشرة في شعر الملحمة
مع سلوك جميع الشخصيات ، اتسمت بالفروسية
، واللامبالاة ، وتحكم بجميع المشاعر الاعمال العسكرية ، فما من
واحد أضاع الوقت - مثلما فعل مقاتلوا هومر دوما - بالتوقف في
وسط المعركة لينتزع جثة واحد من أعدائه ويجمع سلبه ، ويشعر
المرء أنه وقف خلف بساطة المعركة ووحشيتها شعور دقيق بالتمسك
بالياقة .

٦ - أحكام المعركة :

وقال الفارس الابيض للفارس الاحمر : « طبعا إنك ستتراعي
أحكام المعركة » وقالت أليس تحدث نفسها وهي ترقب
القتال : « لعلك تتذكرين أن أحد الأحكام هو اذا ماضرب فارس
فارسا آخر يسقطه عن ظهر حصانه ، واذا أخطاه عليه أن يؤرجح
نفسه من جانب الى آخر » ، وكان حظ الفارس في القرن الحادي
عشر اثناء المعركة سيئا ، وقيل له : « اذا أردت البقاء حيا ، من أهم
الامور التي عليك مراعاتها هي أن تبقى فرسك واقفا على
رجلية ، وأن تبقى أنت نفسك على ظهره ، فإذا ما ألقيت أرضا ، أو
سقطت ستواجه مخاطر عظيمة ، فاما ستجر الى الموت جرا ، أو
ستفقد رقبتك على أي رجل مسلح يصدف أن يراك » وصمم
السرج في العصور الوسطى على أساس أن يكون له أحزمة

قوية ، وأن يكون وسطه عبارة عن مقعد مبطن أمامه قربوس مرتفع وخلفه واحد آخر ، من أجل ابقاء الفارس ثابتا في مكانه ، ويختلف هذا السرج عن سرج السباق الحديث الذي يمكن الفارس من الانزلاق بسهولة من على ظهر حصانه اذا ماكبأ على الأرض ، وذكر الشاعر بشكل واضح (الأبيات ٢٠٣١ - ٢٠٣٤) أنه عندما فقد رولاند وعيه وهو في سرجه على ظهر حصانه نتيجة الألم ونزف دمه « كان حتما سيسقط ، لكنه بقي منتصبا عليه بفضل الأحزمة » وقيل للفارس : « اذا مافتك طعنة رمسح الى الخلف ، ستجد نفسك مسنودا بقربوس السرج الخلفي ، واذا ماجعلتك ضربة شديدة بالسيف تنبطح على رقبة الفرس ، أمسك بقربوس السرج الأمامي ، ذلك أن انزياحك عن سرج فرسك هو الطامة الكبرى ، لأنه سيقودك حتما للسقوط على الأرض ، ووقع هذا الحادث مرتين في ملحمة رولاند ، لكن كان ذلك في كلتا الحالتين أثناء مبارزة فربية ، ولحسن الحظ انزلق الفارسان في وقت واحد ، لهذا امتلکا الوقت والمكان ليعودا الى وضعهما السابق ومن ثم متابعة النزال .

وعلى كل حال يمكننا أن نستخرج بعض أحكام - أو لنقل بعض أسس - المعركة التي اتسمت بها المبارزات في الملحمة ، ولا بد هنا من ترك بعض المساحة لأسلوب الشعر ، لكن الخطوط العامة مرجح أنها قامت على الممارسات الفعلية ، وكان القتال الذي يأخذ مداه الكامل يسير نظريا على ستة مراحل :

١ - التحدي : عندما يلتقي المتبارزان وجها لوجه ، ويسبق المنازلة تهديدات وإهانات (انظر على سبيل المثال الأبيات : ١٢٣٨ - ١٢٤٢)

٢ - المبارزة بالرمح :
استخدم المتبارزون في ملحمة رولاند الرمح وفق ما عرف بالطريقة الحديثة ، وهي أن يجري تثبيت الرمح تحت الذراع الأيمن بكل

٤ - الدعوة المتبادلة للاستسلام :

غالبا ما يحدث في المبارزة الفريية الطويلة ، كالتى قامت بين شارلمان وباليغانث (الايات ٣٥٦٤ - ٣٦٢٤) او بالاحتكام الرسمي بـوساطة محنة القتال كما حدث بين ثيري وبينابل (الايات ٣٨٧٣ - ٣٩٣٠) ، وقفة لاسترداد الانفاس ، ويحق في تلك اللحظة أن يدعو كل مبارز الآخر الى الاستسلام حسب شروط ، واذا مرفض كلاهما يتابعان القتال حتى يموت أحدهما .

٥ - ضربة الموت :

عندما يفقد أحد المتبارزين سلاحه او يتعطل عن متابعة القتال ، أما أن يدعو المنتصر الى الاستسلام والأسر ، او يوجه اليه ضربة الموت ، وأعلن في رولاند (البيت ١٨٨٦) وجوب القتل وعدم أخذ أسرى .

٦ - مباهاة المنتصر وافتخاره :

بعد قتلك لعدوك ، ستولى تشجيع نفسك ورجالك بكل السباب والشتائم الى الجسد الميت ، وصحيح أن هذه العادة لا تماشى كليا مع صورة الفروسية لدى الانكليز ، لكنها كانت جزءا من الاجراءات الصحيحة في جميع الملاحم المبكرة ، فعند هومر غالبا ما جاءت المباهاة على شاكلة التحدي وعرضت في خطاب طويل محكم الصنعة ، وكقاعدة يتكون الخطاب في رولاند من بيت او ما يشبه ذلك ، وقد لا يتجاوز القول : « خذ ذلك ، انت يا ... » وهذا مسموح به حتى في المعايير المعاصرة في مثل هذه المبارزات الحامية (انظر على سبيل المثال الايات ١٢٣٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٧ ، ١٢٩٦) .

وغني عن القول أنه اعتبر عملا خيانيا وليس من أخلاق الفروسية مهاجمة انسان من خلفه ، ولم يدع الشاعر أولفر رفيق رولاند ، والبطل الذي لانظير يموت في قتال مباشر ، بل جعله يقتل بضربة قذرة من هذا النوع (البيت ١٤٩٥)

٧ - التدشئة والمرافقة :

كان هناك فوق وأعلى من رباط التابعة العام ايضا الرابط الخاص الذي ربط رجلا بسيد تربى معه ونشأ ، أو الذي ربط سيدا بمرافقه ، وقضت العادات القديمة بإرسال ولد من أسرة كريمة ليتربى ويذشأ ويرعى في بيت سيد رفيع المقام ، ويتلقى هناك ما يحتاجه من تعليم وثقافة ، ويتعلم الأخلاق الجيدة ويذرب على استخدام السلاح ، والرياضة والفروسية ، وإذا حدث وتربى صبيان هكذا ونشأ معا في الجد واللعب ، سيفدوان صديقان من نوع خاص أو لنقل رفيقين ، وسيستمر هذا التقارب مع تنافس الأصدقاء وسيتطور مع تقدم الحياة ، وكان التعاطف بين الرفاق ، أو بين السيد والفتى الذي تربى ونشأ في بيته قوية جدا ، وغالبا ماغطت علاقات القرابة بالدم ، وهكذا نسمع عن « العزاب الشباب » في بيت شارلمان « الذين دعاهم بأبنائه » ، ونرى كيف مضي تفكير رولاند ساعة موته فقط نحو « الرجال في صفه » بل أيضا نحو « سيده شارلمان الذي رعاه ورباه منذ أن كان صـبـيا » ، وبشكل خاص نحو « رفيقه » أولفر ، وسنلاحظ أيضا أن كل واحد من الأتراب الاثني عشر كان له « رفيقه » ولذلك غالبا وردت الأسماء بشكل مزدوج : غيرين وغيرير ، ايفز وايفوز ، أوثون وبيرنغر ، أنسيس وسانسون يبدو أن الزوج المتبقي جيرارد أوف روسيلون وانغلر أوف بوردوازدواجا معا من خلال المرافقة ، ولهذا لم يرد ذكرهما بشكل خاص ، ولعل ذلك أيضا بسبب أن جيرارد عرض بمثابة رجل عجوز

٨ - الخيول والسيوف :

لعله ليس من الضروري كثيرا اظهار أهمية الخيول الجيدة والسيوف الماضية ولا الالحاح على العواطف تجاههم مع مراعاة هذه الممتلكات الثمينة والعناية بها ، وهذا ليس بغريب فعليهما اعتمدت سمعة الرجل المقاتل وحياته ، وكان فقدان أحدهما معناه كارثة حقيقية وأن نرى وقوع أحدهما بيد العدو فذلك يسبب العار

- ٤١٦ -

والشعور بالاسى ، ومنحت السيوف والخيول المتميزة أسماء تشرّفها وترفع من قدرها ، ونلاحظ أن الأمير المسلم باليغانت قد منح سيفه اسما حتى لا يبدو بحال من الأحوال أقل منزلة من سيف شارلمان وسيمر بنا في نص رولاند أسماء العديد من السيوف المسيحية والاسلامية .

نشيد رولاند

- ٤١٢٠ -

١ - قارله الملك - امبراطورنا شارلمان
امضى سبع سنين طوال كاملة مسافرا في اسبانيا
استولى على الاراضي المرتفعة بعيدا حتى ميان
ما من قلعة أمكنها الوقوف في وجهه
أو مدينة أو أسوار تركت له الا واقتحمها
باستثناء سرقسطة في موقعها الجبلي المرتفع
يحكمها مارسليون الذي يكره اسم الرب
إنه يطيع مهوند ولا يولو يصلي
لن ينجو من الدمار الذي ينتظره
٢ - أقام مارسليون في بلدة سرقسطة
وبحث عن حديقة ليقيم فيها ظلته
وأقامها على دكة رخامية لامعة
ووقف حوله والتف حول علمه عشرون ألفا من أتباعه
والمدول في حضرته استدعى قادته وأمرأه جيشه
أصغوا لي ايها السادة - إن ما أزعجنا وأضر بنا
الامبراطور شارل المرتدي لتاج فرنسا الجميل
هاجم بلادنا بهدف الاستيلاء على ثرواتنا
ليس لدي ما يكفي من الحشود لمنازلته
أنا لم أجد قوة كافية لطرد قواته
أيها الرجال العقلاء أشيروا علي الآن
أبقوا على حياتي واحفظوا لي شهرتي
ما من مسلم تفوه ببنت شفه
حتى تكلم بلانكاندرين سيد فالفوندا
٣ - كان بلانكاندرين حكيما وسسط حشود
المسلمين (٢٤ - ٤٦)
وبالشجاعة كان فارسا قويا ومقداما
ولأنه بالعقل لتقديم المشورة الى سيده
وقال للملك : لا تخشى شيئا ولا يهلك الفزع
بل أرسل الى شارلمان المتكبر والغاضب

- ٤١٢١ -

خدماتك المخلصة وعرضا بصدقة مستقبليّة
وعده بأسود ودببة وكلاب صيد
وسبعمئة جمل وألف صدق مدرّب
وأربعمئة بغل محملة بالذهب وكذوز الفضة
وخمسين عربة تشكّل قطار عربات
وبهذا سيتمكنه إعطاء عساكره هدايا ثمينة
وقل : يكفيك ما قمت به من حرب في هذه الأرض
إلى أكس في فرنسا دعه يعود ثانية إلى وطنه
ويوم عيد القديس ميخائيل الحق به إلى بلاطه
وهناك ستقدم طاعتك للقانون المسيحي
وكن من رجاله بالإيمان والعهد والميثاق
وإذا ما طالب برهائن ليطمئن
أعطه ربما عشرة أو عشرين
وإذا كان مفيدا سنبعث بأولادنا الذين ولدوا من زوجاتنا
سأرسل بابني مع أنه سيموت لذلك
الأفضل كثيرا أن تسقط رؤوسهم
من أن نفقد شرفنا وأملاكنا وكل شيء
وأن نصبح مدّعين متسولين
٤ - وقال بلانكاندرين : « أنا أقسم بيمينتي (٤٧ - ٧٥)
وبلحيتي التي ترتعش حول حضني
سترى بالحال حشد الفرانسيين يتبدد
سيعودون مسرعين نحو موطنهم فرنسا أرضهم ومحلهم
وعندما سيستقر كل واحد مع أحبائه من جديد
سيأخذ شارل مقامه في بيعته في أكس
وسيقام هناك احتفالا عظيما يوم القديس ميخائيل
سيمضي الوقت وستمر الساعات
ما من أخبار عنا ، ما من رسائل منا سيستلم
الملك سريع الغضب في قلبه حقد وحشي
سيقطع رؤوسنا ويفصلها بضربة فأس
الأفضل سقوط رؤوسهم في أحضانهم

- ٤١٢٢ -

من أن تسقط اسبانيا الجميلة وتذهب من بين ايدينا
وسنعاني من خسائر مروعة ومن المآسي
وقال بلانكاندرين : « في ذلك شيء من الصحة »
٥ - وأنهى الملك مارسيل النقاش
واستدعى للمذول أمامه كلارين البلاغاتي
واسترامارين ويودروبين صديقه
وغارلرن ذي اللحية الطويلة واسمه برايامون
وما كنير وعمه ماتثاي
وجوهون من وراء البحار ومالاباين
وبلانكاندرين ، وصنع هؤلاء العشرة الحكاية
كاذوا شجعان بلانظير واليهام توجه بالخطاب قائلا :
أيها السادة ، سادتي توجهوا الى شارلمان
الذي يلقي الحصار على قرطبة يريد الاستيلاء على المدينة
ليحمل كل منكم بيده غصن زيتون وليظهره عيانا
فالخضوع والسلام يظهران بهذه الطريقة
إذا ما نجحت جهودكم في اعداد هذه المعاهدة
سأعطيكم ذهباً وفضة بأوزان مفيدة
وأراضي واقطاعات بقدر ما يتمناه القلب (٧٦ - ١٠٠)
وأجاب العشرة سيكون ذلك كثيرا ومرضيا
٦ - وأنهى الملك مارسيل مؤتمره
وقال لرجاله : سادتي اذهبوا بسرعة
احملوا في ايديكم أغصانا من شجر الزيتون
وفي سبيلي اطلبوا من الملك شارلمان
من أجل الرب أن يظهر الرأفة بحوي
وقولوا صدقا لن يمضي هذا الشهر قبل أن يراني
قاصدا اياه أقود معي الفا من الاتباع
عندها هناك سألقى شريعة المسيح
ويؤمنون وحب سأكون تابعا له
سأرسل اليه رهائني إن كان هذا يرضيه
ثم قال بلانكاندرين : تأكدوا من استجابته لرجائي

- ٤١٢٣ -

٧ - وطلب مارسيلون احضار عشرة من البغال بيضاء كالثلج
(هدية أرسلها من قبل ملك سواتيليا)
سروجهم من فضة وأعنتهم جميعا من ذهب
واعتلى الآن ظهورهم الرجال النين كانوا على نية الذهاب
كلهم حمل في يده غصن زيتون
وقدموا على شارلمان المتملك لفرنسا
وبطريقة ماغرروا به فهذا ما كان مقدرا
٨ - كان الامبراطور شارلمان مسرورا مليئا بالبشر
سقطت قرطبة ، أسوارها الخارجية خرقت
المجانيق دمرت الأبراج. وأحالتها الى ركام
ألت الغنائم الثمينة الى جميع فرسانه
ذهب وفضة ومعدات حربية ثمينة
لم يعد في المدينة أحد من المسلمين (١٠١ - ١٢٩)
فالذي لم يذبح تحول الى المسيحية رعبا وخوفا
وجلس الامبراطور في حديقة في الجوار
ومن حوله رولاند وأولفر
والدوق سمسون وأنسيس الشجاع
وغودفري دي أنجو حامل علم الملك
وغيرين أيضا ومعه غيريير أيضا
وحيث هؤلاء كان هناك أخوة كثيرون
خمسون ألفا كاملة من فرنسا الجميلة والعزيزة
على زراعي بيضاء جلس هؤلاء الأتراك النبلاء
وقدم الصرافون الداما والشطرنج
واحتفظوا بهما لتسلية الشيوخ من البارونات
وتسلى العزاب الشبان بالسيف والرمح
تحت صدويرة الى جانب شجرة عليق
قام سرير من الذهب الأحمر الخاص
بجلال جلس ملك فرنسا الجميلة
شعر رأسه أبيض ولحيته فضية
جسمه نبيل مظهره مخيف

إذا ما قصده قاصد لاجاجة للقول : انتبه هنا
عن بعد ترجل الرسل عن ظهور مهورهم
احسنوا صنعا فحيوه بمظاهر الحب والاخلاص
٩ - أمامهم جميعا تقدم بلانكاندرين ووقف
وحيا الملك : أضفى الرب نعمته عليك
الرب سبحانه الحقيق بالعبادة
هكذا تكلم الملك مارسليون العظيم في حكمه
كثيرا ما تعلم العناية بالايمان والصدق
اليك وارضاء لك سيرسل الآن ثرواته
أسود ودببة وأعداد غير قليلة من كلاب الصيد بمقاودها
وسبعمئة جمل وألف صقر مدرب
وذهب وفضة حملوا على أربعمئة بغل (١٣٠ - ١٥٣)
قطار من خمسين عربة لنقل
وتخزين ما يكفي من النقود الذهبية الجيدة
منها ستدفع لجندك كما تريد
لقد أقمت طويلا في هذه البلاد لاتعاسنا
عد الى اكس في فرنسا تلبية لمطلبنا
الى هناك من المؤكد سيتبعك مولاي
وسيكون رجلك بالايمان والاخلاص
ومملكته كلها سيحتفظ بها اقطاعا من يدك
وبيدين رفعهما الامبراطور نحو الرب مستلهما
ثم طأطأ رأسه مفكرا
١٠ - ولوقت طويل مكث الامبراطور يحدق نحو الارض
فهو لم يكن رجلا يتسرع في اجاباته
بل اعتاد أن يتكلم بعد مشاورات طويلة
وعندما نظر نحو الأعلى كانت نظراته صاقبة وعالية
وقال للرسل : كلامكم جميل وجيد
ومع ذلك إن الملك مارسيل عدو لي وعدوي
في كل ما تفوهتم وعرضتموه علي
لا أجد ما أثق به وأعول عليه

- ٤١٢٥ -

لتأكيد هذا وضمانه أجاب المسلم
سنعد عشرة رهائن أو خمس عشرة أو عشرين
واحدا منهم ابني سأرسله برغم خوفي عليه من الموت
آخرون أيضا نبلأ أقسم سيكونوا لديك
عندما ستحتفل في قصرك العظيم بعيد
القديس ميخائيل الكبير أوف بيرل على الشاطئ
سيلحق بك ، على هذا يمكنك أن تعود
وفي هذه الحمامات التي أعدها لك الرب بقدرته (١٥٤ - ١٧٠)
سيتحول الى المسيحية وهناك سيعمد
وقال شارلمان : وقتها يمكن أن يبقى نفسه حيا
١١ - كان المساء جميلا وأشرق الشمس بجلاء
بالحال أرسل الملك شارلمان البغال البيض العشرة الى الحظيرة
في الحديقة الكبرى أمر الرجال بنصب
خيمة للرسل العشرة كي يقيموا
مع اثني عشر من السيرجانتية لتلبية جميع مطالبهم
وأضوا الليل هناك حتى انبلاج ضوء الصباح
ونفض الامبراطور الآن من فراشه مبكرا
وفي القداس والتراويل قدم صلواته
ثم توجه الملك نحو شجرة صنوبر
والى هناك دعا باروناته لعقد اجتماع
وتبعوا للنصيحة الفرنسية سار، ولها استجاب دوما
١٢ - ومضى الامبراطور ليجلس تحت شجرة صنوبر طويلة
وللاجتماع به دعا باروناته :
الدوق أوغيير وبرئيس الاساقفة توربين التقى
ورشارد العجوز وحفيده هنري (١٧١ - ١٩٥)
والكونت أسلين شجاع غاسكوني
ومايلز وابن عمه اللورد تيبولد أوف رايمز
وأىضا غييرن وكذلك حضر غيريير
وجاء الكونت رولاند ومعه جاء البقية
وأولفر النبيل والجيد وقت الحاجة

- ٤١٢٦ -

وجميع فرنسيو فرنسا وربما كانوا ألفا أو أكثر
وغادلون ذاك الذي حاك المؤامرة
هكذا بدأ ذلك الاجتماع الذي وصل الى تلك النتائج المحزنة
١٣ - وبدأ الامبراطور شارلمان بقوله :أيها البارونات سادتي
من عند الملك مارسيل ، جاء رسل ، يذشدون السلم
وعرض على منحي عطايا عظيمة
من الأسود والدببة وكلاب الصيد المقودة
وسبعمئة جمل وصقور مدربة شجاعة
وأربعمائة بغل محملة بالذهب العربي
وخمسين عربة محملة بشكل جيد مقطورة الى بعضها
لكنه يستعجل الآن زهابي الى قصري في اكس
وهناك سيغير ايمانه الى ايمان أكثر فائدة
سيصبح مسيحيا وسيعتبرني قائده
لكن ماهي مقاصده الحقيقية ؟ هذا ما لا أستطيع الاجابة عليه
وقال الفرنسيون جميعا : الأحسن أن نكون حذرين
١٤ - وماأن أنهى الامبراطور شارلمان خطابه
حتى رفض الكونت رولاند بحدة
وسارع بالمعارضة بانبيعائه واقفا على قدميه
وقال للملك : لا تثق بمارسيل مطلقا (١٩٦ - ٢٢٥)
لقد مضى على وجودنا في أرض اسبانيا سبع سنين طوال
لقد حصلت لك على كل من نوبل ووكومبيلز
واستوليت على فالتيرنا وحزت على أرض الصنوبر
وعلى بالاغيت واشبيلية وطلبيطة
ثم اقتترف مارسيل عملا خيانيا عظيما
وأرسل رسله وعددهم خمسة عشر
ويحمل كل منهم غصن شجرة زيتون
وبكلمات طيبة يذشدون منكم السلام
ثم كان أن سألتهم السادة الفرنسيين عن رأيهم
لقد أعطوك نصيحة حمقاء حقا
لقد أرسلت الى المسلمين كونتين من حاشيتك

- ٤١٢٧ -

باسان كان الاول وباسيل كان الآخر
لقد قطع رأسيهما على رابية دون هاليتايل
هذه الحرب التي بدأت أججها ولا توقفها
والى سرقة سطة قد حشودك الى الوغى
أمض حياتك ، ان اقتضى الحال ، في الحصار
انتقم للرجلين من الخائن الذي سفك دمهما
١٥ - وجلس الامبراطور شارلمان ساكنا مطرق الرأس متفكرا
وحرك لحيته وشاربيه بكل لطف
ولم يرد على ابن أخته لا بخير ولا بشر
ولازم الفرنسيون الصمت ، باستثناء غانلون وحده
هب واقفا والى حضرة شارلمان تقدم
وقال للملك : لا تثق بهذا الفتى الثرثار
ولا بي أيضا ، وابدث عن مصالحك فقط
ان كان الملك مارسيل قد أخبرك بوساطة رسله
أنه سيضع يده في يدك ويعطيك العهد والميثاق بالولاء لك
ويحكم اسبانيا كلها باسمك ووفقا لرغباتك
والايمان الذي نتبعه سيقبله
الرجل الذي طالبك بعدم القبول ارفضه (٢٢٦ - ٢٥١)
لاتهتّم سيدي بالموت الذي يهددنا به
لا يصح أن يتعجرف المستشارون ويركبوا رؤوسهم
ودعنا نصغي الى الرجال الحكماء ولا نستمع الى الحمقى
١٦ - وانتصب نايمون في هذه اللحظة أمامهم جميعا
لم ير تابع قط أفضل منه بالقاعة
وقال للملك : حسنا مولاي هل استمعت
الحجج التي عرضها الكونت غانلون
فيها ثقل وعلبك الاهتمام بها
الملك مارسيل هزم في الحرب
وانتزعنا منه قلاعه وحصونه
وبالمحانيق دمرت أسواره
لقد أحرقنا مدنه وجيوشه أبدت

جاءك الآن ناشدا رحمتك
انه لاثم عظيم مضايقته أكثر
ولانه سيقدم رهائن تؤكد حسن ايمانه
علينا الاسراع بايقاف هذه الحرب الكبيرة
وردد الفرنسيون جميعا : لقد تكلم الدوق كما ينبغي
١٧ - أيها البارونات ، سادتي ، من سذرسل فورا
الى سرقسطة الى الملك مارسليون ؟
أنا سأذهب ، اذا سمحت ، قال نايمون
لهذا امنحني القفاز والصولجان
أنت أحكم حكمائي - هكذا أجاب الملك بفخار
والآن بحق لحيتي ووجنتاي وذقني الحوامل لها
لن نجشملك السفر لمدة اثني عشر شهرا طويلا
لذلك ، اجلس ، لاننا لم نستدعك
١٨ - أيها البارونات ، سادتي ، من سذرسل
منكم (٢٥٢ - ٢٧٦)
الى سرقسطة ، الى الملك المسلم ؟
أنا ان كنت للمهمة أصلح ، قال رولاند
لن تكون أنت ، أوضح أولفر :
أنت انفعالي وعنيد في أعمالك
أنا عندي أرض أنت أعطيتنيها اقطاعا
ان سمح الملك أنا سأقوم بهذه المهمة
ورد الملك : اصمتا أنتما هناك
لأنت ولاهو سيخطو خطوة على ذلك الطريق
بحق لحيتي هذه ذات المرأى الفضي
لن أسمى أيا من الأتراب الاثني عشر حتى لأبكيه
ولم يقل الفرنسيون شيئا ووقفوا مصعوقين صامتين
١٩ - ثم نهض من بين صفوفهم توربين أوف ايمز
وقال للملك : دع باروناتك الفرنسيين يرتاحون
لقد مضى على وجودهم في هذه الأرض سبع سنين طوال
فيها عانوا كثيرا من الخوف والمتاعب

- ٤١٢٩ -

أرجوك ياسيدي ، أعطني - بناء عليه - الصولجان والقفاز
سأقصد مسلم الأندلس وأراه
وفي نظراته سأقرأ مقاصده
وبمظهر غاضب أجابه الامبراطور :
على تلك السجادة البيضاء اجلس وابق دونما حركة
وأیضا أقول : الزم الصمت حتى أمرك بالكلام
٢٠ - قال الامبراطور : عصبتني من الأحرار والفرسان
تعالوا واختاروا لي واحدا من بارونات أرضي
ليحمل رسالتي ويضعها في يد الملك مارسليون
وتكلم رولاند فقال : غانلون زوج أمي ، ياسيدي هو
الرجل (٢٧٧ - ٣٠٢)

وقال الفرنسيون جميعا : في الحقيقة هو الأكثر جدارة
إذا لم تختره لن تجد له نظيرا
وانفجر الكونت غانلون مغضبا غضبا عظيما
وتنهذ مغضبا واشدة ذلك مال نحو الخلف
ووقف أمامهم بردائه الحريري المشقوق
عيناه تبرقان ، مظهره مظهر سمو وكبرياء
قوامه رشيق وعرض صدره كبير
الأتراب كلهم حدقوا به فقد كان شكله شكلا عظيما
وقال لروланд : أحمق ، مالذي جعلك أحمقا
أنا مولاك وزوج أمك ، وهؤلاء جميعا يعرفون من أنا
وأنت سميتني لأقصد معسكر مارسليون
إذا ما قدر الرب العظيم أن أعود من هناك
سأنزل بك فوق ما تستحق وأدمرك
ورد رولاند : هذا كله تبجح وادعاء
التهديد لا يخيفني ، والعالم كله يعرف ذلك
لحمل هذه الرسالة نحتاج الى رجل جيد
أنا سأخذ مكانك لو أن الملك أنن
٢١ - قال غانلون : مكاني لن تأخذه

- ٤١٣٠ -

أنت لست تابعاً لي وأنا لست مولاك
شارلمان أمرني وخدمة له أنا مطيع
سأقصد مارسيل لالقاءه عند أبواب سرقةسطة
وهناك سأجيك مؤامرة مميتة
ان لم أجد مذفدا لاطفاء غضبي اللامحدود
ما أن سمعه رولاند حتى ضحك في وجهه
٢٢ - عندما رأى غانلون رولاند يضحك بـ
مبالاة (٣٠٣ - ٣٢٨)

كاد ينفجر من غضبه وانزعاجه
وكاد أن يخرج من عقله
وأخبر الكونت : أنا لأحبك ، لأنا ...
وأنت تسلطت علي بظلم وارغام
أيها الامبراطور العادل ، هنا أنا أقف أمام ناظريك
جاهزا لصنع كل ماتراه صحيحا
٢٣ - الى سرقةسطة أرى ان علي المضاء
لاعودة لي من تلك الرحلة الى هنا
أعتقد أنك ستعد زوجتي بمثابة أخت لك
لقد ولدت لي صبيا هو الأجل والافضل بين الاولاد
بلدوين (قال هو) وبطلا سيكون
له أترك أراخي وماأمتلك
لن أراه ثانية ، سيدي اعتن بقريبك
وقال شارلمان : قلبك في جوفك رقيق جدا
عليك الذهاب الآن ، لأنه مع ذلك أنا أمرك
٢٤ - ثم قال الملك : قف أمامي ياغانلون
هاك تسلم من يدي القفاز والصولجان
لقد سمعت الفرنسيين - أنت الرجل الذي يريدون
وقال غانلون : مولاي رولاند اقترب بحقي هذا الخطأ
أنا لن أحبه طوال حياتي
ولأولفر صديقه ورفيقه الحميم

- ٤١٣١ -

ولا الاتراب الاثني عشر الذين عليهم يعتمد
سيدي : بحضورك أنا اتحداهم جميعا
عندها قال الملك : ان اذفعالاتك عالية جدا
أمرك بالذهاب وما عليك الا بالرحيل
حسننا أنا يمـكنني الذهب ، انما بـدون
حراسة (٣٢٩ - ٣٤٤)

فكهذا كان باسيل ، وكذلك باسان ، الرب يعلم
٢٥ - وناوله الملك قفاز يده اليمنى
مرغم سيكون الكونت غاذلون على قطع مئات الاميال
عندما تناول القفاز ، وقع في التراب
فصرخ الفرنسيون جميعا على الفور : يا الهي ، ما هذا ؟
لاشك أن هذه الرسالة ستحمل لنا سوء الحظ
وقال غاذلون : سيدي لن تلبث حتى تعلم ذلك
٢٦ - سيدي إثنى بالذهاب من هنا الى هناك
طالما علي الذهاب ، فلا يذفع الانتظار
وقال الملك : امض ، بانن يسوع وأنني
وبيمناه حاله ، وبها وسمه
ولتيسير أموره أعطاه رسالة وصولجانا
٢٧ - وبادر الكونت غاذلون الى مقره مسرعا
ومن بين صفوف أتباعه بدأ يبحث
عن خيرة من يخدمه ويلبي حاجاته (٣٤٥ - ٣٧٢)
وربط مهمازيه الذهبيين على عقبيه
وشد على وسطه مورغليز سيفه الفولاني
وامتطى ظهر مهره تاشيبرون
وحمل عمه غونمير ركابه

ثم لك أن تتصور عددا كبيرا من الفرسان الشجعان يبكون
ويقولون له : واحسرتاه على فقدان شجاعتك
كنت في بلاط الملك منذ سنين طوال
تابعنا ذبيلا بتقدير الجميع
الذي سماك للقيام بهذه المهمة الكبيرة

- ٤١٣٢ -

شارلمان نفسه لن يجميه ولن يغطيه
ماكان رولاند محقا في حياكة هذه الخطة
لأنك رجلا جئت من أصل ذبيل
ثم قالوا : مولاي خذنا معك ، نرجوك
وأجاب غانلون : « الرب يحظر وقوع ذلك
خير أن أموت وحيدا من أن يقتل معي بعض خيرة الفرسان
أيها السادة ستعودون قريبا الى فرنسا الجميلة
باسمي قدموا التحيات لزوجتي
والى بينابل صديقي وتربي
والى بلدوين ابني الذي تعرفون جيدا ، آمالي نحوه
ستساعدونه وستقبلونه سيدا لكم
ثم انطلق وأخذ طريقه مسافرا
٢٨ - وامتنى الكونت غانلون مهره تحت شجرة زيتون عالية
ومالبت أن لحق بالسفراء المسلمين في الوقت المناسب
وتراجع بلانكاندرين ومن ثم قام بمسايرته
وشرعا الآن يتحادثان بمكر
وقال بلانكاندرين : شارلمان محارب رائع
على بيولا استولى وعلى كالبريا ايضا
والى انكلترا عبر فوق أمواج البحر المالح
ولصالح القديس بطرس جبي جزية الجزيرة (٣٧٣ - ٣٩٦)
مالذي يريده هنا من حربه داخل حدودنا ؟
وأجابه الكونت غانلون : هكذا ينال سروره
في العالم أجمع لن تجد نظيرا له
٢٩ - وقال بلانكاندرين : الفرنسيون قوم محترمون
ومع هذا يسيئون الى مولا هم
فهؤلاء الأمراء والكونتات عندما أشاروا عليه بهذا العمل
سارعوا بالحاق الضرر به وبآخرين
وقال غانلون مامن أحد أثر مثل هذه الكلمات المريبة
باستثناء رولاند وحده الذي سينال جزاءه كأسوأ مايكون
تمعن الآن ، كان الامبراطور جالسا يتحدث تحت ظل لطيف

- ٤١٣٣ -

واذا بابن أخته قادما في ثيابه الملكية
متحمسا يحمل غنائمه التي عاد بها من كاركاسون
حمل رولاند بيده أرفع الجوائز
وعرضها على عمه قائلا : خذها مولاي العادل
التيجان التي أعطيك تيجان ملوك الأرض جميعا
مؤكد في يوم من الأيام سيؤنيه كبرياؤه
خطر الموت المحتم يقترب منه يوما تلو آخر
لو أن أحدا قتله لأمكن تحصيل بعض السلام
٣٠ - قال بلانكاندرين : شرور رولاند وأثامه
على هذا يريد شعوب الأرض كلها أن تقتتل
وأن تقع كل أرض مرغمة تحت نيره
من الذي أمره وأمدّه بسلّاحه وقوته
وأجاب غانلون : لقد تأمر على الفرنسيين
هم لم يخذلوه قط وهم يحبونه حبا جما (٣٩٧ - ٤٢٤)
فضة وذهب يعطيهم بلا مقدار
وخيولا وبغالا وحريرا ويمدهم بالمعدات
وكل ما يريده الامبراطور يؤمنه له
وهو سيستولي له على الأرضي فيما بين الشرق والغرب
٣١ - وتسائر غانلون مع بلانكاندرين ذلك اليوم طويلا
حتى تعهد كل واحد منهما للآخر بالصدق والايمان
واتفقا على ايجاد الوسائل لقتل الكونت رولاند
وتسائرا طويلا وانتقلا من درب الى طريق
الى سرقسطة وعلى مقربة من شجرة طقسوس ألقيا عصا
الترحال

وفي ظل شجرة صنوبر تحتها نصب سرير
قد لف بثوب من حرير الاسكندرية
عليه جالس الملك المسؤول عن حكم اسبانيا
ومن حوله اصطف عشرون ألفا من المسلمين
لم يتفوه أيا منهم بكلمة واحدة

- ٤١٣٤ -

كلهم انتظر بلهفة سماع الأخبار
والى حضرته وصل غاذلون وبلانكاندرين
٣٢ - وتقدم بلانكاندرين على غاذلون
وبيده امسك الكونت غاذلون
وخاطب الملك قائلا : مولاي ، وقيت ، بحق مهوند
وبحق أبولو الذي نمجده عقيدته المباركة
أعطينا رسالتك الى شارلمان بكل ما فيها
رفع يده عاليا نحو السماء
وحمد ربه ، وبعد هذا لم يعطنا جوابا
وأرسل واحدا من نبلائه ، هذا الذي تراه
سيد من فرنسا ، من أشهر فئاتها
منه ستسمع ان السلم هو الرابع أم الخاسر
وقال مارسيل ، منه سندسمع ، دعه يتكلم
٣٣ - وكان غاذلون قد فكر بهذه المسألة مليا (٤٢٥ - ٤٥٠)
وبمكر عظيم بدأ الآن يتكلم
وكأنه رجل للأخلاق ولد
وقال للملك : حفظك الرب بكلماته
الرب سبحانه الذي ينبغي أن نعبد
الملك شارلمان العظيم بعث يقول لك :
عليك تلقي الايمان بالمسيح ربنا
وسيكا فذك بنصف اسبانيا اقطاعا لك
واذا ما رفضت عرضه
ستؤسر وتفيد بكل شدة
وتحمل بعيدا الى اكس ، الى بلاطه
هناك ستدان ويذفد فيك الحكم حالا
هناك ستموت مذفيا مهانا
ولدى سماع مارسيل هذا شعر بضيق عظيم
وكان يمسك نصلا مذهبا ومريشا
وكان على وشك أن يرميه به غير أنه تحمل وصبر
٣٤ - وتغير لون الملك مارسيل كليا

أمسك قناته وهز رمحه
وعندما رأى غانلون ذلك مد يده الى سيفه
واستله من غمده مقدار اصبعين
وقال له : أنت صقيل تماما وشجاع
في بلاط الملك حملتك أياما عديدة
لن يحجبني امبراطور فرنسا أن أقول
- سأموت وحيدا ، بعيدا في أرض غريبة
قبل ذلك ستدفع أغلى ثمن
وصرخ المسلمون : علينا أن نمنع هذا الخصام
٣٥ - هكذا احتج عليه عقلاء المسلمين (٤٥١ - ٤٧٨)
فما كان من الملك مارسيل الا أن تراجع وجلس على عرشه
وقال الخليفة : لقد عرضتنا للذقد
ظننا أننا سنخيف هذا الفرنسي بضربة
ماعليك الا الاصفاء وتسجيل الملاحظات
وقال غانلون : مولاي علي تحمل هذا كله
لن أبالي بكل الذهب الذي خلقه الرب
لا ، ولن أعبأ بجميع الثروات التي تفتخر بها بلادك
لان أتفوه بالرسالة - طالما أعطيت الفرصة -
التي الملك شارلمان ذلك الرجل العظيم البنيان
أرسلها معي الى هذا العدو المميت
المتلفح برداء مبطن بفراء الفئك
والمغطى بحريز نسجته الاسكندرية
أنه يدليه الى الامام حتى يمسكه بلانكاندرين
لكن لن يحرك سيفه ويشهره بدون حكمة
هو ممسك بيمينه مقبضه الذهبي
وقال المسلمون : انظروا هاهنا بارون جريء
٣٦ - واقترب غانلون من الملك وخاطبه كما يلي
قال له : أنت تعبت باثارة المتاعب لنفسك
شارلمان الذي يمتلك فرنسا يأمرك بما يلي :
عليك تقبل الايمان المسيحي

- ٤١٣٦ -

وسيمنحك نصف اسبانيا اقطاعا لك
والنصف الآخر الى ابن اخته رولاند
سيكون لديك في الاقطاعية شريك متعجرف حقا
اذا مارفضت هذه الشروط من قبلك
في سرقة سطة سيحاصرك وسيضيق عليك الخناق
وبالقوة سيأسرك ويقيدك
ومن ثم سيرسل بك الى أكس مباشرة
ولن تسافر بعدها الى بالفري ولا الى دستريير
ولن يقدم اليك للسفر لا بغلا ولا مهرا قصيرا (٤٧٩ - ٥٠٦)
على ظهر أتان عجفاء هزيلة سيضعك
وستفقد رأسك هناك بقضائه
انظر الآن ، لقد كتب اليك الامبراطور بهذه الرسالة
والى يمينه سلم المسلم الرسالة
٣٧ - ولشدة غضبه إبيض لون الملك مارسيل
فدمر الختم ورمى بالشمع جانبا
ونظر الى الرسالة وقرأ ما فيها
هذه هي الكلمات التي كتب بها شارلمان ملك الفرنسيين الي
علي أن أتذكر حزنه وانزعاجه
بسبب هذين الأخوين : باسان وبانسيل السامي
اللذين قطعت رأسيهما في هالتوي على الهات
واذا كنت أغالي في تقدير قيمة حياتي
علي ارسال عمي الخليفة بمثابة مكافأة
ولا لن يكون بعد اليوم صديقا لي
وفي هذه الساعة دخل ابن مارسيلون وهو يصرخ :
كلمات غانلون جنون وبلا عقل
هذا شيء كثير - انه لن ينال طعم الراحة حيا
سلمه لي وسيواجه العدالة
عندما سمع غانلون هذا هز سيفه عاليا
واستند الى جزع شجرة صنوبر
٣٨ - وداخل الحديقة جدد الملك مارسيل الاجتماع

- ٤١٣٧ -

واصطحب معه خيرة رجاله لمشاركته
والى هناك جاء بلانكاندرين ابيض الشعر
وجورفرات الذي كان ابنه ووريثه
والخليفة عمه وقائده
وتكلم بلانكاندرين قائلا : استدع ذلك الفردي الى هنا
انه سيخدم مقاصدنا ، هذا ما سمعته يتعهد
به (٥٠٧ - ٥٣٤)

وامره الملك قائلا : احضره بنفسك فهذا افضل
وبيمناه امسك الكونت غانلون وجاء به
الى الحديقة حيث كان الملك ومستشاريه
وهكذا شرعوا يحيكون مؤامرة شريرة
٣٩ - قال مارسيل : غانلون ايها السيد الرفيع ، لقد عاملتك
بشيء كبير من اللطف حتى الآن
عندما كنت مغضبا وددت لو اني صرعتك
لكن أقسم بحق هذه الأحزمة من فراء الفذك
التي تساوي قيمتها خمسمائة قطعة ذهبية جيدة
سأجعلك غنيا في أقرب وقت اليوم أو في الغد
هذا ما أرفضه - قال الكونت غانلون
الرب ان شاء ، سيعدل الأحوال
٤٠ - ثم قال الملك مارسيل ، حقا ، يا كونت غانلون
نويت أن أجعلك صديقا لي فهذا ماتستحقه
عن مشاكل شارلمان بوذي أن أسمعك تتكلم
هو عجوز تقدمت به السنون وعانى من حياة صعبة
مائتي سنة وأكثر ، كما أعرف قد رأى
في البلدان كثيرا مالا في جسده المتاعب
ضربات قاسية لاتعد ولا تحصى تلقى على ترسه
ملوك أغنياء كثر حولهم الى متسولين
متى سيتعب من القتال على ساح الوغى ؟
وقال غانلون : هذه ليست عادته مطلقا

مامن انسان عرف الامبراطور أن نظر الى طلقه
الا وقال عنه : حقا انه رجل عظيم
مهما أطنبت في مدحه وتقديره
ستظل مكانته وسموه فوق أن أفيه حقه
شجاعته الجبارة ، من بامكانه وصفها بالكلمات ؟
الرب أسكن فيه شجاعة بلا حدود (٥٣٥ - ٥٦٢)
انه يفضل الموت على أن يتخلى عن فرسانه وقت الحاجة
٤١ - قال المسلم : أنا في تفكيرى مندهش
من شارلمان في أنه عجوز وشعره أبيض
أنا أعرف أنه عاش مائتي سنة وأكثر
في البلدان كثيرا ما على جسده من المتاعب
حمل أعداد كبيرة من السيوف القاطعة والحراب والرمح
كثير من الملوك الأغنياء صاروا متسولين وباتوا في حالة الاملاق
متى سيتعب من الذهاب الى الحرب ؟
وقال غانلون : لن يتعب مادام رولاند يحمل سيفه
ما من واحد شجاع مثله تحت أديم السماء
وأولفر صديقه سيد شجاع أيضا
والأتراب الاثني عشر الذين يحبهم شارلمان حبا جما
يحمون ساقه الجيش مع فرسان عددهم ألف
شارلمان في أمان لا يخاف من انسان أبدا
٤٢ - قال المسلم : أنا متعجب في عقلي
من شارلمان الذي رأسه أبيض وعجوز
كما أعلم مرت به مائتان من السنين
قهر من البلدان كثيرا طولا وعرضا
بالحربة طعن كثيرا ممن أسره أثناء القتال
من الملوك الأغنياء كثير من نقلهم الى الفقر والاملاق
متى سيتعب من المضي الى القتال
قال غانلون : لن يتعب مادام رولاند يرى الضياء
فيما بين الشرق والغرب ليس لشجاعته نظير
وأولفر صديقه فارس شجاع أيضا

- ٤١٣٩ -

والآتراب الاثني العشر الذين يحبهم الملك
ركبوا مع عشرين ألفا من الفرنسيين في ساقه الجيش
شارلمان في أمان لا يخشى من انسان من الاحياء
٤٣ - ثم قال الملك مباشرة : غانلون أيها السيد
الجليل (٥٦٣ - ٥٨٧)

عندي جيش لن تجد أحسن منه
أربعمائة ألف من خيرة الفرسان حسب تقديري
هل يمكنني الاشتباك بشارلمان وبرجاله الفرنسيين ؟
ورد غانلون : لا يمكنك ، وسأخبرك لماذا
لأن الخسائر بين رجالك ستكون مريعة
دع عنك هذه الحماقات وعد الى عقلك بجذ
أرسل الى الامبراطور كميات هائلة من الخائن
تجعل الفرنسيين جميعا يندهشون لعظمتها
عشرين كرة ستتابع ارسال الشيء نفسه اليه
عندها سيعود شارلمان الى فرنسا الجميلة راضيا
تاركا وراءه قوات ساقه لحمايته
معهم ، أنا أؤكد ، سيكون ابن اخته رولاند
وأولفر أيضا السيد الشجاع
أقتل هؤلاء الكونتات ، اذا أردت الوثوق بي
عندها سيرى شارلمان سقوط كبريائه ونهايته
ولن يملك الشجاعة للقتال معك منذ ذلك الحين فصاعدا
٤٤ - وصرخ الملك مارسليون : غانلون أيها السيد الحكيم
مالذي يذبغي علي القيام به لقتل رولاند ؟
وأجابه غانلون : سأخبرك بذلك
عندما سيصل الملك الى بوابة سيزر (كول دي سيزين رونسيفو
وبامبلونا)

سيخلف قوات المؤخرة لحفظ الممرات ورائه
هناك سيكون ابن اخته رولاند الفارس العظيم
وأولفر أيضا الذي عليه يعتمد كثيرا

- ٤١٤٠ -

ومن حولهما عشرين ألفا من خيرة الفرنسيين
ارسل مائة ألف من بني جلدتك من المسلمين (٥٨٨ - ٦٠٨)
وسيشذبك هؤلاء أولا مع الفرنسيين في قتال
ولن تكون الخسائر في صفوف الفرنسيين قليلة
ورجالك سيقتلون وهذا لن يغضبني
وبهجوم مماثل للمرة الثانية عليك القيام
وأولا أو أخيرا سيقا رولاند مصرعه
وستكون قد قمت بانجاز بالسلاح رائعا جدا
ولن ترى بعدها حربا طوال حياتك
٤٥ - من الذي سيطعن الكونت رولاند ويقتله ؟
عندها من جسد غانلون تحركت اليد اليمنى
عندها الجيش العظيم سينهار ويباد
ولن يستطيع شارلمان جمع حشد عظيم مماثل
وبذلك ستنعم أرض أبائنا بالسلام والراحة
وما أن سمع الملك مارسيل بهذا حتى انحنى
ومال فورا الى خزائن نخائره فأمر بفتحها
٤٦ - ثم قال مارسيل : بقي شيء واحد
ليس هناك رباط جيد حيث لايمان جيد
أعطني ميثاقا مقسما على خيانة رولاند
وأجابه غانلون : سأفعل كل ما تقوله
على أثار سيفه موغلس الجيد
أقسم على الخيانة وأقسم على التخلي عن ايسانه
وكان هناك عرش صنع كله من العاج (٦٠٩ - ٦٣٠)
وأمر مارسيل بجلب كتاب مجلد
فيه شريعة ومحمد
عليه أقسم مسلم اسبانيا
بالبحث عن الكونت رولاند بين قوات المؤخرة
وإذا ما وجده هناك ، سيقا له بكامل قواه
وسيبدل غاية جهده لقتله والتخلص منه الى الابد

- ٤١٤١ -

وأجاب غانلون : ولعل ذلك سيكون هكذا
٤٨ - وفيما القوم هكذا منشغلون بخل المسلم ولد برون
ووقف أمام الملك مارسيلون
وقال لغانلون وهو يضحك بحيوية :
هاك ، اخذ سيفي ، فلن تجد شفرة خيرا منه
حليت مقبضة بألف مثقال
إنه لك يا سيدي الحكيم خالصا لحبك
للمساعدة ضد البطل رولاند
إذا ما وجدناه في قوات الساقة حسبما طلبنا
وقال غانلون له : سيتم تنفيذ ذلك
وقبلا بعضهما بعضا على الوجنات والذقون
٤٩ - ثم جاء بعد ذلك مسلم آخر اسمه كليمبورين
وشرع وهو يضحك يقول بحيوية لغانلون :
أقبل وخذ خوذتي التي لم أر أثنى منها
على عرفها يا قوته
أعطيكمها عربون صداقة صافية
إن كنت ستساعدنا ضد رولاند ببراعتك
في أن نسبب له ميتة تعيسة (٦٣١ - ٦٥٣)
ورد غانلون على ذلك : هذا ما سيفذ
وقبلا بعضهما بعضا بالفم والذقن
٥٠ - ثم توجهت الملائكة براميموند بالخطاب الى الكونت :
عزيزي السيد الحكيم اني احبك عن صدق
مليكي يثني عليك ثناء عظيما وكذلك أتباعه
امنح هذا الزوج من الاقراط باسمي الى زوجتك
مثقلين بالياقوت والزمرد والذهب
هما أثنى من جميع ثروات روما
مثلهما امبراطورك لم يمتلك قط
وتناول الجوهريتين ودسهما في قبعته
٥١ - واستدعى الملك مالدويت ، القائم على بيت المال وسأله :
هل انتهيت من اعداد هدايا الملك شارلمان

- ٤١٤٢ -

فأجابه : نعم يامولاي ، بكميات هائلة :
سبعمائة جمل محملة بمعائن ثمينة
وعشرين رهينة لا نظير لهم تحت قبة السماء
٥٢ - ووضع مارسيليون يده على كتف غاذلون
وقال مخاطبا اياه : أنت عاقل وشجاع
الآن بحق الايمان الطيب المشع من عينيك
لا تدع قلبك يتراجع عما صممناه
سأعطيك كنزا عظيما وله قيمة كبيرة
حمولة عشرة بغال من الذهب المستخرج من مناجم بيار العرب
وما من سنة ستمر الا وستستلم مثل ذلك
خذ الآن مفاتيح برجى الكبير (٦٥٤ - ٦٧٩)
وقدم للملك شارلمان كل ما فيه من ثروات
لكن تأكد أن رولاند سيكون في جيش الساقة
وإذا أمكن ان نجده في ممر أو في معبر
سأشتبك بالقتال الحاد معه حتى الممات
وقال غاذلون : يخيل لي أنني أبدي الوقت
وامتطي ظهر حصانه وبدأ رحلته مسرعا
٥٣ - عاد الامبراطور الآن أدراجه
ووصل امام مدينة غين
(استولى الكونت رولاند عليها وأزال أسوارها
وقد بقيت بعد هذا مائة سنة مدمرة)
وهناك انتظر الملك وصول أخبار من غاذلون
ووصول جزية بلاد اسبانيا العظيمة
ومع انبلاج الفجر وعند تباشير الصباح
دخل الى مخيم الكونت غاذلون
٥٤ - مبكرا في ذلك اليوم غادر الامبراطور فراشه
حضر القداس وردد الآن صلواته
على العشب الأخضر امام خيمته وقف رولاند
وكان مع رولاند أولفر الشجاع أيضا
والدوق نايمون وأيضا آخرون كثير

- ٤١٤٣ -

ثم جاء غانلون الخائن اليهم ليخدعهم
وشرع يتكلم بزييف حاضِر بارِع
وقال مخبرا الملك: اليك حماك الرب
جلبت اليك الى هنا مفاتيح سرقة سطة
وجلبت لك ايضا ثروات ترضي قلبك
وعشرين من الرهائن انظر اليهم محذوفين بدقة
وأرسل الملك مارسيل الشجاع هذه الرسالة (٦٨٠ - ٧٠٧)
يرجوك الا تغضب من غياب الخليفة
رأت عيناى اربعمئة ألف رجل
بالسوابغ تسلحوا وعلى الرؤوس شدوا الخوذ
وعلى أوساطهم علّقوا السيوف المحلاة المقابض بالجواهر الثمينة
حضرُوا أمامه ثم الى شاطئ البحر ذهبوا
الايمان بدين المسيح لن يقبلوا وله لن يحفظوا
ولهذا السبب هربوا من امام مارسيلون
لكن ما ان سافروا بالبحر أربع مراحل ، ربما ، أو أقل
هبت عليهم عاصفة سوداء وعليهم حل الغضب
كلهم غرقوا ولن يروا ثانية
لو أنه ظل حيا لجئت به بنفسى
والآن ، بالنسبة للملك المسلم نفسه
صدقني يا سيدي إنه قبل مرور شهر
سيلحق بك الى فرنسا الى مملكتك
هناك سيلاقى الايمان الذي انت به تعتقد
وهناك سيضع يديه بيدك ويؤدي يمين الولاء
ومذك سيستسلم مملكة اسبانيا اقطاعا له
ثم قال الملك : تبارك اسم الرب
حسنا صنعت ، سأجيزك خير الجزاء
في وسط الحشود ألف من الأبواق صدحت
وقوض الفرنسيون المعسكر ووضعوا بضائعهم على دواب
التحميل

- ٤١٤٤ -

الى الوطن الى فرنسا الجميلة كلهم باتوا قاصدين
٥٥ - عاث الملك شارلمان فسادا بالحدود الاسبانية
استولى على القلاع ، والمدن دمر والسكان ذبح
الآن قال الملك : إنه أنهى حروبه
نحو الوطن الى فرنسا الجميلة أدار الامبراطور رؤوس خيوله
.... (سقط بيت أوبيتان من الأصل)
علم صغير الى سنان رمح رولاند ربط
على الروابي عرضه هناك وراء الحدود (٧٠٨ - ٧٣٣)
في السهوب نصب الفرنسيون معسكراتهم حول بعضها بعضا
في داخل الوبيان الواسعة مضت الحشود السلامية الى الاسام
(كلهم شاكي السلاح) ليس لامته وحمل سلاحه
خوذاتهم مربوطة وسيوفهم في جفونها
الدروع معلقة على رقابهم ورماحهم مجهزة بشكل جيد
في اعالي الجبال في مكان كثيف توقفوا
اربعمائة ألف انتظروا هناك قدوم الصباح
يا الهي إنه لمخيف أن يكون الفرنسيون بدون تحنير
٥٦ - ومضى النهار وتبعه الظلام وحل محله
الامبراطور مستغرق في نومه ، شارلمان الجبار
حلم أن سبيله اعترض في بوابه سيزرا العالية
ممسكا بيده رمحه الاسمر العظيم
أمسكه الكونت غانلون ، وهزه
ويغضب عظيم لواه بشده وحطمه
والى السماء العالية طار الحطام وتناثر
وظل شارلمان نائما ، ولم يستيقظ
٥٧ - وبعد هذا الحلم رأى مناما آخر
رأى نفسه في بيعته في اكس في فرنسا
على ذراعه الايمن وضع دب شرير أسنانه
قادما من أربز رأى فهذا مقبلا نحوه بسرعة
وارتفع جسده بسرعة واستبد به الغضب
ثم من القاعة جرى كلب صيد بكل سرعة

- ٤١٤٥ -

وأقبل نحو غاذلون يعدو ويقفز
وبأول عضه أزال بوحشية أنفه اليمنى
ثم انعطاف نحو الفهد واشتبك معه في معركة حامية
وقال الفرزسيون جميعا القتبال جميل صالح للمشاهدة
(٧٣٤ - ٧٥٨)

لكن ما من أحد يمكنه أن يحزر من سيكون المنتصر
وظل شارلمان نائما ، ولم يستيقظ من نومه
٥٨ - وعبر ظلام الليل وانبلج نور الفجر
(ألف بوق) صبحت للحشود
وركب الامبراطور بأبهة ملكية وتابع زهابه
وقال شارلمان : أيها البارونات ، سادتي انتبهوا الآن
هذه هي الممرات العالية ، هذه هي المسالك الضيقة قريبة
ثم قال : من سيتولى قيادة جيش المؤخرة ويقوم بحفظهما
وقال غاذلون : أنا اسمي رولاند ابن زوجتي
ليس لديك بارون يمكن أن يباريه في جسارته
وعندما سمع الملك ، نظر اليه نظرة حادة
وخطابه بقوله : الشيطان حل بك حقا
الشمر قد تلبسك واستولى عليك كليا
من الذي سيحفظ المؤخرة أثناء تقدمي ؟
قال غاذلون : أوغيير الداني ، أنا أصوت له
ليس لديك بارون آخر يمكن ان يقوم بذلك بشجاعة أكبر
٥٩ - عندما سمع رولاند ما عين للقيام به
قام بالرد حسبما يليق بالفارس أن يفعل
مولاي ووالدي العزيز : إنني أبين لك بالشكر
في أنني عينت لقيادة المؤخرة بناء على رغبتك
شارلمان ملك فرنسا لن يعاني من الخسارة أبدا
أنا مفوضك بالمهر هناك وبسبرجه
ما من حيوان ركوب أو بغلة أو بغل
أو فرس نقل أو كديش لذلك سيخسر

- ٤١٤٦ -

باستثناء السيف أولا الذي اعطيته حقه (٧٥٩ - ٧٧٣)
وقال غاذلون : أعرفه ، لقد تفوهت بالصدق
٦٠ - عندما سمع رولاند أنه ناهب الى قوات المؤخرة
وأن زوج والدته هو الذي سماه ، تكلم بغضب صادر عن القلب :
له ، أيها الساحر الجبان ، والمجرم القذر ، والمنحط الاصل
لاتظن أن القفاز سيسقط من يدي
كما سقط الصولجان منك أمام الملك شارلمان
٦١ - ثم طالب الكونت رولاند الامبراطور بجسارة قائلا : أيها
الامبراطور العادل

من يميزك أعطني قوسك
وأقسم ما من انسان سيفتوه بكلمة نقد
في أن أسمح له بالسقوط من يدي
كما فعل غاذلون حين خلى الصولجان يهوي
وجلس الامبراطور مطرقا برأسه نحو الأسفل
وعبث بلحيته لحزنه وشدها حيناً على وجنته وحيناً على ذقنه
ولم يستطع أن يمنع دموعه من التدفق
٦٢ - وتقدم نايمون بعد دخوله نحو الملك (٧٧٤ - ٧٩٦)
ثم اتخذ مجلسه بشكل لاثق جدا
وخاطبه بقوله : لقد أصغيت الى هذا كله
الكونت رولاند سريع الغضب
قيادة الساقة قد لزمته
وليس لديك بارونا قادرا على جعله يستقيل
أعطه القوس الذي تمسكه بيدك
واختر خيرة الرجال ليعونه في هذه المهمة
وبناء عليه ناوله الملك اياه ، وامسكه رولاند
٦٣ - ثم توجه خاله الملك نحو رولاند بالخطاب قائلا
ابن أختي ، أيها السيد العاقل اسمعني الآن وانتبه لي جيدا
نصف جيشي سأترك بعهدتك لاداء هذا الواجب
احفظهم معك وستكون محفوظا معهم

وأجاب الكونت : لا ، أنا لن أوافق أبدا
ربي يقيني من مقارفة العار
سأحتفظ بعشرين ألفا من شجعان فرنسا
امض خلال الممرات بسلام وكن مطمئنا
لا تخش من انسان ما دمت على قيد الحياة
٦٤ - وامتطى رولاند حصانه المعد للقتال
ثم التحق به رفيقه أولفر
وجاء غيرين الشجاع والكونت غيرير
وجاء أوذنون وكذلك فعل بيرنغير
وانسيس العجوز وأستو الملىء بالفضائل
وجيرارد أيضا وروسيلون الأمير المتكبر (٧٩٧ - ٨١٨)
ومعهم جاء غانفير الدوق الغني
وقال رئيس الاساقفة : بحق السماء أنا معك سيدي
وأنا أيضا ، أكد الكونت وولتر
أنا رجل رولاند ، أنا به مرتبط لخدمته
اختاروا عشرين ألفا من الفرسان ليكونوا اتباعا لهم
٦٥ - الى وولترهوم أعطى الكونت رولاند أوامره
خذ ألف فرنسي من فرنسيي أرضنا
واحفظ الشعاب والمرتفعات على كلا الجانبين
لا تدع الامبراطور يفقد من جانبه رجلا واحدا
وقال وولتر : أنا مقبل على فعل كل ما طلبته
مع ألف فرنسي من فرنسا بلادهم العزيزة
على الشعاب والهضاب نشرهم الكونت وولتر لحفظ الجانبين
ليأتي ماسيأتي هو لن يتخلى مطلقا عن مواقفه
حتى يطبع سيفه بحده سبعمائة طبعة
الملك الميرك صاحب بالفيرنا الشاطيء
سيشتبك في ذلك اليوم مع هذه العصابة في قتال صعب
٦٦ - الهضاب عالية والوبيان عميقة ومظلمة
الصخور مخيفة والشعاب عابسة مريضة
وأضى الفرنسيون ذلك اليوم بألم وحزن

كان ضجيجهم مسموعا عن بعد خمس عشرة مرحلة كاملة
لكن عندما بعد طول انتظار رأوا أرض آبائهم
أرض سيدهم ، أرض غاسكوني (٨١٩ - ٨٤٥)
وقتها تذكروا مواطن عزتهم واقطاعاتهم
وزوجاتهم العزيزات اللاتي هم بشوق لتحيتهم
مامن واحد كان هناك لم يبك لشدّة انفعاله
وكان شارلمان أكثرهم شعورا بالحزن
فابن اخته ترك لحماية بوابات اسبانيا
في كل خلجة لم يكن قادرا على غير اختيار البكاء
٦٧ - الأتراك الاثني عشر خلفوا في اسبانيا
معهم عشرين ألفا من الفرنسيين الشجعان
كانوا شجعانا ، ومن الموت لا يخشون
الى أرض فرنسا ، سارع الامبراطور نحو أرض الوطن
وظل رأسه تحت رداثه مخفيا له
الى جانبه ركب الدوق نايمون
وسأل الملك : ما هي الهموم التي تفكر بها ؟
وقال شارلمان : إنه لعمل سيء أن تسأل لماذا
إنني حزين جدا ولا يمكنني إلا أن أتهد
من خلال غاندلون فرنسا الجميلة دمرت تماما
أراني ملاك رؤيا في الليل
كيف حطم في يدي رمحي تحطيا كاملا
هو الذي عين ابن اختي لقيادة قوات المؤخرة
في التخوم الأجنبية المهجورة رولاند مقيم
يارب ، ان فقدته ، لن أجد مثله أبدا
٦٨ - ولم يستطع شارلمان حبس دموعه
مائة ألف من الفرنسيين بكوا من أجله
ومن أجل الكونت رولاند كانوا بكل نهشة خائفين
هو الذي خانه اللورد غاندلون
الملك المسلم دفع جائزة عظيمة
نهباً وفضة وثياب الحرير والسقلاطون (٨٤٦ - ٨٦٩)

- ٤١٤٩ -

وخيل وبغال وجمال وحيوانات الصيد
واستدعى مارسليون بارونات اسبانيا
وامامه وقف نائبه الكونت المنصور
ايها السادة والامراء والشباب ذوي المكانة الرفيعة
اربعمائة الف جمعهم في ثلاثة ايام
في سرقة سطة امر بضرب الدفوف
مهوند وثنهم عاليا على البرج رفعوه
وكل مسلم تعبه واثنى عليه وحمده
ثم زحفت جيوشهم بقوة ومضت بعيدا
من خلال تيرا سيرا قطعوا الهضاب والوبيان
راوا الآن اعلاما فرنسية مذشورة
والرفاق الاثنا عشر الذين كاذوا في المؤخرة وقفوا ينتظرون
جاهزين للقتال ، وما من احد قادر ان يقول لهم لا
٦٩ - ومضى ابن اخت مارسليون مسافرا امام الحشود
وكان يركب بغلا كان يضربه بعصاه
وقال لخاله وضحكة بايية على لسانه
سيدي الملك العادل : لقد خدمتك جيدا وطويلا
كثيرا ما عانيت ومن المتاعب تحملت
في العديد من ساحات الوغى قاتلت وكثيرا من المعارك ربحت
الخربة الاولى ندو رولاند هي المكافاة الاولى التي اريد
بسيقي البتار سأشطر جسمه الى شطرين
وقتها ، سنال رضى مهوند وحظوته
بذلك سأحرر اسبانيا ، وافك قيودها .
من بوابة اسبانيا الى دور سـتانت ومـاوراء
ذلك (٨٧٠ - ٨٩٣)

سيخاف شارلمان وسينهزم الفرنسيون بالحال
وستنتخلص من الحروب طوال حياتك
وحصل على القفاز من الملك مارسليون
٧٠ - وامسك ابن اخت مارسليون القفاز بيده

ثم شرع يخاطب خاله قائلا :
سيدي الحكيم ومليكي لقد أعطيتني عطية ثمينة
اختر لي اثني عشر أميرا ، خيرة من تستطيع انتقاؤه
ضد الأتراب الاثني عشر شجعاننا سيكمنون
وكان فالسرون أول من استجاب وتميز
وكان أخا لمارسليون الملك
أنا وأنت يا بن أختي سنذهب بسرور لها
بكل يقين سنبيين في هذه المعركة
مع مؤخرة شارلمان ، تلك القوات التي حشدها لنفسه
ان كل شيء قد تم ، وكلهم قد قتلوا من قبلنا
٧١ - واندفع الآن الملك كورسابليس من بين الجموع
بربري المولد لفن السحر متقن
ومثل رجل شجاع شرع بكل جسارة يتكلم
لن أكون جبانا ، لا ، ليس من أجل جميع ذهب الرب
..... (سقط من الأصل عدة أبيات)
وجاء مالبريمبس صاحب بريغيل يتدفق شجاعة
كان يمكنه أن يسابق على قدميه مهرا سريعا
وقال بصوت مرتفع متبججا أمام مارسيل
سأذهب بذنبي معك الى رونسيفو
واذا ما وجدت رولاند سأقاتله حتى أقتله
٧٢ - جاء من بالاغويت أمير (٨٩٤ - ٩١٨)
شكله شكل ذبيل عيناه شجاعتان وذقيتان
وعندما يمتطي ظهر حصانه للقيام بمهمة
يحملة بشجاعة شاكي السلاح للمعركة
وكانت شجاعته معروفة من القريب والبعيد
وهو وان لم يكن مسيحيا ظهر بمظهر فارس صحيح
وأمام مارسيل صرخ حتى يسمعه الجميع :
قائلا الى رونسيفو أنا أخذ طريقي مسرعا
إذا ما وجدت رولاند سيكون الموت نصيبه
وأولفر أيضا وجميع الأتراب الاثني عشر

- ٤١٥١ -

الفرنسيون سيموتون ميتة عار ودموع
الملك شارلمان العجوز الفاني والأصم
سيمل حالا من اثاره الحرب هنا
ستكون اسبانيا لنا في سلام لسنين طويلة
وصب الملك مارسيل كلمات الشكر في أننيه
٧٣ - وجاء المنصور سيد مورياني
لم يكن هناك أشد شكيمه منه في اسبانيا كلها
وأمام مارسيل وقف متبجحا متفاخرا يقول :
الى رونسيفو سأقود جماعتي مباشرة
عشرون ألفا في الصفوف يحملون الرماح والحراب
بحق عقيدتي اذا مالقيت رولاند سأقتله
ومامن فجر يوم سيمر الا وسيبكيه شارلمان
٧٤ - وبعده جاء تورغيز صاحب تورتيلوزا
كان أميرا وكان يمتلك المدينة كلها
وأبدى دوما سوء نواياه تجاه المسيحيين
وقف أمام مارسيل واصطف خلفه أتباعه (٩١٩ - ٩٤٦)
وخاطب الملك قائلا : لاتخف من أي واحد من الاعداء
مهوند اسمى بكثير من القديس بطرس الروماني
أخدمه ، ساحة الوغى لنا ، وغنائم الحرب لنا
الى رونسيفو أنا ذاهب للقاء رولاند
هناك سيموت ، هناك لن يلقي مساعدة انسان
انظر هنا الى سيفي كم هو طويل وأصيل
أعده ضد دورندال وأراه له ند شجاع
من الذي سيدتصر ؟ لن يطول بك المقام حتى تعرف
الفرنسيون سيلقون حتفهم اذا ماتجروا على التصدي لنا
شارلمان العجوز سيبكي طويلا وينتحب
التاج لن يلبسه بعد تلك اللحظة
٧٥ - وكان اسكريميز صاحب فالتيريني هو التالي
هو مالك لها كاقطاع ، وهو مسلم
وأمام مارسيل صرخ وسط الجموع :

- ٤١٥٢ -

أنا ناهب الى رونسفال لأفرق جموعهم
وأذا ما وجدت رولاند هناك سيفقد رأسه
وأولفر الذي هو رئيس البقية
الاثني عشر رفيقا سيمدون بين الاموات
والفرنسيون سيموتون وفرنسا ستكون خاسرة
وقلة من الرجال الجديرين سيتركون لشارلمان
٧٦ - ثم جاء مسلم اسمه استورغان
ومعه جاء استرامارين رفيقه
شيران خبيثان كلاهما كانا ومتامران خائنان
ثم قال مارسيل : ايها الاساة اقتربا مني ، أرجوكم
هل تريدان ان تشقا طريقكما خلال رونسيفو
وأقود قواتي وتقدما لنا أفضل مساعداتكما ؟
وأجابا : أئمرنا ونحن سنطيع
على كل من أولفر ورولاند سننقض (٩٤٧ - ٩٧٤)
من الاتراب الاثني عشر ن ينجو ، من الموت
سيوفنا مشحونة ونصالها ممتازة
كلهم سنصبغهم بالدماء الساخنة الحمراء ذلك اليوم
الفرنسيون سيموتون وشارلمان سينزل به الويل
وسنقدم لك هدية وطن عرقهم
ايها الملك تعال معنا وانظر كيف ستمضي المعركة
وكهدية سنعطيك شارلمان
٧٧ - ثم جاء مسرعا مرغريس صاحب اشبيلية
الذي يمتلك من البلاد بعيدا حتى كازمرين
السيدات جميعا يحبينه ، لانه كان جميلا جدا
تلك التي تحويه على شفقتها ابتسامة
سواء اشاءت هي أم أبت لا بد أن تضحك كثيرا
وليس هناك مسلم يوازيه بالفروسية
لقد التحق بالجميع وصرخ نحو الملك قائلا :
سيد الجميع لاتخش أبدا من الخسارة
في رونسيفو الى رولاند هذا سأذهب وأقتله

- ٤١٥٣ -

وأولفر سوف لن يعيش طويلا
جميع الرفاق الاثني عشر سأمزقهم اربا اربا
تعالوا وانظروا ، هذا هو سيفي بمقبض مذهب
أمير الأمراء أعطانيه هدية
أقسم أنني سأصبغه بالدماء القائلة حتى مقبضه
الفرنسيون سيموتون وفرنسا في العار ستعيش
شارلمان ذي اللحية الشهباء ، لن يعيش كما أظن
يوما ، الا وسيزمجر ويبكي لهذا
فرنسا ستكون لنا ، في سنة ، اذا ما أردنا
في سانت نيزس سنأكل وننام كما نريد
وقدم الملك المسلم تحية وافية وعميقة له
٧٨ - وأخيرا جاء شيرزوبلز ص-----احب
مونغير (٩٧٥ - ١٠٠٣)

شعره غير المقصوص جره متدليا حتى قدميه
بإمكانه أثناء التباري ان يحمل على كتفيه اذا أراد
وزنا أكثر مما يستطيع أربعة بغال أقوياء أن يحملوه
انه يقطن في منطقة ، فيها كما يعتقد
الشمس لا تشرق ابدا ، وهي لاتنبت حبة قمح
لامطر يمكن أن يهطل والندى لم ير فيها قط
هناك كل حجر أسود أكثر من الاسود
وبعض الناس يقول انها موطن الشيطان
وقال شيرزوبلز : سيفي موضوع في غمده
في روزسيفو سأصبغه كله بالدم الأحمر
اذا ماعبر رولاند من ممري ، ذلك الرئيس الشجاع
ولم أطعنه ، لاتنقن بي أبدا
امام سيفي هذا سينهزم دورندال
الفرنسيون سيموتون وفرنسا ستترك عرضة للنهب
هذا ما قيل ، واجتمع الأبطال الاثنا عشر للتشاور
لقد قادوا مائة ألف مسلم شجاع
كل واحد منهم كان يلتهب حماسا ليقوم بانجازات عظيمة

في ظل ايكه من شجر الارز سلحوهم لاقتال
٧٩ - ارتدى المسلمون الآن السوابغ الاسلامية
وضاعف معظمهم سوابغهم ثلاث مرات
وشدوا على رؤوسهم باحكام الخوذ السرقةسطية الجينة
سيوف من فولاذ فيانا علقت على اوساطهم
وحملوا رماحا بلنسية وترسة جينة تماما
وكانت راياتهم ارجوانية وزرقاء وبيضاء
وخلفوا بغالهم واكاديشهم
وامتطوا ظهور مهورهم
وساروا في صفوف متلاصقة
وكان النهار جميلا ، وتللا نور الشمس بوضوح
الف بوق صبحت لظهار مزيد من السرور (١٠٠٤ - ١٠٣١)
وكانت الضجة عظيمة ، ووصلت الى صفوف الفرنسيين
وقال اولفر : يخيلى لي يارفاقي
سنحتاج الى هذا اليوم للقتال ضد المسلمين
وريد رولاند : ارجو الرب ان تكون محقا
هنا ينبغي ان نقف لنخدم الى جانب الملك
على الرجال ان يتحملوا في سبيل ساداتهم مصاعب جمة
وان يتحملوا الحر الشديد والبرد القارص في كل موسم
وان يضحدوا في سبيله - اذا اقتضت الحاجة - بالبشرة والروح
انتبهوا الي الآن - ليطعن كل رجل بشدة
لن تغنى اغاني مخجلة لتعييرنا
المسلمون على خطأ والمسيحيون على صواب
وانا اقول : لن تحكى عني حكايا مريضة
٨٠ - وتسلق اولفر على شرف مرتفع
ونظر الى يمينه عبر الشعب المعشوشب
ورأى المسلمين وكيف كانوا يسرون متراصين
ودعا رفيقة رولاند وقال :
ارى من اسبانيا امواجا وصفوفا تتدفق
وسوابغ كثيرة لامعه ، وكثيرا من الخوذ المشعة

يوما من الغضب سيجعلونه لفرنسينا
غاذلون ذي القلب الزائف والمتورط في الخيانة كان يعرف ذلك
عندما سمنا للامبراطور للقيام بهذه المهمة
وقال رولاند : اسكت ياكونت أولفر اسكت يا صديقي
هو زوج والدتي ، لن اسمح بكلمة ضده
٨١ - وتسلق أولفر تلة مشرفة على السهل
منها كان يمكنه ان يرى ارض اسبانيا كلها
ويرى كم هي صفوف المسلمين كبيرة
ويرى الخوذ البراقة والمتلألئة بالذهب والجواهر
وجميع الترسات وكل الدروع والسكاكين والبنادق
واللance (١٠٣٢ - ١٠٥٨)

وجميع الرماح التي ترفرف الاعلام فوق اسنتها
حتى فيالقهم كان غير قادر على تقديرها
لم يستطع عدها ، كانت أعدادها كبيرة جدا
ومع أنه قوي متماسك فقد شعر برعب عظيم
وبادر الى الهبوط بكل ماأوتيه من سرعة
وجاء الى الفرنسيين وأخبرهم بحكايته كلها
٨٢ – قال أولافر : القوات المسلمة التي رأيت
لم يجتمع مثلها قط على وجه الأرض
مائة ألف متقاطرون تحت التروس
خوذهم مشدوبة وسوابغهم براقه
رماحهم مرفوعة بأسنة فولانية مشعة
ستواجهون معركة لم يواجه أحد مثلها على ساحة الوغى
سادتي الفرنسيين ليمذكّم الرب بالقوة وقت الحاجة إليها
انقذوا موقفكم بسرعة ، هذا المكان لايمكن الحفاظ عليه
وقال الفرنسيون جميعا ، عار مهين ان نفر
نحن رجالك حتى الموت ، مامن رجل منا سيتراجع
٨٣ – قال أولافر : حشود المسلمين هائلة
وفرنسيونا عددهم ليس بالكبير

يارفيقي رولاند : أرجوك دع بوقك يصدح
حتى يمكن لشارلمان أن يسمع ويعود مع قواته كلها
ورد رولاند : مجنون أنا اذا ، لا بل أكثر
وسمعتي في فرنسا الجميلة ستتشوه
سأضرب الجموع العظيمة بسيفي دورندال
سأصبغه بالدم الأحمر حتى مقبضه
وصل المسلمون الى هذا الممر في صباح تعيس
أقسم لكم الموت سيكون ماكتب لهم هاهنا
٨٤ - يارفيقي رولاند ، اصدح ببوقك العاجي
سيسمعنا الملك شارلمان وسيعود نحونا مع قواته
سيذقنا بوساطة قوات فرسانه
ورد رولاند : لاسمح الرب بذلك
في أن ألقى العار على بيتي
أو على فرنسا الجميلة أنزل أي عار
الأفضل أن أقاتل بدورندال وأضارب
بهذا السيف المعلق بكثفي والمتدلي برباط منه
من رأسه حتى مقبضه سترى الدماء تسيل عليه
الويل للمسلمين الذين سيعانون من هزيمة ماواجهوا مثلها قط
أقسم بايماني سنطعنهم ونلقيهم موتى على القاع
٨٥ - رفيقي رولاند ، انفخ في بوقك
شارلمان في الممرات سيسمع الصوت وهو يسير
صدقوني سيعود الفرنسيون مباشرة
وأجاب رولاند مغضبا ، الآن الرب يمنع ذلك
ذلك الرجل الحي ينبغي أن يقول انه رأني اذهب
نفخ الأبواق من أجل أي من أعدائنا المسلمين
لن يتعرض أقربائي للانتقاد قط
عندما سأقف في صدام الحشود العظيمة هذا
سأضرب ألف ضربة ثم أتبعها بسبعمئة أخرى
الدماء الحمراء ستسيل على فولاذ دورندال
الفرنسيون أقوياء ، سيدشبون معركة جسورة

رجال اسبانيا هؤلاء سيموتون ولا أمل امامهم
٨٦ - قال اولفر : هاهنا لا أرى ملامة (١٠٨٢ - ١١٠٩)
لقد تفحصت مسلمي اسبانيا فوجدتهم
يغطون جميع الجبال والواديان
وقد انتشروا على أطراف الهضاب والسهول
الطاقة التي يعرضها هؤلاء الا جانب هائلة
وصدفونا تبدو صغيرة
وقال رولاند : أنا مشتاق أكثر للنزال
وأصلي الآن للرب وملاؤكته ليحول
دون وسم فرنسا الجميلة بالعار من قبلي
أنا أفضل أن أموت على أن يلحق بها العار
إذا كان الملك يحبنا فمن أجل شجاعتنا
٨٧ - رولاند مندفع وأولفر متعقل
وكلاهما في ميدان الشجاعة فازا بالجائزة
وما أن يمتطيا فرسيهما ويتسلحا فقرار الحرب قد اتخذ
خوفا من الموت لم يهربا قط من ساح الوغى
الكونتان شجاعان كلاهما يحرض ويرفع المعذويات
والآن زحف المسلمون المزيفون بحذق عظيم
وقال اولفر : انظر رولاند انهم على مدى البصر
شارلمان بعيد جدا ، هؤلاء قريبون جدا
أنت لن تدفع ببوقك بسبب كبريائك
لو كنا مكان الامبراطور لكنا على أحسن مايرام
التفت نحو بوابة اسبانيا وارفع عينيك
انظر بفسك الى الوضع المأساوي الذي فيه قواتنا
الذي سيقا تل هذا اليوم لن يرى قتالا بعد هذا
ورد رولاند : لاتدفعه بمثل هذا الكلام الممجوج
ملعون الصدر الذي يعرف قلبه الجبن
هنا في هذا المكان سنقف وهنا سنقيم أبدا
ليكن اللكم والضرب لنا حتى نأخذ ونطعن
٨٨ - عندما رأى رولاند أن المعركة لا بد واقعة

هناك (١١١٠ - ١١٣٦)
لا الفهد ولا الاسد بدوا أكثر شجاعة منه
هو دعا الفرنسيين وأمر أولفر ان يصغي :
السادة الأصدقاء والرفاق بكلمات من هذا القبيل لن تتدفقوا
عندما أعطانا الملك الفرنسيين للقيام بهذا الواجب
هؤلاء العشرين ألفا اختارهم لأداء هذا العمل
عرف جيدا أن مامن واحد منهم سيتردد أو يهرب
على الرجال تحمل المشاق العظيمة من أجل مولاها
وأن يتحملوا في سبيله البرد القارص والحر المحرق
وأن يعانوا من الجراح الكبيرة وأن يدعوا أجسادهم تنزف
اطعوا بأسنتكم سأضرب بسيفي البتار
دورندال الذي أعطانيه الامبراطور
وإذا مامت على الذي يناله أن يوافق
على أن من سيحمله لابد أن يكون فارسا جيدا وجديرا
٨٩ - ثم الى جانبهم جاء رئيس الأساقفة توربين
ممتطيا فرسه وعلى طرف رابية اعتلى
ودعا الفرنسيين وأقام لهم قداسا وقال في مواظبه :
أيها البارونات ، سادتي ، اختارنا الملك شارلمان لهذا الغرض
علينا ان نستعد للموت في خدمة مليكنا
المسيحية بحاجة لنا ، لذا ساعدونا على الحفاظ عليها
المعركة ستخوضون ، أعينكم قد شاهدتهم
اضربوا الآن صدوركم واسألوا الرب رحمته
أنا سوف احللكم وأضمن أرواحكم
إذا مامتم ستكون الشهادة نصيبكم
وستقيمون في أعالي الفردوس أبدا
وابتهج الفرنسيون وجثوا على ركبهم يتعبدون
وللرب اعتبروا ولهم منح رئيس الأساقفة التبريكات
(١١٣٧ - ١١٦٤)
ولنيلهم الغفران أمرهم بالضرب بصلابة

٩٠ - ونهض الفرنسيون ووقفوا على أقدامهم متقاربين

كلهم قد حالوا من نذوبهم وتحرروا

ولهم منح رئيس الاساقفة التبريكات

ثم قفز كل منهم على ظهر مهره السريع واستقر على سرجه

وكلهم تسليح بالسلح الذي أوجبه قانون الفروسية

نحن الآن جميعاً جاهزين للذهاب الى ساحة العراك

وقال الكونت رولاند لاولفر ما يلي مباشرة :

سيدي ورفيقي الكلمة التي تفوهت بها صحيحة جداً

لقد باعنا غاذاون جميعاً

لقد أخذ ثروات عظيمة وبضائع وذهباً

وأعتقد أن انتقام الامبراطور لن يكون بطيئاً

لقد راهن الملك ما رسيل على أجساننا

سيحتاج الى السيف لجلب ما شراه الى الديار

٩١ - مضى رولاند خلال بوابات اسبانيا عابراً على ظهر فرسه

نحو ميلانثف ساق فرسه مسرعاً

وكان هو الذي مضى شاكي السلاح

نحو سماء رفع سنان رمحه بعيداً

وربط على قناته ريشة بيضاء كالحليب

وكان حوافها تلامس يده عند المقبض

حمل بذبل وبوجه مشرق ضاحك

وسار مرافقه خلفه مجدين

وأعلن الفرنسيون جميعاً أنه حاميههم

والقى نحو المسلمين نظرة كبرياء

لكن ما القاه نحو رجال فرنسا كان لطيفاً ناعماً

فإليهم تحدث دوماً من قلب ودود

والآن سادتي البارونات ، ازحفوا وتقعدوا بخرطاكم

(١١٦٥ - ١١٨٧)

انظروا الى هؤلاء المسلمين المرعبين وهم يزحفون بحجم عظيم

سنحصل مع مرور هذا اليوم على غنائم ثمينة ورائعة

لم يحصل أي ملك فرنسي على نصف مثلها قط

وفيما هو يتكلم كانت المعركة قد بدأت وكان القتال قد نشب
٩٢ - وقال أوافر : ليس لدي المزيد لقوله
لن تسمع بذيغ بوقك طالبا للمساعدة
والى هنا لن يأتي شارلمان
ما يعرفه قليل ولن يوجه اللوم الى القلب الشجاع
ومثله الذين معه ، فهم لم يفتروا خطأ من الأخطاء
ازحف الآن الى الامام وافعل خير ما يمكنك فعله
أيها البارونات ، سائتي ، اثبتوا وسط المعركة
أرجوكم ، من أجل الرب ، كوفوا شجعان ثابتين
لتطعنوا بشدة وقضربوا ، لتأخذوا منهم وتعطوهم
لا تذسوا شعار الملك شارلمان أن لاتنادوا به
وضرخ الفرنسيون معا صوتا مجلجلا
جعل كل من سمعه يهب مرعوبا
وسيتذكر شجاعتهم طوال ايامه
واندفعوا مهاجمين فالرب لم يرقط مثلهم شجاعة
ونخسوا خيولهم لتسرع غاية السرعة
وانقضوا يقاتلون ذلك أنه لم يكن أمامهم سبيل آخر
والتحم المسلمون بهم بكل شجاعة
وبات المسلمون والفرنجة يقاتلون وجها لوجه
وتقدم الآن أدلروث - ابن أخت الملك مـارسيلون
(١١٨٨ - ١٢١٦)

أمام الحشود وكان الاول بين اتباعه
وخاطب الفرنسيين بالكلمات الشريرة التالية :
أيها الفرنسيون الشجعان عليكم أن تدركوا معنا
أنكم قد خنتم من قبل الذي عليه حمايتكم
ينقص ملككم الذكاء لانه في الممرات ترككم
ستخسر فرنسا الجميلة شرفها في هذه المغامرة
من جسم شارلمان نراعه اليمنى ستقطع
عندما سمع رولاند هذا ، الرب وحده يعرف مقدار غضبه
غمز حصانه وأرخص عنانه وعاقه برنائه

وسدد ضربة بذل فيها كل ما أوتيته من قوة
فشطر المجن والدرع حطم
والصدر مزق ولعظام الصدر خرق
ومن ظهر الرجل أخرج عظام الظهر ملتوية
وروحه وكل ما فيه أحضره على سنان الرمح
وطعنه طعنة نافذة ومن على سرجه ألقاه
وأطاح به ورمى به بعيدا مقدار طول قصبة أو أكثر
والى قسمين قطع رقبتة
ثم اليه توجه بالخطاب وقال له :
لن تدفوه ثانية بأن الامبراطور يعوزك الذكاء
لانه ليس كذلك ولانه لم يحب الخيانة قط
لقد صنع ما هو صحيح ذاك الذي تركنا بالمرات
ولن تدفد فرنسا شرفها بهذه المغامرة
الدم الاول لنا ، امضوا في سبيلكم يا شجعان فرنسا
وكونوا الى جانبنا واسيدوا الى هؤلاء السحرة
٩٤ - وكان هناك أمير اسمه فالسارون
وكان أخا للملك مارسيلون
وقد امتلك أرض ابيرام ودانان
ولم يكن تحت السماء من هو أشجع منه
بين عينيه كان حاجباه كثيفان ونافران (١٢١٧ - ١٢٤٧)
أفترض أن طولهما كان نصف قدم تماما
وقد ندب مقتل ابن اخته بمرارة
ومن بين الصدوف اندفع وحيدا
وفيما هو مندفع نادى بشعار المسلمين .
وعلى الفرنسيين صب اللعنات الشريرة
فرنسا الجميلة ستجد شرفها اليوم قد طار
وسمعه أولفر وازداد غضبه منه
ونخس حصانه بمهمازيه الزهبيين
واندفع بخلق فروسى ليطعن عدوه
فحطم درعه وخرق سابغته

وجعل رمحه يذف من صدره وكذلك حربته
وأطاح به ومن على ظهر حصانه رماه مقدار قصبة
انظر نحو الأسفل لتري الكافر قد تمدد ميتا
وهكذا خاطبه بصوت كله فخار :
أيها المنحط أنا لن أعبأ بتهديداتك ولن اهتم
أيها الساسة الفرنسيون ، اضربوا ، سنلقيهم جميعا على الأرض
وبشعار حرب شارلمان - جبل المسرة رنادوا بكل شجاعة
٩٥ - وكان هناك ملك اسمه كورسايلاس
من أرض بعيدة جاء ، من بلاد البربر
الى المسلمين توجه بالخطاب قائلا :
حسنًا هل اتخذنا موقع القتال هذا لنحتفظ به
لأن أعداد هؤلاء الفرنجة ضعيفة
وبماكاننا التخلص من هؤلاء القلة الذين نرى
لن يستطيع شارلمان القدوم لمساعدتهم وقت الحاجة
هذا هو اليوم الذي قضي فيه بموتهم جميعا
وأصغى رئيس الاساقفة توربين الى خطابه
فأبغضه أكثر من ابغاضه لأي انسان في الوجود
وبمهمازيه الذهبيين نخس بشدة مهره
وساق ضده واندفع اندفاع الشجاع
فحطم درعه ومزق سابغته الفولانية
وفي صدره دفع سنان رمحه عميقا (١٢٤٨ - ١٢٧٤)
وجعله يذف من منه ، ثم الاقاه كومة هامة
ورماه ميتا مقدار طول رمح بعيدا عنه
ونظر نحو الأرض فرأه تحت قدميه
لكن ليخاطبه لم يتوقف بل تابع سيره نحوه قائلا :
أيها الكافر الشرير ، كذبت بكل ما تفوهت به
سيدي شارلمان العظيم لن يتوقف عن تقديم المساعدة لنا
وليس لدى فرنسيينا أننى رغبة بالفرار
وأصدقائك هؤلاء من بين جنسك نريد أن نترك لهم
أخبارا : ستموتون ، وهناك ستكودون

- ٤١٦٣ -

أيها الفرزسيون ، تابعوا سيركم نحو الوطن ولا تذسوا أصولكم
الطيبة

الضربة الطيبة الاولى لنا - حمدا للرب
وصاح - جبل المسرة - ليشجع جميع المحاربين
٩٦ - وضرب غيرين مالبريمز صاحب بريغيل
ولم يصمد درعه ولم يذفعه أبدا
وحطم المجوهرات المرصع بها وأحاله الى فتات
ووقع شطر الدرع على الأرض
وقطع السابغة ووصل الى الجسد
والى القلب سد رمحه وجعله يذف
وسقط المسلم وتمدد على الأرض بكل ما عليه
ثم جاء الشيطان وحمل روحه بعيدا
٩٧ - واندفع غيريير صديقه نحو الأمير
شطر درعه وقطع عراه
ومرر رمحه في صدره وأحشائه
وبعدما دفعه عميقا مرره من ظهره
ثم رمى به وجعل جسده يطير مقدار طول رمح
وقال أولفر : نحن أفلحنا في عملنا
واندفع الدوق سمسون نحو الأمير المنصور (١٢٧٥ - ١٢٩٦)
وخرق درعه المذهب والذي عليه رسوم الورود
ولم تفده سابغته ولم تدفع عنه
مزق قلبه ، وكبدته ، ورثتيه
وضربه فخرميتا ، لا يبكي ولا يبكيه أحد
وصرخ رئيس الاساقفة : هذه مهارة الفرسان وأعمالهم
٩٩ - وأرخى أنسيس العنان لمهرة الجيد
واندفع وساق مسرعا نحو تورغير صاحب تورتلوز
وخرق درعه حيث كان مطليا بالذهب
ونفذت ضربته خلال سابغته المزدوجة
والى داخل جسمه أنفذ سنانة الفولاني

- ٤١٦٤ -

وجعله يمر من خلال ظهره
ثم أطاح به وقذفه ميتا مقدار طول رمح
وقال رولاند : رائع ، هذا عمل من أعمال الشجعان
١٠٠ - أما انغلير الكاسكوني صاحب بورديو
فقد نخس مهره الطيب وأرخص له عنانه وتركه يمضي
ومن اسكرير سيد فالتيرنا اقترب
وحطم الياقة التي أحاطت بعنقه
والسابقة مزقتها بضربة واحدة
وفصل رأسه عن جسده
وأطاح به ورماه بعيدا مقدار طول رمح تماما
ثم قال له : ليأخذ الشيطان روحك
١:١ - وضرب أوثنون مسلما اسمه اسستورغاننت
(١٢٩٧ - ١٣١٩)
وسدد ضربة نحو النقطة البيضاء في درعه
وهكذا تمزق البياض وتحطم الأرجوان
وخرقت سابغته ومزقت
ومضى الرمح خارقا جسده
ومن على ظهر مهره السريع أطيح به وسقط ميتا
وقال : والآن ، احصل على الراحة إذا تمكنت
١٠٢ - ثم ساق بيرنغر نحو استرامارن
فحطم درعه ومزق سابغته
وعلى فتاة رمحه القوي حمل جسده
ثم رماه ميتا وسط آلاف المسلمين
وبات الآن عشرة من الأتراك الاثني عشر مقتولين
اثان منهم وليس أكثر ظلا بين الأحياء
وهذان هما شارنوبل والكونت ما رغاريس
١٠٣ - والآن مارغاريس واحد من الرفاق الشجعان
نشيط وقوي ، ماهر وسريع وشجاع
غمز حصانه ليضرب أولفر
وشطر درعه وقطع العلامة الذهبية التي عليه

- ٤١٦٥ -

وعلى طول جنبه مر سنان الرمح اللامع
لكن بنعمة الرب جسمه لم يخرق
كما أنه لم يقع مع أن الضربة حطمت رمحه
ومربه المسلم وهو يؤذي واجبه تماما
واستدعى رجاله بصوت مجلجل واضح
١٠٤ - المعركة كبيرة والحشود هائلة (١٣٢٠ - ١٣٤٨)
لم يتوقف الكونت عن الطعن في ذلك اليوم
وصال وجال برمحه ما دام سنانه في مكانه
وتلقى خمس عشرة ضربة شديدة حتى انقصف وتحطم
ثم امشق حسامه دورندال وتناوله
وغمز مهره وساق بسرعة ضد شارنوبل
وبسرعة البرق قطع الخونة
وجرى وسط العرف الفولاني ثم في الراس ثم في المخ
ومضى خلال السرج ذي الصفائح الذهبية
وظل نصل هذا السيف ماضيا في جسد الحصان
لم يقف في سبيله شيء ومر قاطعا
فالقى بالحصان والرجل ميتين على السهل المعشوشب
اسقط أيها القدر ، أيها الجبان ، ولن تقاتل ثانية
وقال ايضا : لن يأتي محمد (صلى الله عليه وسلم) لمساعدتك
ابدا

شجاع مثلك عبثا حاول نيل النصر .
١٠٥ - ومضى رولاند وسط المعركة على ظهر حصانه
وبسيفه الجيد ، دورندال يضرب ويقطع
وما جباه من المسلمين كان مرعبا
لو رأيت ، لرأيت يلقى جثة ميت فوق جثة ميت آخر
ولرأيت الدم القاني حول طريقه
واصطبغ درعه وذراعه بالدم أثناء القتال
وتلون حصانه بالدم من عرفه الى حوافره
ولم يتوقف أولفر ايضا عن الضرب

ولم يكن الاتراب الاثني عشر متخالفين عنهما
وكان الفرذسيون جميعا يضربون ويطلعون
وسقط المسلمون بعضهم موتى وبعضهم يموتون
وقال رئيس الاساقفة : ليبارك الرب فـرساننا
(١٣٤٩ - ١٣٧٢)

وصرخ - جبل المسرة - شعار حرب شارلمان الجبار
١٠٦ - ومضى أولفر على ظهر حصانه وسط الدشود
رمحه قد انقصف وظل بعض القناة معه فقط
وساق مباشرة ضد مالون المسلم
فحطم درعه ذي الورود والمحلى بالذهب
واقطلع عينيه من رأسه
وهكذا تطاير مخه حول قدميه
والقى بالجثة وسط سبعمائة من الاموات
ذبح توزغيز ثم الحق به استورغوت
حتى تحطمت القناة وباتت أجزاء
صرخ رولاند : ماذا تفعل يا صديقي ؟
انا لن اعطيك قناة ضعيفة عوضا عنها
هنا يدفع الفولاذ ، الفولاذ فقط ولا شيء آخر
أين هو سيفك هوتيكليز حسبما سميته ؟
بشاربيه الذهبيين ومقبضه المرصع بالجواهر
وقال أولفر : لم أجد الوقت لامتشاقه
كنت مشغولا بالضرب يمنا وشمالا
١٠٧ - وامتشق أولفر سيفه الممتاز
بناء على الحاج من صديقه رولاند
الآن سيبرهن به أنه فارس قوي بذراعيه
وجهه ضربة الى المسلم جوستين صاحب وادي فيرات
فمضى في وسط رأسه وحطمه
وشق منكبيه وصدره وظهره
والسرج المحلى بالذهب والمرصع بالجواهر (١٣٧٣ - ١٣٩٥)

- ٤١٦٧ -

ووصل الى ظهر الحصان فقطعه
وسقط الجميع وتمددوا على الأرض موتى أمامه
وقال رولاند : بعد هذا ، سأدعوك أخي
لمثل هذه الضربات أحب امبراطورنا الرجال
ومضى النداء - جبل المسرة - عاليا فوق كل يد
١٠٨ - انطلق الكونت غيرين على ظهر مهره سوريل
ومثله فعل رفيقه غيرييز على ظهر باسيسيرف
كلاهما أطلقا اعنتهما ومضيا الى الامام
وتوجها ليضربا المسلم يتموزيل
أحدهما على ترسه والآخر على صدره
وخرق رمحاهما في لحظة واحدة صدره
وألقيا به نحو الأرض ميتا
إنني لا أعرف ، كما لا أستطيع أن أروي
أي الاثنين كان أسرع وأمضى
(وبعدها انغلير الفارس من بورديو
قتل اسبريفير الذي كان ابنا لبوريل)
وأطاح رئيس الاساقفة توربين بسفلوريل
الساحر الذي ذهب فورا الى الجحيم
والذي قاد جوبتير بتعاويذه السحرية
وقال توربين وقتها : كتب عليه الموت
ورد رولاند : جاءت نهاية الدنيا
بضربة من أخي أولفر جعلتني في غاية السرور
١٠٩ - وكان القتال ضاريا وازداد ايضا ضراوة
(١٣٩٦ - ١٤٢٢)

وقاتل الطرفان الفردي والمسلم بكل شدة
بعضهم يضرب وبعضهم يرمي
عدد كبير من الرماح صبغت هناك بالدماء وتحطمت
كم من الرايات وكم من الأعلام تلطخت ومزقت
كم من شباب فرنسا في عمر الورود طرحوا أمواتا

الذين لن تلتقي بهم أزواجهم وأمهاتهم ثانية
ولا الفرنسيين الذين وقفوا بانتظارهم على الطريق
لا بد أن يبكي الملك شارلمان وينتحب لما فعله العدو
ماذا يمكنه أن يفعل ؟ هو لا يمكنه انقاذ شعبه
هل سيخدم الكونت غانلون شارلمان عندما يمضي
الى سر قسطه وهو قد باع شعبه كله
لهذا فقد روحه وأطرافه

على حبل المشنقة بعدما حاكموه في اكس
وجرى شندق ثلاثين من أقربائه ايضا
ممن لم يعتقد أنه سيلاقي مثل هذه النهاية
١١٠ - المعركة ضارية والقتال يزداد قسوة
وضرب أولفر وروланд بكل شجاعة
وسدد رئيس الاساقفة آلاف الضربات الشديدة
ولم يتخاف الاثراب الاثنا عشر في الورا
وتقدمت الصفوف الرئسية وقاتلت بكل قواها
مئات الالوف من جنث المسلمين تكومت

ما من أحد أمكنه النجاء ما لم يدير ظهره ويفر
سواء أرغب أم لم يرغب لا بد أن يفقد حياته
ولا بد أن تفقد فرنسا هناك خيرة فرسانها
هم لن يروا ثانية أقربائهم أو ذويهم
ولن يرو شارلمان الذي راقب الممرات بعيون قلقة
وسرت في خلال فرنسا كلها روح من الرعب (١٤٢٣ - ١٤٤٨)
سمعت أصوات الرعود وهبت رياح عاصفة شديدة
وتساقط من السماء مطر وبرد لم يعهد لهما مثيل
وكان هناك برق كثيف أضاء الأرجاء
وفي الحقيقة زلزلت الأرض طولا وعرضا
بعيدا حتى القديسين ووصلوا الى شاطئ القديس ميكايل
وشعر بها من بيسانكون الى ميناء ويسانت
ولم يبق بيت أو جدار الا تشقق وتصدع

- ٤١٦٩ -

ووقت الظهيرة حل ظلام مثل الليل الدامس
وباستثناء البرق لم يكن هناك بارقة ضوء
ما من احد واجه ذلك الا وشعر برعب شديد
وقال كثيرون : هذا يوم الآخرة
انها نهاية الدنيا وبنا يوم الحساب العظيم
هم لم يقولوا الصدق وما كان بإمكانهم قراءة العلامات
إنه موت رولاند هو الذي سبب هذه الجلبة الهائلة
١١١ - وقاتل الفرنسيون بشجاعة ونجاح
وانتشرت جثث المسلمين بال عشرات والآلاف
من مائتي ألف أقل من اثنين سيكون بإمكانهما القتال ثانية
وقال رئيس الاساقفة : حقا ان رجالنا رجال شجعان
مثلهم ليس لدي أي سيد تحت قبة السماء
هكذا كتب في تواريخ أعمال الفرنسيين:
قوى امبراطورنا لم تستعد بعد
يحدثون في أرض المعركة عن جرحاهم وموتاهم
بذفوس حزينة وعيون بللها الدمع من الأسى
وبحب وشفقة على اقربائهم ورفاقهم
الذين انقض عليهم مارسيل بكل قواه
١١٢ - وجاء الملك مارسيل يسوق فوق أحد الشـعـاب
(١٤٤٩ - ١٤٧٧)

وجيشه كله حوله في قوة عظيمة
فقد حشد عشرين فيلقا قتاليا عظيما
الخوذات تبرق وتلمع بجواهرها وبالذهب الذي طليت به
وكان هناك الكثير من الدروع والترسة المصنوعة بكل دقة واتقان

سبعمئة بوق صدحت ايذانا بالهجوم
وانتشرت أصواتهم في جميع أرجاء البلاد
وصرخ رولاند : صديقي أولفر ، أخي ، ايها السيد العزيز
إنه موتنا ، به تعهد غانلون المزيف
الخيانة واضحة ، ولا يمكن اخفاؤها بعد

سيدولى الامبراطور القيام بأنتقام عظيم مناسب
لكن علينا كتب أن نخوض حربا مريرة
ما من انسان واجه مثلها من قبل
انا سأتابع معتمدا على سيفي دوراندال
اعتمد أنت أيها الرفيق على سيفك هوتكلير
كم حملنا هذه الاسلحة على الارض
كم من المعارك المنتصرة قاتلنا بهم
لن يذشد حولهم أناشيد منحطة في القاعات
١١٣ - وجمع مارسيل فرسانه المقاتلين
وأمر نفره وأبواقه أن تصدح بالحال
ثم تقدم نحو الامام مع جماعته الكبيرة
ثم تقدم مسلم اسمه ابيسم
لم يكن في ذلك الحشد من هو أشجع منه
في ابن مريم ، ولد الرب ، لم يؤمن
وكان أسود اللون مثل لون القار
أحب الذبح والخيانة أكثر
من كل الذهب الموجود في غاليشي
ما من أحد رآه مرحا أو مسرورا
بل كان جريئا ومندفعاً الى أقصى حد (١٤٧٨ - ١٥٠٤)
ولهذا السبب كان محبوباً من قبل الملك مارسيل
وقد حمل تنينا لحشد أتباعه خلفه
وعندما رآه رئيس الاساقفة الطيب لم يكن مسرورا
لقد أراد أن يضربه عن قرب ، هذا ما شعر به
وقال لنفسه بكل هدوء
يبدو هذا المسلم لي بطل حقيقي
من الافضل لي المضي نحو هذا الوحش وقتله
انا لم أحب قط الجبناء ولا أعمال الجبن
١٤ - وافتتح رئيس الاساقفة المعركة مجددا
وركب مطيته التي أخذها من كروسايل
(وذاك كان ملك الدانمارك وهو قد تولى قتله)

- ٤١٧١ -

وكان مهرا سريع الجريان وناعما
عريض الركبتين عالي الحافرين
قصير الفخزين عظيم الكفل
طويل الجناح عالي الظهر
ننبه أبيض ولون وبره أصفر
أنناه صغيرتان مامن طريق يصعب عليه
له امتطى رئيس الأساقفة المشهور بشجاعته
وما أن غمزة حتى اندفع ومامن قوة تستطيع صده
لقد ساق ليضربه على سابغته الواقية
التي كانت مرصعة بالجواهر الثمينة وكذلك هذاؤه
وكانت هذه المجوهرات بألوانها المختلفة تشع وتبرق
(وكان الأمير غالييف قد أهداه إياها
وله أعطاهما الشيطان في وادي ميتاس)
الخسام لا يخرقها وكذلك الرمح ، وما أخبرك به هو الصدق
بعدهما ضربه لم تعد تساوي فلاسا (١٥٠٥ - ١٥٣٢)
أطاح بجسده من جانب الى جانب ورماه أرضا
لقى به ميتا في المكان الذي وقع فيه
وصرخ الفرنسيون جميعا : انها ضربة شجاعة وعمل بارع
ضربة قوية مكنت من انقاذ صولجان رئيس أساقفتنا
١١٥ - الآن بامكان الفرنسيين التصدي لقوات المسلمين
لقد رأوا هذه القوات تغطي السهل من طرف الى طرف
والدوا على رولاند وكذلك طلبوا من أولفر
ومن الأتراك الاثني عشر الفرار والنجاة بأرواحهم
والى هؤلاء تحدث الأسقف معبرا عما في رأسه :
أيها البارونات ، سادتي ، لاتستمعوا الى هذه الأفكار المهنية
أمركم بحق الرب بالثبات وبعدم الفرار
حتى لاتدعوا الرجال الشجعان يزدنون حولكم أناشيد مخجلة
من الأفضل الهلاك أثناء القتال
حالا ، لابل الآن ، سذموت نحن جميعا
مامن أحد منا هنا سيرى ضوء يوم الغد

- ٤١٧٢ -

شيء واحد أنا أعدكم به وأتعهد
من أجل وقفكم أبواب الفردوس باتت مفتوحة
هناك مع الأبرياء الطيبين ستعيشون
وملاتهم كلماته بالشجاعة والحماس
ولم يكن بينهم من لم يصرخ عاليا - جبل المسرة -
١١٦ - مسلم من بلدة سرقسطة
كان سيدا لنصف المدينة وماحاط بها
كلمبورين كان اسم ذلك الخائن المزيف والقذر
وكان قد تبادل الأيمان مع الكونت غاندلون
وفي سبيل الصداقة قبله على فمه
وبحق خوذته والياقوتة التي نالها
أقسم بالمحافظة على شرف أرض آبائه
ومن الامبراطور سينتزع التاج (١٥٣٣ - ١١٦١)
وجاء الآن ممتطيا فرسه باريموخ
سباقا كان لايجاريه عقاب أو نسر
أرعى له عنانه ونخسه بشدة بمهمازه المعنني لينطلق
وباتجاه انغلير الكاسكوني مضى
ومامن قوة كان بإمكانها اعتراض سبيله
وطعنه بسنان رمحه طعنة نجلاء
من صدره الى ظهره خرقت القناة وخرجت
وأطاح به أرضا بعدما رماه مقدار طول رمح
وصاح : هذا السلاح صالح للقتل تماما
أيها المسلمون اضربوا بشدة وشقوا طريقكم وسط المنهزمين
ياالهي - قال الفرنسيون - واحد من خيرة رجالنا سقط
١١٧ - واستدعى رولاند صديقه أولفر وقال له :
سيدي الحكيم ، رفيقي ، انظر انغلير قد مات
لم يكن لدينا رجلا أفضل في الفروسية
ورد الكونت : ليمنحني الرب انتقاما عادلا
ونخس طرفي مهره بمهمازية الذهبين وانطلق
ممسكا بيده هوتيكليز الذي انصبغ نصله باللون الاحمر

- ٤١٧٣ -

وسدد الى أحد المسلمين ضربة قوية ورهيبة
ثم لوح ثانية بسيفه وسقط المسلم أرضا
وحمل الشيطان روحه ومضى بها الى الجحيم
ثم تابع عمله ، فكان الدوق ألفاين ضحيته الثانية
وأجثت رأسه من جذوره وأطاح به
ثم رجل سبعة من العرب وتركهم لما بهم
وعلى الأقل لن يتمكن هؤلاء من القتال ثانية
وقال الكونت رولاند : صديقي غاضب
مقاتل لمقاتل هو ساواني تماما
لهذه الأفعال أحبنا الملك شارلمان وأثرنا
ورفع صوته صارخا ، اضربوا ، يارجالى الشجعان
١١٨ - وتمركز في مكان آخر مسلم اسمه
فالدابرون (١٥٦٢ - ١٥٨٨)
وكان من أقرباء الملك مارسليون
وامتلك اسطولا قويا فيه أربعمئة شيني
ولم يكن هناك بحار الا وفي خدمته
وهو الذي استولى على القدس بالخدعة في وقت مضى
ونهب الهيكل الذي بناه الملك سليمان الحكيم
وقتل هناك البطريرك على جرن المعموية
وحصل على تعهد من الكونت غاذلون
وبناء عليه ، ودليلا على الولاء أعطاه سيفاً ومنجنيقا
وقد امتطى حصانا دعاه غراميموند
ومامن حصان أصيل باراه بالسرعة
وبالمهماز الحاد حرضه على الاندفاع
وانقض مباشرة على الدوق سمسون العظيم
مزق الترس وخرق الدروع
وجعل سنان رمحه يمضي في جسده ويذفد
وأطاح به من على ظهر حصانه ورماه بعيدا مقدار طول رمح
وصرخ المسلمون : اضربهم بعد ، واقتلهم
وقال الفرديسيون : ياإلهي ، ذهب بارون شجاع

١١٩ - وعندما رأى الكونت رولاند سمسون ممتددا
يمكنك أن تخمن مقدار الحزن الذي شعرت به روحه
وغمز حصانه بمهمازيه واندفع مسرعا لضرب العدو
بدورندال الأغلى من أفضل الذهب
وبقوة وتصميم سدّ البارون ضربته
فسقطت على الخوذة المحلاة كلها بالذهب
فشطر الرأس وحطم العنق والصدر
وقطع السرج المحلى كله بالذهب
ومضى السيف عميقا في ظهر الدابة
أراد أو لم يرد ، لقد دمرهما معا (١٥٨٩ - ١٦١٢)
وقال المسلمون : هذه ضربة لؤم
وقال رولاند : صدقا أنني لأحبكم
رجالكم الأعداء ، رجالكم المتفائرون الادعاء
١٢٠ - وكان هناك أفريقيا من أفريقيا أيضا
يدعى ملقوانت ابن الملك ملكود
كان مكسوا بالذهب من رأسه الى قدميه
ومامن أحد في ضوء الشمس كان منظره أكثر لمعانا
امتطى فرسا دعاه ساوت - برودو
مامن مهر كان يمكن أن يجاريه في عدوه
وضرب انسييس على وسط ترسه ضربة شديدة صادقة
فأطاح بالارجوان والازرق
وخرق سابغته ودروعه الواقية
وأمضى في جسده الفولاذ والقناة
وسقط الكونت ميتا ، ووصل يومه الى نهايته المحتومة
وقال الفرنديون جميعا : أسفا عليك ايها السيد الشجاع
١٢١ - وجال رئيس الاساقفة توربين على أرض المعركة
مامن راهب حليق وسط الرأس يرتل القداس
كان بامكان جسده أن يفعل مثل هذه الأفعال الشجاعة
دعا على المسلم قائلا : لينزل الرب بك السوء
أنت الذي قتلت واحدا يبكي عليه قلبي حزنا

وحرص مهره الطيب على الاسراع في عدوه
وضربه بشدة على درعة الطليطي
والقاء ميتا على العشب الاخضر

١٢٢ - وكان هناك مســـــــــــــــــــــما ، وكان يدعى

غراندونني (١٦١٣ - ١٦٣٨)
ابن ملك كابل ، من شواطئ كبدوكية
راكبا على مرمور ، فذاك كان اسم حصانه
اسرع من أي طائر طار وحلق
أرخی له عنانه ، فاندفع يعدو الى الامام
وعدا ليضرب غيرين بكل ما أوتيه من قوة
ومن حول رقبتة قطع الدرع الأحمر ومزقه
ومن على جسده خرق السابغة وقطعها
والى قلبه نفذ السنان الحامل للراية الزرقاء
وأطاح به ورماه ميتا على تبة صخرية
وبعد ذلك سد ضربته الى رفيقه غيرين فأرداه قتيلا
وبعده الى بينير والى غي أوف سانت أنتونيو فأرداهما
ثم ضرب دوق أستورغ الجبار
(الذي دعتة أنفير على الرون وقالذس السيد)
وألقاه ميتا ، ومن شدة السرور تعالى زئير المسلمين
وقال الفرنسيون : ما أفدح الخسارة التي من أجلها سندوح
١٢٣ - وأمسك الكونت رولاند بشدة سيفه المصبوغ بالدماء
لحمراء

مدركا مدى الحزن الذي سيطر على الفرنسيين
قلبه بكى ، ولشدة الحزن كاد ينفطر الى شطرين
ودعا على المسلم : أصابك الرب بجميع الاسقام
أنت الذي قتلت واحدا سأجعلك تسدد
ونخس حصانه فاستجاب يعدو بسرور ونشاط
ليربح من يستطيع ، لقد جاءا وجها لوجه
١٢٤ - كان الامير غراندوني فارسا جيدا وشجاعا

- ٤١٧٦ -

قوي الذراعين وشجاعا في المعركة
اليه وصل رولاند القائد العظيم
هو لم يلقيه من قبل ، لكنه عرفه بالحال (١٦٣٩ - ١٦٦٥)
من منظره العظيم ، وبنيته الرائعة
ونظراته المتعالية وسلوكه وسماته
لم يتمالك نفسه فشعر بخوف مميت
وأراد الفرار ، لكن ما الفائدة ، لا يمكنه
وانقض الكونت عليه وضربه بشجاعة هائلة
حتى أنه فصم عرف خوذته ، لابل الخوذة كلها شطر
شطر الأنف والأسنان ، والحلق
والسابقة وعظام الصدر والظهر
وقربوسي السرج الفضييين فصمهما عن السرج الذهبي
الفارس والفرس شطرهما وألقاهما
وتركهما بلا حياة ، أشلاء ممزقة
وأخذ رجال اسبانيا يذبحون من شدة حزنهم
وصاح الفرنسيون جميعا : يالها من ضربة ، ياله من بطل
١٢٥ - المعركة حادة ورائعة وعظيمة
لعب الفرنسيون برماحهم وفعلوا الأفاعيل
لو رأيتهم لرأيت كم من الرجال تركوا يتألمون
كم من الجرحى ، والذين ينزفون والموتى
تكوموا فوق بعضهم ، وتمددوا على وجوههم أو ظهورهم
ماعاد بإمكان المسلمين تحمل هذه المشاق
سواء أسيفرون ، أو لن يهربوا عبر السهل
سيطاردهم الفرنسيون بكل ماؤتوه من قوة
١٢٦ - المعركة رائعة ، وازدادت سرعة
قاتل الفرنسيون بغضب ، وبحنق انقضوا
خرقوا الدروع ونفذوا الى الأجساد الحية
سالت الدماء على الأرض الخضراء حمراء ونقية
(وقال المسلمون : نحن ليس بإمكاننا تحمل هذا

(العناء) (١٦٦٦ - ١٦٩٣)

لتحل لعنات محمد (صلى الله عليه وسلم) على أرض آباء
الفرنسيين

أبناؤك هم أشجع أبناء الرجال

لم يكن بينهم من لم يصرخ : أنجنا يامارسيل

اركب اركب ايها الملك ، لاننا في شدة عظيمة

١٢٧ - نادى الكونت أولفر قائلا :

سيدي الحكيم ، رفيقي ، قدم اعترافك ، بنت النهاية

سيدي رئيس الاساقفة حلله مثلما حللت بقية الاتراب

ليس على وجه الأرض من يدانيه ولا تحت قبة السماء

من أجاد مثلة استخدام الحراب والرماح

وأجاب الكونت : دعنا نعينه الآن وهاهنا

وهنا تابع الفرنسيون بكل نشاط

ضرباتهم ، كانت شديدة ، والقتال كان حادا

والخسائر بالنسبة للمسيحيين كانت هائلة

وكل من رأى وقتها رولاند وأولفر

راهما يضربان بسيفيهما ويخرقان الصفوف

ومضى رئيس الاساقفة يطعن برمحه

بأسلحتهم قتلوا اعدادا جاء ذكرها

في المدونات وروايات المؤرخين

أكثر من أربعة آلاف حسبما جاء في تواريخ الاعمال

تحملوا أربع هجمات بشجاعة واضحة

ثم جاءت الخامسة ، ثقيلة ، ومرعبة ، ومخيفة

جميع فرسان الفرنسيين سقطوا موتى

وستون فقط ، بنعمة الرب ، ظلوا أحياء

هؤلاء سيستدون قبل موتهم ثمن أجسادهم غاليا

١٢٨ - عندما رأى رولاند جميع رجاله الشجعان قد تمعدوا

صرخ بصوت مرتفع لصديقه أولفر :

من أجل الرب ، أخبرني يارفيقي ، ياسيدي الحكيم ، مالذي

تراء الآن ؟

انظر كم من الفرسان الجيدين قد تمسّدوا على الأرض
أمامنا (١٦٩٤ - ١٧٢١)

أنا نشعر بالأسى تجاه فرنسا بلاننا الجميلة
لأنها تركت مجرّة محرومة من زهرة فرسانها
لماذا أنت لست هنا ، يا صديقي وامبراطوري
أخي أولفر ماهي السبل التي يمكن أن نجدها ؟
كيف سنرسل له أخبار ما ألم بنا ؟
وقال أولفر : كيف يمكنني أن أعرف ، كيف ؟
أنا أفضل الموت على أن أخسر شهرتي
١٢٩ - قال رولاند سأنفخ الآن ببوقى مباشرة
عندما سيسمع شارلمان ، وهو يجتاز بوابة اسبانيا
أنا أتعهد أن الفرانسيين سيعودوا ثانية
قال أولفر : سيكون ذلك عملا مشينا
وسيكون الذقد الموجه لآلك عظيما

وهم طوال حياتهم لم يعيشوا في ظل العار
عندما رغبت اليك بذلك ، لماذا قلت لي لا ؟
إذا فعلت ذلك الآن ، لن تنال الحمد مني
انفخ إذا أردت - هذا ليس من أعمال الشجعان
تبصر ، بكم من الدماء غسّلت ذراعيك
أجابه الكونت : لقد وجهت ضربات ممتازة هذا اليوم
١٣٠ - ثم قال رولاند : هذا القتال مليء بالمآسي
سأنفخ في بوقى ، وشارلمان سيسمع صراخي
وقال أولفر : هذا سيكون مسيئا ومهينا بالنسبة للفرانس

أنا سألتك ذلك ، وأنت رفضت ، بسبب الكبرياء
فلو أن شارلمان كان هنا ، لمضى وقتها كل شيء بشكل صحيح
هو ليس ملوما ، وكذلك الرجال الذين من حوله
(ثم قال) الآن بحق لحيتي ، لن أرى بعيني
ثانية ولن أضم أختي أودي الجميلة
بين ذراعي ، ولا تظنن أنني أكذب

- ٤١٧٩ -

وقال رولاند : لماذا أنت غاضب مني هــــــــــــكذا
ياصديقي ؟ (١٧٢٢ - ١٧٤٩)

ورد هو : أنت يارفيقي الذي وضعتنا في هذا المأزق
هناك شجاع حكيم وهناك مهمل
الحكمة أفضل بكثير من حماقة
فمن خلال شططك دمرت الفرنسيين
اننا لن نكون ثانية قادرين على خدمة شارلمان
لو أنك أصغيت قليلا لما قلت
لجاء مولاي ومضت المعركة على خير مايرام
ولكان الملك مارسليون الآن أسيرا أو قتيلا
ان شجاعتك يارولاند لعنة على رؤوسنا
منا لن ينال شارلمان المساعدة ثانية
ولن يرى الرجال منا ثانية حتى يوم القيامة
أنت ستموت وسيجل العار فرنسا الجميلة
صداقتنا المخلصة وصلت هنا الى نهايتها
سنفترق عن بعضنا بكل أسى قبل غروب شمس هذا اليوم
١٣٢ - وعندما سمعهما رئيس الاساقفة يتجادلان هكذا
نخس بمهمازيه الذهبيين مهره مجددا
واقترب منهما ووجه اليهما هذا الذقد :
يالورد أولفر وأنت أيضا يالورد رولاند
دعونا من الخصام ، باسم الرب أخبركما
صحيح أن الذفخ بالبوق لن يذقنا
مع هذا كان من الأفضل القيام بذلك
دع الملك يأتي ، وسيكون انتقامه قاسيا
لن يذهب أحد الى اسبانيا حاملا أخبارا طيبة
بعدما يلقىهم رجالنا الفرنسيون على الأرض قتلى ممددين
سيحدثون عن أجسادنا وأعضاءنا بقلوب جريحة
وسيحملونا على ظهور بغال التحميل
وسيبكونا بحزن وبآلام مبرحة

- ٤١٨٠ -

وقرب الكنيسة سندفن بشكل لائق (١٧٥٠ - ١٧٧٧)
ولن نكون طعاما للكلاب والذئاب والعقبان
وقال رولاند : سيدي كلماتك صحيحة وجيدة
١٣٣ - وضع رولاند بوقه على فمه
أمسكه بثبات ونفخ فيه بكل شدة
الجبال عالية ، والصوت بعيد ومرتجف
الى ثلاثين فرسخا مضى الصوت وصداه
وسمعه الملك شارلمان وكل النين كانوا معه
وقال الملك ، انتبهوا ، رجالنا يقاتلون الآن
وبادره غاندلون قائلا : لو أن أي رجل قال هذا
فيما عداك ، لظننت أنه يكذب
١٣٤ - وأمسك الكونت رولاند بألم وبمزيد من الاسى
بوقه ونفخ به بكل ماأوتيه من قوة
الدم تدفق من فمه أحمر براقا
ومن بين يديه ومن البوق حلق النداء بصوت مرتجف
وسمعه الملك شارلمان الذي كان يعبر الممرات
وسمعه الدوق نايمون وجميع الفرنسيين بجانبه
وقال شارلمان : انني اسمع بوق رولاند ينادي
هو لم صدح به قط الا في وسط القتال الشديد
ورد غاندلون : ليست هناك معركة
لقد تقدمت بك السذون وشعرك شاب وابيض
وعندما تتحدث هكذا تتكلم وكأذك طفلا
أنت تعرف رولاند جيدا وأنه مليء بالكبرياء
إنه لأمر غريب أن الرب جعله يتحمل كل هذا الوقت الطويل
ألم يستولي عل نابولي تماما ضد أوامرك ؟
وقام المسلمون بهجوم من الداخل
واشتبكوا هناك بالقتال مع رولاند الفارس العظيم
لذا سفع الدم على الأرض ، وكان بذلك مبدعا
شجاعا (١٧٧٨ - ١٨٠٤)
أراد ابقاء الأرض مزرجة بالدم حتى تراها بعينيك

من أجل أرنب صغير هو سيفخ بوقه من الصباح الى المساء
انه الآن ، يعرض براعته أمام أترابه
امض في طريقك ، تابع سيرك ، لماذا تتوقف هنا وتتأخر
أرض أباءنا تقع على مسافة أميال كثيرة
١٣٥ - فم رولاند تدفق الدم منه بات لونه أحمر
لقد فجر صدغيه في رأسه
فقد صدح ببوقه بألم وقنوط
سمعه الملك شارلمان وكذلك فعل الفرنسيون جميعا
ثم قال الملك : هذا الصوت طويل وعميق
وقال نايمون : انه يصدح بكل قوة رجل شجاع
هناك معركة ، وهذا أمر أعرفه ومتأكد منه
والذي يريد ابقاءك ماهو الا متورط بالخيانة
الى السلاح ، دع نداء حربك يصعد عاليا الى السماء
سارع لتقييم العون الى رجال حاشيتك الشجعان
الا تسمع كيف يندب رولاند بشكل قانط
١٣٦ - وأمر الملك شارلمان أن تصدح الأبواق عاليا
وهب الفرنسيون بالحال الى السلاح
بخوذ وسوابغ وسيوف مذهبة تمنطقوا
دروعهم جيدة ورماحهم شديدة ومتينة
أعلامهم المربوطة بها حمراء وبيضاء وزرقاء
على ظهور خيولهم امتطى فورا السادة المحاربون
وبسرعة تدفقوا خلال الممرات ولم يتوقفوا
تحدث كل منهم الى الآخر وتجاوب معه قائلا :
لو أننا سنصل الى رولاند قبل موته ونهابه
كنا سنقاتل بشدة الى جـانبيه وسـط
الحشود (١٨٠٥ - ١٨٢٩)
مافائدة ذلك ؟ لقد تأخروا كثيرا
١٣٧ - وانحسر ظلام الليل وبات النهار مشرقا
وفي وجه الشمس لمعت أسلحتهم
وأرسلت دروعهم وخوذهم أشعة قوية

- ٤١٨٢ -

وعرضوا كثيرا من الدروع المرسوم عليها صور الورود
وكميات هائلة من الرماح المذهبة والأسنة
وساق الامبراطور بدون توقف وهو مغضب
وكان الفرنسيون جميعا غاضبين ومستائين
لم يكن بينهم من لم يبك من شدة غضبه
ومن أجل رولاند كانوا جميعا محزونين خائفين
واعتقل الملك الكونت غانلون مباشرة
وحوله الى المطابخ في قطار جيشه
واستدعى كبير الطباخين واسمه بيسغون وقال له :
احرسه جيدا ، كما يليق برجل دنيء مثله
وتولى بيسغون اعتقاله ومعه مائة من الطباخين
من أحسن العاملين في تلك الدائرة وأكثرهم سوءا
فندفوا اللحية من على وجهه وذقنه
وكل منهم صدفه أربع صدفعات شديدة
وعلى الفالقة وضعوه وبالعصي جلدوه
وربطوا حول رقبته سلسلة قوية
وكتفوه بشكل محكم مثل دب في قفص
ثم أقوه على ظهر واحد من خيول التحميل بشكل مهين
وكانوا سيقونه سليما حتى يطلبه شارلمان
١٣٨ - وكانت التلال ضخمة وذات ظلال
وارتفاع (١٨٣٠ - ١٨٥٥)
وجرت في الوبيان الجداول وتدفقت
وزعقت الأبواق أمامهم وخلفهم
ورددت كلها صوتا واحدا جاء ردا على النداء
وبقلب مفعم بالغضب ساق الامبراطور شارلمان
والفرنسيون جميعا بحزن وحزق
لم يكن هناك غير الحزن والبكاء من العيون
وكلهم توجهوا للرب بالدعاء ليحفظ حياة رولاند
حتى وصولهم وانخرطهم معه في القتال
ومان يصلوا اليه حتى يقاتلوا الى جانبه قتالا شديدا

ماذفع ذلك كله ؟ صلواتهم كانت فارغة تماما
لقد تأخروا كثيرا ولايمكنهم الوصول في الوقت المناسب
١٣٩ - وساق الملك شارلمان عابس الوجه مغضب
على وجهه تطايرت لحيته
واندفع جميع البارونات الفرنسيون الى جانبيه مسرعين
ولم يكن بينهم من لم يمتلىء بالغضب
لعدم مساعدة رولاند البالابيني
الذي يقاتل الآن مسلمي اسبانيا
لقد جرح جرحا بليغا ، وأخشى أنه لن يعيش
الرب ، وهؤلاء الذين تبقوا من الرجال الستين معه
لم يعرفوا قائدا خيرا منه ولاحتي ملك
١٤٠ - واستعرض رولاند الجبال والمنحدرات
كم من الفرنسيين رأهم هناك ممددين موتى
وكفارس جيد نديهم كما يلي :
أيها البارونات ، سادتي الرب برحمته الواسعة
ليجلب أرواحكم جميعا الى فردوس الرحمة
وليجعل بين الورود البراقة حفر قبورهم (١٨٨٥ - ١٨٥٦)
أنا لم أر أشجع مذكم أو أعظم رجولة
طوال خدمتكم لي لم تتوقعوا وكنتم جيبيين
لقد قهرتم أراضي كثيرة لصالح ملك شارلمان
وأسفاه لأي نهاية محزنة رباكم الامبراطور
ايتها الأرض الحبيبة ، الحاضنة الجميلة للفرنسيين
كم عانيت هذا اليوم مما ألم بك ونزل
بارونات فرنسا لاقوا حتفهم من أجلي
وأنا أيضا لايمكنني الدفاع عنك أو منحك الأمان
الآن ليعذك الرب الذي لم يتخل عني بعد
أولفر يا أخي ، لن تعدم مساعدتي
ومع أن أحدا لم يقتلني ، سأموت من حزني فحسب
سيدي الحبيب ، يارفيقي ، دعنا نستأنف القتال
١٤١ - عاد الكونت رولاند الى أرض المعركة

وكمقاتل استخدم سيفه دورندال
فأطاح بفالدرون دي بوي وسط الشعاب
مع أربع وعشرين بجانبه من منزلة رفيعة
مامن رجل توفرت لديه رغبة الانتقام بمثل هذه الحدة
ومثلما هرب الغزلان أمام كلاب الصيد
أبدى المسلمون أعقابهم أمام رولاند
وقال رئيس الاساقفة : عمل رائع ، عمل رائع حقا
ليكن شجاعا مثل هذا ، الذي سيتربى فارسا
الذي سيحمل سلاحه وينطلق على مهره الطيب
مقداما وشجاعا عليه أن يكون في المعركة
والا هو لن يساوي فلسا واحدا
الأحسن أن يتحول ليكون راهبا في دير حقير
ومن أجل نذوبنا يصلي يوميا وهو جاث على ركبتيه
وقال لروланд : اضرب ولا توفّر أحدا منهم
وعند هذا استأنف الفرنسيون القتال بسرعة
وعانى هناك الفرنسيون من خسائر عظيمة وأحزان
١٤٢ - عندما يعبر ————— رف أنه لن يكون هناك
أسرى (١٨٨٦ - ١٩١٢)

سيقاتل الرجال بكل شجاعة وسيتمسكون بصفوفهم
ولهذا ازداد الفرنسيون شجاعة وحذقا
وهنا جاء مارسيل ، الذي لم ير بارون يجاريه شجاعة
ممتطيا فرسا ، واسمه غايغنون
واتجه نحو بيغون وانقض عليه
وهو الذي يمتلك بيون وبيجون
وشطر الترس ومزق السابغة
وألغاه ميتا ، لن يحتاج للقتال ثانية
واردى بعده ايفون ثم ألحق به ايفور صديقه
والكونت رولاند الذي لم يكن بعيدا
نادى على المسلم قائلا : ليلعن الرب روحك

- ٤١٨٥ -

هؤلاء رفاقي ، لقد قتلتهم بوساطة الخيانة
وقبل أن نبرح من هنا ستدفع ثمننا عاليا
وستتعلم اسم سيفي البتار
واندفع نحوه مثل بارون شجاع
ومن ذراعه التي حمل بها السيف بتر اليد وأطاح بها
ثم أردى على الطريق بعده جورفيرات الجميل
ابن مارسليون ، وقطع رأسه
وصرخ المسلم : يا محمد ، عونك يا محمد
انذقموا لنا من شارلمان ، انتم يا آلهة عقيدتنا
فالى ارضنا أرسل شعبه الشرير
سواء أ جاءت الحياة أم جاء الموت لن يتخلى أبدا عن المكان
ثم صاح واحدا للآخر : اهربوا اذا ، اهربوا بسرعة
مائة ألف هربوا من أرض المعركة مباشرة
انهم لن يعودوا ، ليدعوه من يستطيع
١٤٣ - أية مساعده هذه ؟ لقد هرب
مارسليون (١٩١٣ - ١٩٣٩)

ومع هذا بقي عمه مارغانايس
حاكم قرطاج والفرير وغارمايل
وأثيوبيا ، أرض ملعونة وشريره
تحت امرته جميع قبائل السودان
أنوفهم كثيفة وأذانهم عريضة جدا
خمسون ألفا كاملة تجمعوا في صفوفهم
وساقوا باقدام وسرعة وغضب
يصرخون عاليا بشعار حرب المسلمين
ثم قال رولاند : هنا قضي علينا أن نموت
أعرف معرفة جيدة لايمكننا العيش طويلا
خوفا من العار ، لاتحجموا واندفعوا يا أحبائي لبيع حيواتكم
سادتي ، ارفعوا عاليا سيوفكم الملطخة وقاتلوا
سواء أ جاءت الحياة أم جاء الموت سيدفع العدو الثمن

- ٤١٨٦ -

وعليها أن نجذب فرنسا الجميلة الذل
عندما سيلقى مولاي شارلمان نظرة على هذه الأرض
سيرى كم استنفدنا من قواهم
سيجد خمسة عشر مسلما ماتوا مقابل كل واحد منا
ولن يتردد في مباركتنا لانجازنا العظيم هذا
١٤٤ - عندما ألقى رولاند نظرة على رجال القبائل الملغونيين
هؤلاء

جلودهم سوداء كالحرير من رؤوسهم الى أقدامهم
مامن شيء أبيض فيهم غير أسنانهم
عند ذلك قال الكونت : صحيح بدون شك
انني أعرف جيدا ، في هذا اليوم سيجرفنا الموت
ايها الفرنسيون قاتلوا الحشود الى جانبي
وقال أولفر : ليأخذ الشيطان المتخلف المتقاعس
وسمع الفرنسيون هذا ومرة أخرى اندفعوا يقاتلون
١٤٥ - عندما رأى المسلمون كم تناقص عدد الفرنسيون
(١٩٤٠ - ١٩٦٤)

رصدوا صفوفهم وامتلاوا كبرياء وأمال
وقالوا : ستصل الآن جرائم الامبراطور اليه في الوطن
وجاء مارغانايس ممتطيا على مهر أشقر
ونخسه بشدة بمهمازين كلهما من ذهب
وسدد من الخلف ضربة لأولفر
وذفدت الضربة عميقا من خلال الدروع
ووقف سنان الرمح عند عظام الصدر
وقال له : لقد ذلقت ضربة قاصمة
أرسلك شارلمان الى الممرات لتلاقي حتفك
إنه قد أساء الينا ومن المفيد أن يفقد كبرياءه
لقد استوفيت بقتلي لك وحدك جل خسائرك
١٤٦ - وشعر أولفر أنه أصيب إصابة مميتة
فأمسك سيفه هوتيكلير الحاد النصل

- ٤١٨٧ -

وسدد ضربة الى مارغانايس على خوذته الذهبية العالية
قصمت منها الورود والجواهر التي رصعت بها
ومضت عميقا الى أسنانه قاطعة وسط رأسه
وسحب سيفه ثم أطاح به أرضا وقد فارق الحياة
ثم قال اسقط ايها اللدس ايها المسلم البائس التغييس
لقد خسر شارلمان كثيرا ، بهذا سأعترف تماما
لكذك لن تعود أبدا الى الأرض التي غادرتها
لن تعود لتتفاخر أمام السيدات والفتيات
ولن أجعلك تنتفع مني أو من رجال آخرين
وما أن صنع هذا حتى نادى عاليا طالبا من رولاند العون
١٤٧ - شعر أولفر أن جرحه كان مميتا (١٩٦٥ - ١٩٨٨)
عطشه للانتقام كان لا يمكن اخماده
فجال بين الصدفوف يضرب بشجاعة
دمر الرماح الصحيحة والدروع
ومزق السوابغ والسروج وقطع الأيدي والأقدام
من رآه رآه وهو يقطع المسلمين الى أشلاء
ويرمي واحدا فوق آخر حتى غدت جثثهم ملقاة على شكل أكوام
يمكنه أن يتذكر أعمال زهرة القُرسان هذا
ونداء حرب شارلمان لم يتوقف عن الترداد
بل ظل يصرخ عاليا وبوضوح : « جبل المسرة »
ودعا رولاند رفيقه وصديقه قائلا :
سيدي يارفيقي اقترب مني وقف معي
لأسانا لا بد أن نفترق هذا اليوم
١٤٨ - وجه أولفر عندما نظر اليه رولاند كان
شاحبا ومحزنا ، بلا لون ، مليئا بالجراح
وغطى دمه القانيء جسمه من رأسه الى قدميه
منه الى الأرض جرى مشكلا عدة بقع
وقال الكونت : يا الهي ، أنا لا أعرف ماذا سأعمل
سيدي الحكيم ، يارفيقي ، انني أبكي بصدق طاقاتك الهائلة
لن يشاهد رجل يساويك

اسفي ، يافرنسا الجميلة ، على رجال شجعان حقا
عليك ان تبكيهم هذا اليوم ، فقد طردوا أرضا وماتوا
ان الخسارة التي سيعاني منها الامبراطور مؤلمة
لقد تحدث كثيرا ثم هوى في سرجه مغمى عليه
١٤٩ - هوى الآن رولاند في سرجه مغمى
عليه (١٩٨٩ - ٢٠١٣)

وأولفر عاجز يعاني من سكرات الموت
لقد نزع كثيرا حتى أن عينيه تجمدتا
ماعاد بإمكانه رؤية شيء مباشرة من قريب أو بعيد
ولا تميز أي شكل حي
لذا عندما جاء الى حيث كان ينتظر رفيقه
ضربه على خوذته الذهبية بكل عنف
فمضى السيف قاطعا العرف والاماكن المرصعة بالجواهر
فقط لم يلمس السيف رأسه
ثم رفع رولاند - وقد علت الدهشة - عينيه وحدق في وجهه
وسأله بصوت منخفض وبلطف قدر الامكان
سيدي ، يا رفيقي هل أنت جاد بضربتك ؟
انظر الي ، أنا رولاند ، الذي أحبك طوال ايامه
أنت لم تتحداني قط أو طالبت بمبارزتي
وقال أولفر : أنا لا أستطيع أن أراك بوضوح
أنا أعرف صوتك ، حفظك الرب ووقاك
وأنا قد ضربتك ، اغفر لي ، أرجوك
ورد رولاند قائلا : أنا لم أصب بجراح
أنا اغفر لك ، باسمي وباسم الرب
ثم انحنى كل في مكانه للآخر بكل أدب
وبمثل هذا الحب العظيم افترقا عن بعضهما
١٥٠ - شعر أولفر باقتراب الموت
عيناه تجمدتا في رأسه
هو الآن أعمى تماما ، وتماما أصم

- ٤١٨٩ -

ترجل بسرعة من على حصانه وجثا على ركبتيه
وأدى الاعتراف بصوت مرتفع ، وضرب على صدره
(٢.١٤ - ٢.٣٩)

ثم صفق بيديه ورفعهما عاليا نحو السماء
ودعا للرب ليسكنه في الفردوس
وأن يبارك فرذسا الجميلة وشارلمان
ورفيقه رولاند فوق جميع الرجال
وتقطعت شرايين قلبه ، وألقى بخوذه فروسيته
وجسده على الأرض ، وتمدد هناك على طوله
مات الكونت ، وصلت أيامه الى نهايتها
وبكى عليه رولاند الشجاع وندبه
مامن انسان على وجه الأرض شعر قط بمثل أساه
١٥١ - عندما رأى رولاند صديقه ورفيقه قد مات
وعلى الأرض انكب متمددا
ودعه بالكلمات اللطيفة التالية :
سيدي ، يا رفيقي ، أسفي عليك وعلى شجاعتك وقوتك
عشنا سنين طويلة وأياما جذبا الى جذب
لم تخطيء بحقي قط ولم أخطيء بحقك
والآن أنت ميت سأبكيك طوال حياتي
وما أن قال المركيز هذا حتى سقط مغشيا عليه
على ظهر مهره فيلانترف العجالي
وبقي على ظهره ولم يسقط لربطه بواسطة الأحزمة الذهبية
اللامعة

فأينما ذهب امسكوه وابقوه منتصباً
١٥٢ - وما لبث أن عاد رولاند الى نفسه ثانية
واسترد وعيه وتخلص مما ألم به
لقد كتب عليه أن يلاقي حظا تعيسا ومخيفا
جميع الفرذسيين قد خسروهم وقد ذبحوا
وفقط رئيس الاساقفة مع وولتر هيوم بقيا

- ٤١٩٠ -

هبط وولتر من الأعالي ثانية (٢٠٤٠ - ٢٠٦٥)
لقد قاتل جيدا ضد رجال اسبانيا
رجاله ايضا أموات ، تمددوا بوساطة سيوف المسلمين
برغبة أو بدون رغبة هرب نحو الوادي
وصرخ عاليا الى رولاند ليمنه بالعون :
أين انت ، أين أيها الكونت العظيم ، أيها المحارب الشجاع
ما دمت هناك انا لم أشعر بالرعب
أنا وولتر الذي جاء ممتطيا مالغوت
أنا حفيد درون المتقدم بالسن
أنا لشجاعتي اعتدت أن تحبني دوما
رمحي قد انقصف ، وترسي انشطر الى قسمين
دروعي تحطمت وسابغتي خرقت
طعنت برمح نفذ (من وسط كبدي)
لقد نزل الموت بي ، ومع هذا جعلتهم يدفعون الثمن غاليا
عجبا ، عند هذه الكلمة سمعه رولاند وأفاق
نخس حصانه ومضى نحوه مسرعا
١٥٣ - وأمتلأ رولاند بالأسى والغضب المرير
ووسط الصفوف الكثيفة استأنف الآن حربه
وأردى وولتر ستة ، وزادهم رئيس الأساقفة خمسة
وقال المسلمون : هؤلاء الرجال هم أسوأ الجميع
يجب ألا ينجو أحد منهم حيا ، تذبروا هذا ، أيها السادة
من يخش الهجوم عليهم ، ليكن العار نصيبه
من يدعهم يذهبون ، سيجله العار
ومرة ثانية ارتفع الضجيج وتعلت الأصوات
ومن كل جانب تدفقت حشود المسلمين
١٥٤ - الكونت رولاند جبار في حركاته (٢٠٦٦ - ٢٠٩٣)
وولتر دي هيوم كان واسع الشهرة لفروسيته
ورئيس الأساقفة محارب مجرب وخبير
بين شجاعتهم ليس هناك أدنى فوارق
وطعنوا وسط الصفوف الكثيفة المسلمين وقتلوا

- ٤١٩١ -

وترجل ألف من المسلمين ليقاتلوا على أقدامهم
وتقدم أربعون ألفا من الفرسان لمساعدتهم
ضد هؤلاء الثلاثة ، وصدقا إنهم خافوا من التقدم
فقدفوهم بحراهم من على بعد
ففقدوا كثيرا من حراهم وخناجرهم وسهامهم وأقنية
رماحهم ، ورماحهم
وواجهه وولتر الشجاع في الرمية الأولى منيته
وانشطردرع توربين أوف رايم الى شطرين
وتحطمت خوذته وجرح في رأسه
وخرقت سابغته ، ودرعه تحطم وتقطع
وطعن صدره بأربعة رماح حادة وخرق
وقتل تحته حصانه ولوى رقبته وتكوم
ونزل رئيس الأساقفة يبكي بحرقه ومرارة
١٥٥ - وجد توربين أوف رايم نفسه مصابا
بأربعة أسنة نفذت الى داخل ظهره
نهض اللورد الشجاع مسرعا ، ووقف منتصبا
ثم تطلع نحو رولاند ، وركض نحوه وقال :
كلمة واحدة فقط : قواي لم تضمحل بعد
الرجل الحقيقي لا يسقط أبدا ما دامت الحياة تدب فيه
وامتشق الماس ، سيفه الفولاني البتار
وضرب به ألف ضربة وسط الصفوف
سريعا سيرى شارلمان أنه لم يوفر عدوا قابله
لأنه سيجد قد تكوم حوله أربعمئة رجل
بعضهم جرحى ، وبعضهم تحولت أجسادهم الى أشلاء
وبعضهم جعلوا قصارا بقطع رووسهم (٢٠٩٤ - ٢١١٩)
هكذا تحدثت تواريخ الأعمال ، أنه قاتل هناك على هذه الصورة
بحق القديس جايل ، الذي باركه الرب بالمعجزات
والذي كان راهبا في ليون ، فهكذا جاء في الكتابات
إن الذي لا يعرف هذا ، لا يعرف شيئا مما حدث
١٥٦ - قاتل الكونت رولاند بشجاعة حسب الامكان

- ٤١٩٢ -

لكن جسده تعاظمت حرارته وازداد تعرقه
وغرق رأسه كله بآلام محزنة
من شدة نفخة الذي مزق عروقه
لكنه كان سيذشط لو عرف أن شارلمان قادم لِعونه
أمسك ببوقه ونفخ به بضعف تام
وتوقف الامبراطور ، وقد سمع صوتا متحشرجا
فقال : سادتي : هذا يخبرنا خبرا مريعا
فقدنا يومنا هذا رولاند ابن اختي
هذا النداء يعلن أنه بات على حافة الانهيار
من أراء الوصول اليه عليه ان يسوق نحوه بسرعة يائسة
نادوا بين الحشود ، على كل بوق أن ينطق
ستون ألفا نعقت أبواقهم بصوت مرتفع
رددت الروابي الأصوات ، ونعقت الوديان ثانية
وسمع المسلمون ذلك ، فانعدمت لديهم الرغبة بالضحك
وقالوا : لن يلبث شارلمان ان يقدم
١٥٧ - المسلمون قالوا : الامبراطور كر راجعا
لقد سمع كيف صدحت أبواق هؤلاء الفرنسيين
اذا جاء شارلمان ، سندمر ونهزم
اذا ظل رولاند حيا سيسعر الحرب ضدنا مرة جديدة
ولن نحتفظ بقدم واحدة من اسبانيا
وعلى الفور اندفع نحوه والتف حوله اربعمائة مقاتل على
رؤوسهم الخوذ (٢١٢٠ - ٢١٤٥)
كانوا خيرة المقاتلين الموجهين في تلك البقعة
وقاموا بهجوم مخيف على الكونت
وتابع اللورد رولاند البطل عمله يبتر
١٥٨ - عندما رأى الكونت رولاند هجومهم وقد بدأ
ازداد حدة وقوة وارعاها
ما دام حيا هر لن يتراخي أو يتوقف
ساق حصانه الذي اسمه فيلانتييف

- ٤١٩٣ -

وعلى جذبيه نخسه بمهمازيه الذهبيين
وانقض عليهم ، على حيث أكثر الصفوف كثافة
وساق السيد رئيس الأساقفة توربين الشجاع معه
وصرخ مسلم لمسلم : رفيقي عليك بهما "
الم نسمع أبواق الفرنجة تصدح ؟
شارلمان عائد ، الملك الجبار والعظيم
١٥٩ - لم يحب الكونت رولاند الجبن قط
ولا القلب المزيف ، ولا السيد المتعجرف
ولا أي فارس لم يكن رجلا جيد التصرفات
ونادى لتوربين رجل الكنيسة العسكري
سيدي أنت على قدميك ، وأنا على ظهر فرسي
حبا بك سأتوقف هنا
وجنبا الى جنب سنتلقى معا الخير والشر
أنا لن أهجر من أجل أي انسان فاني
لنذهب كلانا معا لقتال هؤلاء المسلمين
الضربات الجبارة هي ضربات دورندال
وقال رئيس الأساقفة : أنا اشعر بالخجل لأن ضرباتنا أخذة
بالضعف

١٦٠ - وقال المسلمون : لماذا نحن ولنا أصلا ؟
(٢١٤٦ - ٣١٧٤)

الويل لنا ، لقد دنا يوم نهايتنا
خسرنا الآن رفاقنا وسادتنا
شارلمان الجبار قادم مع جميع قواته
نسمع من هؤلاء الفرنسيين نعيق أبواقهم
وصوت - جبل المسرة - يجلجل مرعبا عبر الحدود
مخيفة حركات رولاند أثناء غضبه
ما من انسان حي يمكنه أن يصرعه بالسيف
دعونا نرميه ، وعند ذلك تنتهي الحرب
لذا طيروا نحوه رماحا وحرابا ، وصدوا عليه

- ٤١٩٤ -

الذشاب ، والسكاكين ، ونصال الذبال المريشة
وخرق ترس رولاند وانشطر وتحطم
وتقطعت عرى دروعه وتمزقت سابغته
ومع هذا لم يصب هو بجسمه أبدا
لكن مطيته أصيبت بثلاثين جرحا أو أكثر
عقر حصانه فيلانتييف وسقط ميتا
انهزم المسلمون وتخلوا عن الحرب
وترك رولاند وسط أرض المعركة مترجلا
١٦١ - بغضب وأسى هرب المسلمون
عائدين نحو اسبانيا مسرعين بلا توقف
لم يكن بمقدور الكونت رولاند مطاردتهم
فيلانتييف قد مات وليس لديه مهر ليتمطيه
سواء أشياء أم أبى سيبقى على قدميه
وانعطف ليقدم العون الى رئيس الاساقفة توربين في محنته
ومن على رأسه تفككت اربطة الخونة الذهبية
وتجردت سابغته من عراها المتينة والبراقة
وقطع الى قطع صغيرة جدا غلالته الرقيقة
ليضمدها جروحه العريضة والعميقة
ثم ضمه الى صدره وحمله بخفة
وبلطف مدده على طرف الراية المعشوشب (٢١٧٥ - ٢١٩٩)
وبخطاب عذب ناعم واساه قائلا :
أه يا سيدي الذبيل ، اسمح لي أن أتركك لبعض الوقت
أصدقائنا هؤلاء الذين أحبيناهم كثيرا أثناء الحياة
لا يجوز لنا أن نتركهم ممددين حيث ماتوا
سأذهب للبحث عنهم ، والعثور عليهم والتعرف
وسأمددهم هنا جميعا أمام ناظريك
وأجابه الأسقف قائلا : اذهب وعد
شكرا للرب ، أرض المعركة هذه ملك لي ولك
١٦٢ - غادر رولاند ومضى خلال أرض المعركة
يبحث لوحده بين الوبيان والصخور المرتفعة

- ٤١٩٥ -

(وهناك وجد آيفور ، وهناك ايقون)
وغيريرير وغيرين الرفيقين الطيبين
(وانغلير الذي جاء من كاسكوني)
وعثر على بيرنغيز وأوثن
وبعد هذا وجد جيرارد العجوز أوف روسيلون
ورفعهم البارون الشجاع واحدا واحدا
وحملهم بكل سرعة الى عند رئيس الاساقفة
وعند ركبتيه صفهم جميعا
وبكى الاسقف ، ولم يستطع التوقف عن العويل
ورفع يده ومنحهم جميعا الغفران
وقال بعد ذلك : اسفي عليكم ايها الرفاق الشجعان
لتسكن ارواحكم مع الرب المتعال
في الفردوس وسط الورود المتفتحة
أنا ايضا أموت ، وأسف على جماعتي
الذين لن يمكن للامبراطور العظيم أن يراهم ثانية
١٦٣ - وعاد رولاند مرة أخرى الى أرض
المعركة (٢٢٠٠ - ٢٢٢٥)

وأخذ يبحث عن رفيقه أولفر
رفعه الى صدره بكل عناية
وحمله بأفضل ما يمكنه الى عند رئيس الاساقفة
ومدده على ترسه هناك مع الآخرين
وصلبهم الاسقف وحللهم جميعا بصلواته
وبدموع جدا أسفهما وأعلنه
وقال رولاند : تابعي أولفر الحكيم
كنت ابنا للدوق رينير
الذي يحكم التخوم في وادي الروان
أنت يا من حطمت الترسه وقصفت الرماح في كل مكان
واعتاد الرجال العظماء أن يقوموا من على مقاعدهم تقديرا لك
وكنت شجاعا بالكلمة وبالرأي الصادب

- ٤١٩٦ -

وكنت تدمر الشرير وتسبب له الـأسى
ما من فارس على وجه الأرض كان شجاعا مثـلـما كنت
١٦٤ - وعندما رأى الكونت رولاند أترابه ممددين موتى
ومعهم أولفر أعز أصدقائه عليه
بدأ يبكي أسى ورحمة
ومن وجنتيه ذهب اللون
ولم يعد قادرا على الوقوف ، وذلك لشدة أساه
فسقط أرضا ، وما عاد قادرا على مساعدة نفسه
فقال الأسقف ، أسفي عليك وحزني أيها السيد الطيب
١٦٥ - عندما رأى رئيس الأساقفة رولاند قد سقط مغشيا عليه
لم يكن حزينا مثله آنذاك ، لأنه شعر بأسى عميق
وزحف نحوه ، وتناول بوق رولاند ورفع
وفي رونسفال جرى هناك جدول من الماء
أراد على ضعفه أن يذهب إلى هناك ويجلب له قليلا منه
(٢٢٢٦ - ٢٢٥٣)

وبخطوات ضعيفة جدا ، إلى حد أنه كان غير قادر على التقدم
لما نزفه من دم لم يكن لديه القوة لمتابعة التقدم
وقبل أن يقطع الطريق سيرا
تخلى عنه ، واذكب على وجهه بلا حراك
استحوذ الموت الكافر عليه بقسوة كبيرة
١٦٦ - واستفاق الكونت رولاند واسترد وعيه
ووقف على قدميه مع أنه كان يشعر بالآلام مبرحة
ونظر فيما حوله إلى الهضاب وإلى الويان
فيما وراء رفاقه ، مد بصره إلى السهول الخضراء
رئيس الأساقفة العظيم ، خليفة اسم الرب
ضرب على صدره وحملق بعينيتين محبتين
وبصعوبة رفع يديه نحو السماء وشرع بالدعاء
أن يمنحه الرب مكانا بالفردوس
توربين الآن بين الأموات ذاك الذي قاتل من أجل شارلمان

- ٤١٩٧ -

وكان شجاعا في الوعظ ، وفي المعارك الهائلة
وظل ضد المسلمين بطلا للعقيدة
ليباركه الرب وليمنحه رحمته
١٦٧ - ورأى الكونت رولاند رئيس الأساقفة ممدا
ورأى أمعاءه ومعدته مندفة الى جانبه
وعلى حاجبيه دماغه قد سال بشكل واضح
وعلى منتصف الصدر حيث مفتاح توزيع العظام
وهكذا أخذ ينديه حسبما قضت العادات المحلية :
أه ، أيها الرجل الأديب ، أنت فارس عظيم ونبييل
الآن أنا أعهد بك الى الرب القادر
عبدا مطيعا خيرا منك لن يجد (٢٢٥٤ - ٢٢٨٠)
فمن أيام الرسل لم يكن هناك نبيا مثلك
في الحفاظ على العقيدة وفي كسب الرجال
أرجو ألا تلقى روحك أي عائق في تحليقها
ولتفتح أبواب السماء لاستقبالك
١٦٨ - شعر الآن رولاند أنه على أبواب الموت
من أننيه أخذ دماغه يتدفق خارجا
والآن وقد صلى لأتراه ودعا الرب اليهم جميعا
واليه قدم القديس جبرائيل العون
ثم خشية من العار أمسك بكل من يديه
بوقه وسيفه دورندال
ومثلما يطير النشاب من القوس
انطلق نحو أرض اسبانيا الى مذبسط شاسع
وتسلق رابية حيث نبتت شجرة جميلة باسقة
وتحتها والى جانبها قامت أربع أحجار رخامية
وسقط هناك منكبا على العشب الأخضر
وأغمى عليه ، لأنه كان على أبواب الموت
١٦٩ - الروابي عالية وعالية جدا الاشجار
قامت هناك أربعة أحجار (صوى) ، من الرخام اللامع
هناك تمعد الكونت رولاند ، على بقعة خضراء بلا حراك

- ٤١٩٨ -

وكان هناك مسلما راقبه بكل دقة
وكان قد تظاهر بالموت ، وتمدد بين قومه
ولطخ صدره ووجهه بالدم
انبعث الآن مسرعا وركض نحوه مندفعاً
كان قويا ، رشيقا ، ومتفوقا بشجاعته
والآن بغضبه وآماله المتعاظمة
انقض على رولاند وأمسك ذراعيه وجسده
وذفوه بعبارة واحدة : الآن ابْنُ أُخْتِ شارلمان
هزم (٢٢٨١ - ٢٣٠٧)

سأخذ سيفه ، والى بلاد العرب سأحمله
لكن عندما سحبه عاد رولاند الى وعيه وشعر به
١٧٠ - شعر رولاند أن سيفه قد سرق
فتح عينيه وذفوه بهذه العبارة وحدها :
أنت لست منا ، هذا ما عرفه تماما
ثم أخذ بوقه الذي كان ممسكا به بقوة
وقذفه على الخوذة المحلاة بالذهب
فحطم الفولاذ والجمجمة والعظام
ومن رأسه أخرج عينيه معا
وعلى الأرض تمدد ميتا ذلك الشرير الدنيء
ثم قال : كم أنت جريء أيها المسلم المزيف
حتى أمسكتني هكذا بحماقة أو بحكمة
وسيرارك أحمقا كل من استمع الى رواية هذه الحكاية
يا الهي ، فوهة بوقي قد تحطمت
سقطت منها جميع اللآلئ وسقط الذهب
١٧١ - وشعر رولاند الآن أن بصره ازداد ضعفا واطلاما
وحاول بكل ما بقي لديه من قوة أن يقف على قدميه
واختفي كل الدم الأحمر من وجنتيه
وقام أمامه حجر أسمر اللون عند ركبته
ضربه عشر ضربات بغضب وأسى

- 8199 -

انه انكشط لكنه لم يكسر كما أن السيف لم يذلم
وصرخ الكونت : أه القديسة مريم قادمة لعوني
أسفي على هذا اليوم يادورندال الطيب والحاد
أنا الآن أموت ، أنا لايمكنني الحفاظ عليك
كم من معركة ربحتها معك على أرض الوغى
معك قهرت عددا كبيرا من الاقطاعات الجيدة
ليمتلكها شارلمان ، ذلك الشيء الذي الحية
البيضاء (٢٣٠٨ - ٢٣٣٥)

لا تدع أحدا من الأعداء يستخدمك ومنهم اهراب
انت الذي استخدمت فترة مديدة من قبل تابع جيد
مثلك لن ترى فرنسا المباركة أبدا
١٧٢ - وضرب الكونت رولاند الحجر الرخامي على أعلاه
ارتفع صوت الفولاذ عاليا لكنه لم يتحطم أو ينثلم
وعندما رأى الآن أنه لن ينكسر أبدا
اشتكى لنفسه الشكاية التالية :

أه يادورندال ، اللامع والشجاع والذشيط
ماأروعك وأنت تلمع وتبرق تحت أشعة الشمس
عندما كان شارلمان محفظا بوادي مورين
حملك ملاك الرب وأمره
أن يمنحك الى واحد من الكونقات القادة
على وسطي ربطك ، شارلمان الذبيل
وبذلك حصلت له على أنجووبريتاين
وبهذا حصلت له على بواتو وقهرت ميان
وبهذا حصلت له على نورماندي ذات الأراضي الجميلة
وبوساطته ربحت بروفانز وأكوتين
وأومباريا وجميع أراضي رومانيا
وبافرايا أيضا وجميع الدولة الأفلامذكية
وعلى بورغاندي وأبوليا استوليت
والقسطنطينية وضعتها في يد المالك

- ٤٢٠٠ -

وفي سكسونيا تكلم فأطيع
وبهذا نلت سكوتلندا (وايرلاندا وولز)
وانكلترا حيث أقام دولته
كم من الأراضي والبلدان أنا قهرتها بمساعدته
لأحفظها بقدر ما أستطيع لشارلمان ذي اللحية البيضاء
أنني الآن حزين ومضطرب من أجل سيفي
خوفا أن يقع في يد مسلم فهذا أعظم مـمـن الـام
الموت (٢٣٣٦ - ٢٣٦٣)

حرم ياربي العزيز أن يسبب العار لفرنسا
١٧٣ - وضرب الكونت رولاند على الحجر الرخامي
أنا لايمكنني أن أحدثك كم قطع منها وفصل
ومع هذا لم يذكسر السيف ولم يذلم مع أنه أن وزمجر
وارتد نحو السماء عاليا من أثر الضربة
وعندما رأى الكونت أنه لن يذكسر
التفت نحو نفسه وبلا شعور انتحب قائلا :
أه يادورندال الجميل والمحترم والمخلص
أي آثار مقدسة محزنة في مقبضك الذهبي
فيك اسنان القديس بطرس وفيك دماء القديس باسيل
وفي ضمذك مخبوء شعر مولاي القديس بيذس
ومثل هذا فيك قطعة من ثوب مريم المباركة
انه ننب أن أدعك تسقط في يد مسلم
يذبغي أن تستخدم من قبل رجال مسيحيين فقط
ولايجوز أن تسقط الى أي انسان جبان
أراضي واسعة كثيرة استوليت عليها بضرباتك
لأحتفظ بها لشارلمان ذي اللحية البيضاء كالنلج
لتزيد عرشه غنى وقوة
١٧٤ - وأخذ رولاند يشعر الآن أن الموت يضغط عليه بشدة
وأنه يزحف من رأسه هبوطا الى قلبه
تحت شجرة صنوبر حضة على الأسراع بالمغادرة

- ٤٢٠١ -

وتمدد هناك ووجهه الى الاسفل على العشب الأخضر
ومدد تحته سيفه وبوقه
وحول رأسه الى حيث كان المسلمون
وفعل هذا من أجل الفرنسيين ومن أجل شارلمان
وبما أنه كان راضيا سيقولون بالتأكيد : قلب شجاع
ذلك أنه مات قاهرا في النهاية
وضرب صدره مرات عديدة وبسرعة (٢٣٦٤ - ٢٣٨٩)
ثم عهد بقفازه وبذوبه الى الرب
١٧٥ - شعر رولاند الآن بذو نهايته
نحو طرف الراية باتجاه اسبانيا حول رأسه
وبيد واحدة أخذ يضرب على صدره
ويقول : أرجوك يارب ان تغفر لي نذوبي
جميع نذوبي صغيرها وكبيرها
جميعها وكل ما اقترفته منذ يوم ولدت
حتى هذا اليوم الذي أسقط فيه ميتا
مد بيده اليمنى قفازه نحو الرب
نزل الآن ملائكة من السماء الى جانبه
١٧٦ - تمدد الكونت رولاند تحت شجرة صذوبر
وتوجه نحو أرض اسبانيا وهو متمد
وشرع في استعراض كثير من الامور في عقله :
جميع الاراضي الحدودية التي استولى عليها في أيامه
وفرزسا أجمل البلدان ، ورجال عصره
ومولاه شارلمان الذي رباه منذ صغره
ولم يتمالك نفسه عن البكاء والتنهيد
ومع ذلك بذاته كان مشغولا آنذاك
فضرب صدره واستمطر رحمة الرب :
أيها الاب الحقيقي والذي ليس فيه كذب
يامن بعثت القديس لازاروس من الموت
واستعدت دانيال سالما من بين براثن الاسد
احفظ روحي من الخطر على الرغم

- ٤٢٠٢ -

من جميع الذنوب التي اقترفت في حياتي كلها
وقدم بيده اليمين قفازه ليعطى للمسيح
ومن يده تقبل جبرائيل التقدمة (٢٣٩٠ - ٢٤١٥)
وفورا سقط رأسه فوق ذراعه
وبيدين متشابكتين وصل الى النهاية ومات
وأرسل الرب له ملاكه شيردباين
والقديس ميكائيل العظيم صاحب بيرل على الشاطئ
ومعهما كان القديس جبرائيل واقفا الى جانبه
وحمل هؤلاء روح الكونت الى الفردوس
١٧٧ - رولاند بين الاموات ، وفي السموات تسلم الرب روحه
وسار الامبراطور شارلمان عبر ممر رونسيفو
ما من نهج كان هناك أو طريق
أو ممر أو ذراع أو قدم من الأرض العارية
الا وكان هناك بعض جثث الفرنسيين أو المسلمين ممددة متناثرة
وصرخ شارلمان : أين أنت ، يا ابن أختي الحبيب ؟ أجبني
أين رئيس الاساقفة وهل تمدد أولفر ميتا ؟
أين غرين وأين تربه غيريير ؟
وأين بيرنغير والكونت أوذون الطيب ؟
وأين ايفور وايفز وهما من أحببت بشكل كبير ؟
وأين انغلير الكاسكوني الكبير والمرموق ؟
وأين الدوق سمسون وادسيس الشجاع ؟
وأين جيرارد العجوز من روسليون ؟
وأين الأتراك الاثني عشر الذين تركتهم لحراسة الحشد ؟
ما فائدة النداء ؟ كلهم لم يتحركوا وكأنهم أحجار
وقال الملك : وارباه ، كم هو مر لومي لنفسي
انني كنت غائبا عندما وجهوا الضربة الاولى
وأمسك لحيته ، وهزها بحنق وغضب
وبكى البارونات والفرسان جميعا وانتحبوا
عشرون ألفا تماما سقطوا لحزنهم على الأرض بلا
وعي (١٤١٦ - ٢٤٤٢)

- ٤٢٠٣ -

وحزن الدوق نايمون بكل أحاسيسه
١٧٨ - لم يكن هناك بارون أو فارس في الجيش كله
لم ينتحب بمرارة والم
ونادى الأخوة والأبناء والأحفاد بالويل
لأنهم سببوا شكوى مولا هم وصديقهم
وسقط كثير منهم الى الأرض وأغشي عليهم
ثم أظهر الدوق نايمون حكمة عظيمة
حيث تقدم نحو الامبراطور وكان أول من قال له :
أنظر أمامك ربما على مسافة مرحلتين
هذه السحب من الغبار ، المتصاعدة في الجو
تبين كم هي حشود المسلمين كبيرة وكم هي مسرعة في فرارها
أركب ، أركب يامولاي ، وانتقم لهذه الواقعة المؤلمة
وقال شارلمان : وأسفاه ، أي فائدة حصلوا عليها
لا شك أنك أشرت بالصدواب وبما يقتضيه الشرف
استلبوا زهرة فرنسا مني في هذا اليوم
واستدعى أوذنون وغيبون لمساعدته
وتيدبولد أوف رايمز والكونت ميلون الشجاع وقال لهما :
أحرسا أرض المعركة ، وأحرسا جميع الهضاب والواديان
وأقول : دعوا الأموات المتمدين كما هم متمدينين
ولا تمكثوا الأسد من لمسهم ولا أي حيوان مفترس
ولأن يلمسهم أي سيد أو أي طفل
أنا أمركم ، مامن أحد ، مامن يد توضع عليهم
حتى نعود - أرجو الرب - الى هذه الأرض ثانية
وأجاباه بحب وباحترام عظيم قائلين :
مولانا الأكثر جلاله ايها الامبراطور العادل ، نحن لا وامرك
طائعين
ثم عينا من أتباعهما ألفا من الفرسان
١٧٩ - وأمر الامبراطور أن تصدح الأبــــــــواق ايذانا
بالحرب (٢٤٤٣ - ٢٤٧١)

- ٤٢٠٤ -

وزحف الى الامام الملك الشجاع ومعه جيشه كله
وقاموا بعملية مطاردة شديدة لهدف واحد
هو رجال اسبانيا الذين اُداروا ظهورهم هاربين
وعندما رأى الملك ان الظلام أخذ بالحلول
ألقى بنفسه فوق العشب في مرج أخضر
وجثا على الأرض وأخذ يصلي للرب مولانا
حبا له أن يبقى الشمس حيث هي
وأن يطيل النهار وأن يأمر الظلام بالانحسار
ومباشرة جاء ملاك اعتاد على الحديث معه
جاء بناء على دعوته واستجابة لندائه وقال له :
أنت ستنتقم من حشود الكفرة
وعندما سمع الامبراطور هذا ، امتطى ظهر فرسه
١٨٠ - صنع الرب لشارلمان معجزة عظيمة
وقفت الشمس في منتصف السماء محبوسة
واستمر المسلمون بالفرار ولاحقهم الفرنسيون عن قرب
وأدركوهم في وادي تينبروسا
فساقوهم الى سرقةسطة وأوقعوا بهم ومزقوهم
وبضربات جبارة قتلوهم وهم يطاردونهم
وقطعوا عليهم طريق الانسحاب في طرق الجبال والطرق العالية
ومالبث نهر ابرو أن واجههم وهو يتدفق مسرعا
وكان عميقا جدا ومغرقا مخيفا
ولم يكن هناك سفن ، ولا جسور ولا عبارات
واستمطروا وهم في يأس الرحمة السماوية
وألقى المسلمون أنفسهم بالماء لكن ربهم لم يهتم بهم
والذين حملوا أسلحة ثقيلة من خوذ ودروع
غطسوا الى الأعماق بأعداد فاقت الحصر
ونجرف التيار آخرين وسحبهم معه (٢٤٧٢ - ٢٤٩٥)
وكان السعيد بينهم من احتفظ بالقدرة على التنفس
وغرقوا جميعا بشكل مرعب جدا
وصرخ الفرنسيون : كان اليوم تعيسا ، يوم نظرتم الى رولاند

- ٤٢٥ -

١٨١ - وعندما رأى شارلمان المسلمين جميعا موتى بدون شك
بعضهم قد ذبح والجزء الأكبر قد غرق
وأنه على أسلابهم الثمينة يمكنه أن يعتمد
ترجل الملك النبيل من على ظهر حصانه
وجثا على الأرض وقدم الشكر للرب
وعندما نهض وجد الشمس مضت نحو المغرب
وقال الامبراطور : أرى ان الوقت مناسب للعسكرة
فالوقت متأخر جدا حتى نعود الآن الى رونسيفو
لان خيولنا معقورة وقد أضناها التعب
أرخوا أحزمة السروج قليلا وانتزعوا اللجم من أفواهها
ودعوهم يرفعوا في هذه المروج من حولنا
ورد الفرنسيون : مولانا ، ماشرت به سليما
١٨٢ - بات معسكر الامبراطور الآن منصوبا
وترجل الفرنسيون جميعا ووقفوا في السهل الفسيح
وحرروا خيولهم من سروجهم وأحزمتهم
وارخوا المقاعد الذهبية وحاولوا من فوق رؤوسهم
وتركوهم يرتعون حيث العشب كثيفا وطازجا
كان هذا جل مايمكنهم تقديمه لهم
ومن كان منهم منهكا اتخذ الأرض فراشا له
ولم يتركوا في تلك الليلة ، من يتولى حراستهم
١٨٣ - واستلقى الامبراطور شارلمان على المرج
الأخضر (٢٤٩٦ - ٢٥٢٢)

ونصب الى جانب رأسه رمحه الجبار
ولم ينزع عنه تلك الليلة دروعه وسلاحه
وظل واضعا عليه سابغته اللامعة والمطلية بلون العصفور
وأبقى على رأسه خوذته المحلاة بالذهب والمجوهرات
وربط حول وسطه سيفه جويوس الذي لانظير لشفرته
وهوذاك الذي يتغير لونه ثلاثين مرة باليوم
هل تعرف التجربة التي لطلما سمعنا عنها الحكايات

- ٤٢٠٦ -

التي خرقت جذب مولانا عندما كان معلقا على الصليب ليقتل
لقد امتلك شارلمان رأس هذه الحربة ، والحمد للرب
واحفظ بها كأثر مقدس في صندوق مذهب
واحفظاء بهذه الهبة وهذه المنحة الربانية
أطلق اسم جويوس على سيفه
نادرا ماكان بارونات فرنسا يذسبون ذلك الشيء
فلأجله صنع شعارهم - جبل المسرة - للحرب
ولهذا مامن أمة تستطيع أن تقف في وجههم
١٨٤ - الليلة صافية والقمر يشع براقا
واضطجع شارلمان لكنه لم يذم وبكى مانزل برونلاند
ومن أجل أولفر بكى بقدر مااستطاع
وبكى الاتراب الاثنى عشر ، جماعته الفرنسيين الذين خلفهم
وراءه

في روزسيفو موتى مخرجين بالدماء وتنهد
ودعا الى الرب ليأخذ أرواحهم الى الفردوس
وكان الملك منهكا ، لأن الحزن كان ثقيلًا على عينيه
ولم يعد بإمكانه الاستمرار ، فاستغرق بالنوم بعد قليل
ومثله تام جميع الفرنسيون هناك
ولم يدان بين الخيول من استطاع أن يظل واقفا
إذا أرادوا العشب رعوه وهم متمدين (٢٥٢٣ - ٢٥٤٩)
'ن من يعاني يتعلم أشياء كثيرة في الحياة
١٨٥ - وكان شارلمان نائما وكأنه انسان هذه الحزن
اليه جاء القديس جبرائيل مرسلا من مقعده في السماء
ليحرس الامبراطور ، بناء على أمر رباني
وبقي الملك يحرس رأسه طوال الليل
ويريه ماأحب من أحلام :
معركة جديدة ، عليه ان يخوضها
وكشفت الرؤيا وسط معاني مأساوية
بدا شارلمان فيها واقفا ينظر الى السماء
وأمسك هناك عصا مشعة مخيفة ومرعبة

- ٤٢٠٧ -

برق ورعد وعاصفة مرعبة وأمطار تشبه الثلج
ونار ولهب مضيء يتساقط وكأنه لوحات
كله بشكل مفاجيء على حشده في أرض الوغى
محرقا الرماح حتى تغدو رمادا وكذلك جذوع أشجار التفاح
حتى الذهب الذي طليت به الدروع كان يحترق
وصدر عن احتراق الرماح الحادة ما يشبه الزوبعة
وتمزقت السوابغ والخوذ المصنعة من الفولاذ
ورأى فرسانه في حالة يائسة جدا
ثم جاء لافتراسهم دببة وفهود مخيفة
بيدان ، أفاعي مجنحة وعدد كبير من أنواع التنين ، وشياطين
من الأعماق
وثلاثون ألفا من الوحوش المجنحة جاءوا مع هؤلاء
جاء هؤلاء جميعا وانقضوا على الفرندسيين والتهموهم أفرادا
وجماعات
وصرخ الفرندسيون : النجدة يا شارلمان اسرع لعوننا
وشعر الملك بالآلام بالقلب وبحزن عميق
وكاد ان يسقط مغشيا عليه لكن المصائب الجديدة حالت دون ذلك
وقفز اسد جبار من داخل الغابة
وكان منظره جبارا ومرعبا ومخيفا (٢٥٥٠ - ٢٥٧٢)
وهاجم الجسد الملكي وأمسكه
وأمسك أحدهما بالآخر وأخذا يتصارعان : انسان ووحش
ولا يمكن أن نقول من كان هو الأسفل ومن كان هو الأعلى
وتابع الامبراطور غطيظه ولم يستيقظ من نومه
١٨٦ - وبعد هذه الرؤيا حلم الامبراطور ثانية :
أنه وقف على دكة في فرنسا ، في مدينة اكس
وكان يقود دبا مربوطا بسلسلة مزدوجة
ومن أردن جاء ثلاثون دبا آخرين
تكلم كل منهم مثلما يتكلم البشر :
وبدوا كأنهم يقولون : سيدي أعده الينا
ذلك أنه يذبغي ألا يبقى في يدك

- ٤٢٠٨ -

هو قريبنا وعلينا أن نقدم له العون
ورأى خارج القصر كلب صيد يسعى
راه ينقض عن بعد على الدب الأكبر ويقاتله
على العشب الأخضر خلفهم مباشرة
أقام الامبراطور مبارزة حادة رائعة
لكن لا يمكن أن نخبر من الذي سيربح اليوم
عرض هذه الأشياء على الملك الطيب ملاك الرب
وظل شارلمان نائما حتى أشرق نور الصباح
١٨٧ - هرب مارسيل الى مدينة سرقسطة
وترجل في ظل شجرة زيتون
 ووضع جانبا سيفه وبيضته ودرعه المشع
وعلى العشب الأخضر اسـتلقى بشـكل تعي
(٢٥٧٣ - ٢٥٩٩)

ضاعت يده اليمنى ولا بد أن يعتاد على العيش بدونها
لشدة آلامه ونزيفه سقط مغشيا عليه
وأمامه جاءت زوجته الملكة براميموند
تبكي وتندب بصوت مرتجف مخيف
ووقف حوله عشرون ألفا من أتباعه
يلعنون فرنسا الجميلة ويشتمون شارلمان
واقترحوا كهف أبولو ودخلوا عليه
فأهانوه أهانات بشعة وصرخوا في وجهه مهديين
أه ، لماذا أيها الرب الشرير جاللتنا بالعار الآن؟
لماذا سمحت للفاجعة تحل بملكنا هذا ؟
تحل بعبد مؤمن وسيد كريم مثله
وانتزعوا صولجانه وتاجه
وعلقوه من يده مربوطا على عمود
وبعضا غليظة ضربوه وحصلوه
ثم داسوه على الأرض بأقدامهم
ومزق تيرماغانت رداءه وانتزع مجوهراته
وبأقدامهم ركلوه بعيدا الى أحد المجاري

- ٤٢٠٩ -

لتدنسه الخنازير والكلاب وتدوس عليه
١٨٨ - واستفاق الملك مارسيل وعاد الى وعيه
فأمرهم أن يحملوه الى حجرته المقبية
التي نقشت بألوان لامعة ودهنت
وكانت هناك زوجته براميموند تبكي عليه
مزقت شعرها وصاحت يالك من سيدة تعيسة
وبكل كلمة تفوهت بها ندبتها وبكتها قائلة :
أه يا سرقسطة ، ستبقيين مهجورة
لأجل هذا الملك العظيم الذي كان سيدك وحاميك
حقا إن ربنا تصرف نحوه بشكل رديء (٢٦٠٠ - ٢٦٢٩)
فهو الذي تخلى عنه اليوم في المعركة وسبب اخفاقه
وس يظهر الأمير نفسه مستسلما
ولن يخوض القتال ضد هذا الشعب الشجاع
الذي لا يعرف الاستقرار ويحمل أرواحه على أكفه
وامبراطورهم هذا الشيخ العجوز ذي الحية البيضاء
لن يهرب إذا ما الحرب حمي وطيسها
أسفي أنه ليس هناك من يقوم بقتله
١٨٩ - بقوة السلاح والبراعة أمضى الامبراطور شارلمان
سبع سذوات تامات متصلات في اسبانيا
وحاز عددا من المدن والقلاع لنفسه
وبذل مارسيل كل ما أوتيته من طاقة للمقاومة
وأرسلت في السنة الأولى رسائل منه
الى باليغان في بابلين بعث يقول :
الى الأمير هذا الرجل المغرق بالقدم
الذي عاش أكثر من هومر وفرجيل
دعه يقدم الى سرقسطة مسرعا ليفرج عنا
إن لم يأت سيتخلى مارسيل عن رب المسلمين
(وتقول الأوامر) عليه أن يتخلى عن جميع الأوثان التي يعبدها
وأن يخضع الى الايمان المسيحي المبارك
وأن يعقد سلمه مع الملك شارلمان

- ٤٢١٠ -

كان هناك تأخير فالأمير عاش في منطقة نائية
من أربعين مملكة استدعى شعبه اليه
وبعد طول انتظار أكمل تجهيز مراكبه العملاقة
وسفائنه وشوانيه وبوارجه وقواربه وسفن القتال
في الاسكندرية حيث المرسى واسع وعميق
في البحر اسطوله كله جاهز للاقلاع
في أيار حيث أول بداية الصيف
وانطلق في سبيله مع جميع جيوشه
١٩٠ - كانت قوات هــذا العـرق المنبـهـوذ هــاثة
(٢٦٣٠ - ٢٦٤٨)

وأبحر المسلمون وتحركت سفنهم بالمجانيف والأشرعة
وقفوا على السواري العالية وعلى المقدمات الطويلة
ما لا يحصى من المصابيح والمجوهرات لمعت
وبدا البحر في الليل جميلا مشرقا
وعندما وصلوا أرض اسبانيا
أشرق الساحل كله ولمع من خلال الاشعاعات
وسمع مارسيل أخبار أفادت أنهم على الطريق
١٩١ - وسارت الحشود الاسلامية باذلة جهدها المستطاع
غادروا البحر وجددوا الآن نشاطهم
وعبروا مار برايس ثم خلفوا ماربروس وراءهم
واتجه الاسطول بأكمله نحو الابرو وأبحر بهدوء
مع اللاليء وما لا يحصى من المشاعل تضيء
ومن المساء حتى الفجر توفرت لديهم الكثير من الأضواء
وفي اليوم التالي وصلوا الى سرقةسطة
١٩٢ - وكان النهار مشرقا ، وبدت الشمس جميلة المنظر
ومن السفينة نزل الأمير العظيم
وعن يمينه سار الاسبانيون
وسار خلفه سبعة عشر ملكا وتبعوه (٢٦٤٩ - ٢٦٧٨)
لا يمكنني أن أحصي عدد الكونتات والبارونات الذين كانوا هناك

- ٤٢١١ -

في مرج جميل تحت شجرة غار
انتشرت ثياب بيضاء كأنها الثلج على بساط أخضر
وعليها نصبوا عرشا من العاج
هناك اتخذ باليغانت المسلم مجلسه
وأحاط به جميع الذين جاءوا معه ووقفوا أمامه
وكان أول من تكلم منهم سيدهم ومولاهم قائلا :
استمعوا إلي الآن وأصغوا ايها الفرسان الشجعان والأحرار :
إن الامبراطور شارلمان الذي يملك الفرنجة ويدير أمورهم
لن يأكل الخبز ما لم آذن له
لقد عمل ضدي في اسبانيا بشكل مقيت
الآن سأذهب إلى فرنسا الجميلة وهناك سأواجه قواه
وما دمت حيا أنا لن أتوقف عن الحرب
حتى يموت أو يستسلم إلى حيا
وكان في ذلك الأثناء ممسكا قفازه بيده اليمنى يضرب على ركبته
١٩٣ - وتحدث ثم أقسم يمينا لهذا القصد
أنه لن يتراجع مقابل الذهب الموجود تحت قبة السماء
عن الذهاب إلى اكس حيث يقيم شارلمان بلاطه
وأعلن رجاله عن موافقتهم وأيدوا جميع ما قاله
واستدعى الآن إليه اثنين من الفرسان من بين البقية
وكان احدهما كليرفانت والآخر كليرين وخاطبهما :
أنتما ابنا الملك مالترين
الذي انطلق من عندي سفيراً بكل سرور ورضى
أمركما أن تسافرا من هنا إلى سرقسطة
وأن تخبرا باسمي ما يلي إلى الملك مارسليون :
إنني قدمت لمساعدته ضد الفرنسيين
وسأثير حرباً عواناً حيث ألتقيهم
أعطياه هذا القفاز الموشى بالذهب
وتأكد من أنه سيرتديه بيده اليمنى
وأعطياه أيضاً هذا الصولجان المصنوع من الذهب الخالص
(٢٦٧٩ - ٢٧٠٤)

- ٤٢١٢ -

واطلبوا منه أن يأتي للقائي وأن يقدم لي هنا ولاءه التام
أنا سأذهب الى فرنسا للحرب ضد شارلمان حتى الموت
إذا لم يستلق أمام قدمي رغما عنه
إذا لم يتذكر لايمان الرجال المسيحيين
فإنني سأنتزع التاج من على رأسه
وقال المسلمان : مولاي هذا صحيح وحسنا قلت
١٩٤ - قال باليغانت : أيها السيدان الى الخيول ، انطلقا
وأخذ أحدهما القفاز ، وأخذ الآخر الصولجان
وأجاب الرجلان بثقة : مولانا العزيز سنفعل
وانطلقا الى سرقسطة فوصلها ظهرا
واجتازا عشرة أبواب ، وعبرا أربعة جسور
وقطعا الشوارع حتى وصلا الى حيث الحكام
وعندما وصلا أخيرا الى أعلى المدينة
سمعا أمام القصر بكاء عاليا وطويلا
وتجمعت هناك اعداد كبيرة من المسلمين في حشود
يكون ويندبون بأصوات حزينة
على تيرماغانت ومهوند الهيهما
وعلى أبولو : الذين من خلالهم خسرو
وكان كل منهم يصرخ : ويل لي ، ما الذي سيكون مصيرنا ؟
لقد سقطت على رؤوسنا كارثة مرعبة
والأسفاه ، لقد فقدنا ملكنا مارسيلون
الكونت رولاند قطع يمينه
وجورفرت الحكيم قد مات أيضا
اسبانيا كلها اليوم ستقع تحت نيرهم
وترجل الرسولان وصعدا الى الداخل فورا
١٩٥ - وتركوا تحت شجرة زيتون فرسيهما تنتظران
(٢٧٠٥ - ٢٧٣٢)
وأسرع مسلمان للامساك بمقوديهما
وأمسك كل من الرسولين أحدهما بثوب الآخر
ودخلا الى القصر العالي صعدا

- ٤٢١٣ -

وعندما جاء الى الحجرة المقببة
حاولا أن يقدمتا تحيتيهما بشكل لطيف في ذلك الجو الكثيب :
ليقم مهوند ، الذي يحمينا
والرب أبولو ، وتيرماغانت برعايتهم
بحماية الملك ، وأن يجعلوا الملكة سعيدة
وقالت براميموند : لماذا أسمع هذا الكلام الأحمق
أربابنا هؤلاء خونة تعساء
لقد صنعوا عجائب في رونسيفو الحقيق
لقد تركوا فرساننا يقتلون بدون عون
وبالنسبة لمولاي ، لقد خانوه تماما
ذهبت يمانه ولم يبق منها ادنى أثر
لقد قطعت بضربة من رولاند ، الكونت الذي لا نظير له
الآن غدت اسبانيا كلها عرضة لأن يمتلكها شارلمان
وماذا عني ، أنا السيدة المثكلة التعيسة
الويل لي هذا اليوم ، اليس هناك من يقوم بقتلي ؟
١٩٦ - وقال كليرين : سيدتي ، اضبطي لسانك لبعض الوقت
لقد وصلنا من عند باليغانت المسلم
الذي اعلن انه سيقدم العون الى مارسيل
وقد ارسل قفازه وصولجانه كعلامة
وعلى سطح نهر ابرو هناك الآن أربعة آلاف من السفين
ومراكب أخرى الى جانبها لا يمكن عدها
أميرنا غني ، ليس هناك من يجاريه بقوته
سيذهب الى فرنسا ، وهناك سوف يجد شارلمان
وسيجعله يسلم أو يقتله ويزيله من الوجود
(٢٧٣٣ - ٢٧٦٠)

وقالت براميموند : بعيدا حتى فرنسا ؟ عجباً ، عجباً !
لدينا أعداد كبيرة من الفرنجة على مقربة منا على بعد أميال
هؤلاء هنا منذ سبع سنين دونما انقطاع
الأمبراطور شارلمان قوي ومولج بالقتال
ليس هو من يفر من المعركة بل انه يؤثر الموت على ذلك

- ٤٢١٤ -

يعد أفضل الملوك الأحياء ليس أكثر من مجرد طفل
شارلمان لا يخشى أي انسان بين الأحياء
١٩٧ - ثم قال الملك مارسيل : صنع ، وصنع
والدف نحو السفيرين قائلا : أرجوكم ايها السادة الي توجهها
بالخطاب

أنا واقف على باب الموت ، كما تريان بكل وضوح
ما من ولد ، وما من ابنة ، ولا وريث أنا سأترك
كان لدي ولد واحد وقد قتل بالأمس
اطلبا من الأمير ان يقدم لزيارتي
دعوى جيدة وصحيحة بالنسبة لأرض اسبانيا
إن ود أن يملكها سأتخلى له عنها بمحض ارادتي ضد هؤلاء
الصوص الفرنجة

وسأعلمه كيف عليه ان يتعامل مع شارلمان
وبشهر واحد سيهزمه ويجعله يخر أمامه على ركبتيه
انهبنا من سرقة سطة ، واحملا له المفاتيح
ليأخذها ويمتلكها اذا تمسك بنصائحي
وأجاباه : مولانا ، كلماتك معقولة حقا
ثم قال مارسيل : امبراطور الفرنجة
قتل رجالي وعاث فسادا في أرضي
ودمر مدني ايضا ونهبها

ووصل الليلة الماضية الى ضفاف نهر ابرو
على بعد اقل من سبع مراحل ، أقام معسكره ، وفق ما اقدر
اطلبا من الأمير ليقدّم وقواته بأقصى سرعة ممكنة
بوساطتكما أكلفه بالزحف للقتال (٢٧٦١ - ٢٧٨٩)

ووضع مفاتيح المدينة في ايديهما
ثم انحنى الرسولان احتراما أمامه
وودعاه وركبا الطريق نحو معسكرهما عائدين
١٩٩ - وامتطى الرسولان فرسيهما
وانطلقا مغادرين للمدينة بأقصى سرعة ممكنة
ووصلا الى الأمير وهما على درجة كبيرة من الخوف

- ٤٢١٥ -

وقدما له مفاتيح سرقة سطة
وقال باليغانت : مالديكما من أخبار لتحكيا ؟
أين الملك مارسيل ، الذي اليه ارسلتكما ؟
وأجاب كليرين : إنه مصاب بجرح مميت
بالأمس اتجه شارلمان نحو الممرات
وقصده العودة الى فرنسا
ووضع في ساقه جيشه قواتا نبيلة
وخلف هناك ابن اخته الكونت رولاند
وأولفر وجميع الأتراك الاثني عشر
وكان معهم عشرين الفا من الفرنسيين مسلحين
وعليهم انقض الملك الشجاع مارسيل
وعلى أرض المعركة تواجه مع الكونت رولاند
وهناك سد ضربا بدورندال
فقطعت يمين مارسيل وفصلتها عن جسده
وكذلك ابنه ، الذي أحبه كثيرا ، قد مات
وجميع البارونات الذين قادهم كلهم قتلوا
ولم يستطع تحمل ذلك ، فهرب من ساحة القتال
وطارده شارلمان لمسافات طويلة
ويرجو الملك الآن أن تجلب له المساعدة
واليك يتنازل عن مملكة اسبانيا
وبات الآن على باليغانت أن يفكر بنفسه
ولشدة غضبه وحزنه ، كاد أن يفقد رأسه
٢٠٠ - قال كليرين ثانية : سيدي الأمير (٢٧٩٠ - ٢٨١٨)
بالأمس وقعت معركة في رونسيفو
رولاند قد مات والكونت أولفر قد قتل
وكذلك الأتراك الاثني عشر الذين أحبهم شارلمان
عشرون الفا من الفرنسيين تمددوا موتى على أرض المعركة
بترت يمين مارسيل وعن جسده فصلت
وعلى الفور قام الامبراطور وهو حانق بعملية مطاردة
لم يبق ولا فارس في أرضه

- ٤٢١٦ -

إما قد قتل أو غرق بين أمواج الأبرو
ونصب الامبراطور معسكره على ضفاف النهر هناك
إذا ما انطلقت الآن ، ستجدهم معسكرين قريباً من هذا المكان
أي أنهم سيجدون من الصعب عليهم الفرار
وفيما باليغانت يستمع أشرق وجهه بالفخار
وامتلأ قلبه سروراً وانشراحاً
وقفز من على عرشه وانتصب قائماً
وصاح رافعاً صوته : تعالوا أيها الأمراء دونما تأخير
واخرجوا من السفن ، وامتطوا خيولكم ولننطلق مسرعين
حتى لا يتمكن شارلمان من النجاة فراراً
سينتقم الملك مارسيل هذا اليوم
وسأعطيه رأساً بدلاً عن الذراع
٢٠١ - وخرج المسلمون العرب من السفن
ومالبثوا أن امتطوا خيولهم وبغالهم
وركبوا الطريق مسرعين بأقصى ما أوتوه من قوة
ثم قام الأمير الذي حرك عواطفه الحربية
باستدعاء جمالقيين خيرة بحارته
وخطبه قائلاً : أعهد اليك بقيادة جميع قواتي
ثم امتطى مهره ذي اللون البني
واتخذ حرساً لنفسه يرافقه أربعة من الأمراء
ونحو سرقة سطة ارتحل قاصداً
وعلى دكة من الرخام المنحوت أقيمت هناك (٢٨١٩ - ٢٨٤٤)
وقف أربعة كونتات لأمساك ركابه
وصعد السلم القائم تحت سطح القصر
والى هناك أقبلت براميموند مسرعة لاستقباله
وصرخت وهي تتلقاه : الويل لي من الأخبار المرعبة
مولاي يموت ، موت مشين في غير وقته
وارتمت أمامه ، فما كان منه إلا أن ساعدها على النهوض
وقدما الى الحجرة بوضع كئيب

٢٠٢ - عندما رأى الملك الأمير يدخل
استدعى على الفور اثنين من مسلمي اسبانيا وقال :
أعيراني أذرعكما ، وارفعاني حتى أستطيع الجلوس
فأمسك بيده اليسرى أحد قفازيه
ثم قال مارسيل : سيدي الأمير مولاي الملك
انظر ، هذه البلاد كلها (أضعها بين يديك)
وسرقة سطة وجميع اقطاعاتها مقدمة لك
بالنسبة لنفسى ، أنا فقدت شعبي وأقربائي
ورد عليه قائلا : انني اشعر بالحزن العميق لهذا
على عدم الاقامة طويلا للتشاور
سيسافر شارلمان ، أنا اعرف ذلك ، انه سيرتحل
ومع هذا سأخذ قفازك وهداياك
واستدار وهو يبكي وقد امتلأ صدره بالحزن العميق
وهبط على السلم ومن ثم غادر القصر
وامتطى فرسه والتحق برجاله المتقدمين
وتجاوزهم جميعا وساق مسرعا
وتقدم وهو يصرخ بصوت مرتفع ومناسب :
أيها المسلمون تقدموا ، صدقوني الأعداء يهربون الآن
٢٠٣ - مع انبلاج الفجر ، عندما يظهر أول نور النهار
(٢٨٤٥ - ٢٨٦٩)

استيقظ الامبراطور شارلمان من نومه ظهرا
الملك المكلف بحراسته ، القديس جبرائيل المرسل من قبل الرب
رفع يده ورسم عليه علامة الصليب
وكان الملك متجردا ، قد وضع سلاحه جانبا
ومثله كان الحشد بأكمله قد أرخى أعنة خيوله
وامتطى الجميع خيولهم وتقدموا مسرعين
خلال السهول الفسيحة وعلى طول الطرقات
لقد ذهبوا ليشهدوا الخسائر الهائلة
في روزسيفو حيث نشبت المعركة

٢٠٤ - الى رونسيفو جاء شارلمان وتجول
ورأى الموتى ، وزفرت الدموع من عينيه
وخاطب الفرنسيين قائلا : أيها الساسة تحركوا بأناة
سامضي أنا أولا ، لوحدي ، بدون من يمشي الى جانبي
لأنني شيفشى علي عندما سأجد جسد ابن أختي
بعيدا في اكس ، كنت واقفا في أحد أيام الأعياد
ومن حولي وقف رجالي الشجعان
يتفاخرون بالمعارك وبحروبهم المريرة
قال رولاند شيئا أنا الآن أتذكره
أن عليه الذهاب الى أرض غريبة للموت هناك
وسيتمد خلفهم جميعا من مشاة او اتراب
وسيجعل وجهه منعطفا باتجاه الأعداء
فقد سقطوا بالقتال ، وانتهى وكأنه منتصر
أمام البقية القيت عصاة او على مقربة منهم
ومضى الامبراطور ثم تسلق الى قمة رابية
٢٠٥ - وفيما الملك ذاهب للبحث عن ابن أخته
(٢٨٧٠ - ٢٨٩٥)

رأى ورودا كبيرة فوق المروج
حمراء بدم فرساننا
وشعر بالأسى وما كان بإمكانه الامتناع عن البكاء
ووصل الآن الى مكان تحت شجرتين
ورأى هناك أن الكونت رولاند قد ضرب على ثلاثة أحجار
وشاهد ابن أخته ممدا على عشب أخضر
وليس غريبا ان بكى شارلمان بشكل حاد
وترجل بسرعة والى هناك ركض على قدميه
وأمسك بيديه وجنتي البارون

وسقط فوقه مغشيا عليه فقد اعتصره الحزن
٢٠٦ - واسترد الامبراطور عليه ورفع رأسه
ثم تلاه الدوق نايمون والإكونت اسيلون

- ٤٢١٩ -

ومن بعدها غودفري دي انجو واخاه هنري
ونهض الملك ووقف امام جزع شجرة صنوبر
ونظر نحو الارض فرأى ابن اخته ميتا
وبنعومة كبيرة دفوه بهذا الرثاء:
ليظهر لك الرب الرحمة ياكونت رولاند ، يا صديقي
كنت فارسا عظيما ومثلك لن يرى ثانية
للقيام بالحروب الكبرى ونيل النصر ايضا
والسفي ، امجادي تغرق لتنتهي
وفقد الملك شارلمان وعيه وماعاد بامكانه مساعدة نفسه
٢٠٧ - واستفاق الملك شارلمان وبدأ يسترد وعيه
وامسكه اربعة بارونات بين ايديهم ونهضوا به
جسمه جميل ، لكن جلده كله ابيض شاحب
وحرك عينيه اللتين طاللها الليل
وبصدق وحب ندبه شارلمان قائلا :
رولاند ، يا صديقي ، الرب قد رفع روحك
الى جنات الفردوس بين الورود النضرة
مولاك التعيس قد ارسلك الى اسبانيا لتموت
لن يعيد النهار الراحة الى عيني
بسرعة قصوى ذوى سروري وضعفت قواي
لن استطيع الاحتفاظ بشرفي. مشرقا
واعتقد انه لم يبق لي صديق واحد تحت السماء
لي اقرباء ، لكن مامن واحد منهم مثلك
ومزق شعره بكلتا يديه لشدة اساه
وشهق مائة الف من الفرندسيين حزنا
ومامن واحد منهم الا وبكى وعلا صوته بالنحيب
٢٠٨ - رولاند ، يا صديقي ، انا ذاهب الى فرنسا ثانية
وعندما سأكون في ليون في مملكتي
سيأتي كثيرون من ممالك وشعوب غريبة
يسألون : اين هو ، الكونت القائد العظيم ؟
وانا لا بد ان اخبرهم انه متمد ميت في اسبانيا

- ٤٢٢٠ -

وسأحكم طوال حياتي بالحزن
ولن اتوقف يوما من الايام عن الشكوى والالم
٢٠٩ - رولاند ، يا صديقي ، يا صاحب القلب الشجاع الطيب
عندما سأكون في اكس تحت سقف بيعتي
سيأتي كثيرون وسيسألون عن الاخبار
وعندها لابد من اخبرهم بالحقيقة الغريبة والثقيلة
ابن اختي ميت ، ذاك الذي اخضع لي جميع ممالك
ثم سيثور السكسون ضد حكمتي (٢٩٢١ - ٢٩٤٨)
والهنگار والبلغار وكثير من الشعوب المعادية سيأتون
من روما وبالرمو وابوليا للنهب
وعصابات الافارقة ، فريق الكاليفرنين
وعندما ستتجدد اضطراباتي ومتاعبي
اين هي الطاقة التي تمكنني من قيادة عساكري
بعدما مات الذين اعتاد دوما ان يمكننا من النجاح؟
واسفي عليك يا فرنسا الجميلة ، كم انت تعيسة
انا كئيب جدا ، وسأهلك انا ايضا
ومزق لحيته التي كانت بيضاء كالثلج
واقطع من رأسه شعره الابيض من الجذور
ومائة الف من الفرانسيين فقدوا وعيهم مثله
٢١٠ - رولاند ، يا صديقي ليمنحك الرب رحمته
وليجعل مقر روحك في الفردوس المبارك
ان الذي قتلك دمر فرنسا ايضا
حزني عظيم جدا حتى انني اود لو كنت ميتا
اسفي على اهل بيتي الذين قتلوا دفاعا عني
اجعل الان يارب يا من استلقيت على صدر ماري
قبل ان تتمكن قدمي من جواز ممر سيزر
تخرج روحي من جسدي
واجعلها بين ارواحهم ، ومكنها من السكنى معهم
واجعل جسدي تحت التراب الى جانب اجسادهم
وبكى لاساه ، وندف شعر لحيته الشهباء

وقال الدوق نايمون : شارلمان في وضع محزن للغاية
٢١١ - ثم تكلم غودفري دي انجو قائلاً : مولاي الامبراطور
ارجوك ان تهذا ، والا تحزن بمثل هذه المראה
دعنا نفتش في ارض المعركة عن رجالنا وامرائنا
الذين قتلوا رجال اسبانيا اثناء المعركة
وان ندفنهم جميعا في قبر واحد
واجابه الملك : سأفعل ، اذهب واصدح في بوقك
٢١٢ - وجعل غودفري دي انجو بوقه ينعق
وبأمر من شارلمان ترجل الفرنديون بلا تأخير
وعندما تم العثور على جثث جميع اصدقائهم
وضعواهم جميعا في حفرة كبيرة تحت الارض
وطاف الاساقفة ورعاة الالبيرة بين الحشود هناك
وكذلك القساوسة والرهبان ورجال الدين الذي حلقوا منتصف
رؤوسهم

وباسم الرب حلقوهم وصلبوهم
واحرقوا المر والبخور فتعالى الدخان كثيفا مثل السحاب
وطيَّبوهم جميعا بكل عناية وايديهم حولهم
ثم رفعوا جميعا بتشريف عظيم نحيب الدفن والعويل
وتركواهم هناك ، وماالذي بإمكانهم ان يفعلوا اكثر؟
٢١٣ - واعد شارلمان رولاند لطقوس الدفن
والى جانبه الاسقف توربين واولفر
وجعل اجسادهم مكشوفة امامه
وغلف قلوبهم بقماش حريري ناعم
ووضعهم في تابوت من الرخام الابيض
ومالبثوا ان صنعوا الغطاء من جلد خاص
وذلك بعدما غسلوهم اولا بالسدر والخمر
ودعا الملك تيبولد وغيبون للوقوف الى جانبه
وكذلك المركيز اوڤون وكونت ميلون وقال لهم :
ضعوهم على ثلاث عربات وانتم ينبغي ان تكونوا قادتهم

- ٤٢٢٢ -

ومدوا على كل واحدة شقة من الثياب الغلاطية
٢١٤ - كلهم انطلقوا يريدون الوطن تحت لواء
شارلمان (٢٩٧٤ - ٢٩٩٨)
وفجأة جاء احد الطلائع المسلمين
كان قد ركب مسرعا امام السفراء
المكلفين بحمل اخبار التحدي من الامير :
لاتفكر ايها الملك التفاخر بالمغادرة سالما دون جراح
انتبه إن باليغانت مطاردا لك بشدة
جلب معه حشدا عظيما من العرب
والان سنرى فيما اذا كنت قوي القلب
ومرر الملك اصابعه فوق لحيته
وهو يتذكر خسائره والضربات المريرة
وبفخار القى نظرة على حشود فرنسا
ثم ارسل صوتا عاليا سمع عن قرب وبعد :
بارونات فرنسا ، الى خيولكم ، الى السلاح
٢١٥ - وكان الملك اول من حمل السلاح للنزول الى ساحة
الوغى

ارتدى بكل سرعة دروعه اللامعة
وشد بيضته على رأسه وتمنطق بسيفه الفولاني
جويوس الذي يفوق شعاع نصله شعاع الشمس
وعلق على رقبتة مجنه القوي الاصيل
وتناول رمحه ، وهزه من قناته
ثم امتطى حصانه الاصيل تدسندور وساق
وعند مخاضه ارسون او قبيلها ربح الدابة
والقى مالبالين صاحب نربوته من على مقعده
بعدها ارخى لفرسه العنان ساق ضده بشدة
وعدا يركض مسرعا ليرى جميع رجاله
داعيا الرب وذاك الذي يحمل المفاتيح .
٢١٦ - وترجل الفرنسيون في السهل مباشرة

- ٤٢٢٣ -

ووضع مائة الف او اكثر على انفسهم دروعهم
وبالنسبة للتجهيزات توفر لديهم كل ما يتمناه القلب
خيول سريعة ورشيقة واسلحة اعدت بشكل جيد
وامتطوا خيولهم واظهروا تدبرهم ونظامهم
وعندما يحين الوقت سيقاتلون بكل شجاعة
وفوق رؤوسهم خفقت الاعلام زاهية
وعندما رأى شارلمان كم هو رائع منظرهم
وهكذا التفت نحو الدوق نايمون وانتلمي الشجاع صاحب ميذس
وجوز راين صاحب بروفانزس وبادرهم بالقول :
بمثل هؤلاء الرجال يمكن للانسان ان يثق
ومن يشك هؤلاء يعد احمقا
حسننا فعل هؤلاء العرب انهم جاءوا للانتقام
اظن انهم سيدفعون غاليا ثمننا لموت رولاند
واجابه الدوق نايمون : ادعو الرب ان يمنحك ذلك
٢١٧ - واستدعى شارلمان رابل وغوينمانت
ثم خاطبهما الملك قائلا : امركما ايها السيدين الان
ان تاخذا مكان رولاند واولفر
ولياخذ احكما السيف والاخر البوق
واركبا وتقدما قائدين على رأس الجيش
مع خمسة عشر الفا من الفرانسيين وراءكما
من العزاب والشبان والاكثر شجاعة في البلاد
ثم سيشكل عددا مساويا الرتل الثاني
يتولى قياده غيبوين ومعه غوينمانت
والدوق نايمون والكونت جوزراين
مارشال الارتال تبعا لهذه الخطة
وسيكون هناك عملا كبيرا عندما سيقاتلون يدا بيد
٢١٨ - وتكون الرتلان الاول والثاني من الفرانسيين
والرتل الثالث ، الذي كونه بعدهما
تشكل كليا من الرجال البافاريين الشجعان
وكان قوامه عشرين الفا من الفرسان

- ٤٢٢٤ -

صفوفهم في المعركة لن تكسر ولن تلوى
عندهم شارلمان اغلى ما عنده تحت السماء
اللهم باستثناء فرنسييه النين ربوا لصالحه هذه الممالك
الواسعة

وكان اوغيير الداني ، الكونت الطيب ، على راسهم
وكانوا عساكر عظيمة وكان هو مقاتلا مرعبا
٢١٩ - وامتلك الامبراطور شارلمان الان ثلاثة ارتال
ثم قام الدوق نايمون فشكل رتلا رابعا
وتم تشكيل هذا الرتل من لوردات شجعان جدا
كلهم المان ، وكلهم ولد في المانيا
وروي ان عددهم كان عشرين الفا او ما يقارب ذلك
وكانوا مجهزين بشكل جيد بالسلاح والخيول
هم لم يذكروا ابدا مع أنهم قد يتعرضوا للفناء جميعا
وقادهم هيرمان دوق تريس الى الحرب
وكان هذا يؤثر الموت على التراجع او الذكول
٢٢٠ - الدوق نايمون والكونت جوزراين
اختارا الرجال لتشكيل الرتل الخامس من اراضي النورمان
وكانوا عشرين الفا حسبما احصاهم الفرنجة
معهم مايكفيهم من الخيول ومع كل رجل ما يحتاجه من عتاد
وكانوا يؤثرون الموت على ان يديروا ظهورهم للاعداء
ومن الصعب ان يوجد من يحاربهم تحت السماء
وكان رتشارد العجوز قائد صفوفهم
سيسدد ضربات طيبة بسنان رمحه الحاد المحمول بيده
٢٢١ - وكان في الرتل السادس رجال بـريـتاني
(٣٠٥٢ - ٣٠٧٤)

وكان تعدادهم الكامل ثلاثون الفا من الفرسان
وزحفوا الى الامام ، وساقوا امام الجميع مسرعين
حاملين رماحا ملونة عليها اعلام خفاقة
وتولى يودون القيادة على هذه الجماعة

- ٤٢٢٥ -

المركيز اوثون وتيبولد لورد الرايمز
استدعاهما كونت نيفيلون وإليهما توجه بالخطاب
أرجوكمما قودا رجالي ، وتقبلا هذه الهبة مني
٢٢٢ - بات لدى الامبراطور ستة أرتال جاهزة

ومضى الدوق نايمون لتشكيل السابع
ووقع اختياره على لوردات أوفرين وبواتو
وتجمع لديه أربعون ألفا من الفرسان أو نحو ذلك
وكلهم جيد التسليح وامتطوا خيولا طيبة
وعسكر بهم في بطن أحد الوديان تحت إحدى الهضاب
وباركهم شارلمان جميعا بيمينه
وتولى قيادتهم غودسلم وجورزاين معا
٢٢٣ - وشكل نايمون بكل سرعة رتلا ثامنا

تكون من القلمنكيين وبارونات فريزيا
وكان بصحبته أربعين ألفا من الفرسان أو ربما أكثر
وكانت صفوفهم القتالية مرصوفة بدون خلل
وقال شارلمان : أفضل من هؤلاء لا يمكنني أن أتمنى
الشجاعة الصحيحة هي المتحكمة هؤلاء الجنود
٢٢٤ - ولم يتوقف الكونت جوزراين ونايمون عن العمل
بل شكلا الرتل التاسع من العساكر الشجاعة
من رجال اللورين ومن شعب برغنديا
وقدرت حشودهم بخمسين ألفا من الفرسان
خوذاتهم مشدودة وسوابغهم مربوطة
رماحهم قصيرة لكنها قوية بشكل فائق
إذا لم ينهزم العرب من صدمة المعركة
ما ان يندفع هؤلاء سيعطوهم كل ما يستحقونه
لقد قادهم ثيري دوق اراغون الطيب
٢٢٥ - ووقف في الرتل العاشر لوردات فرنسا واصطفوا
وكانوا مائة ألف من خيرة قادتنا
ووقفوا بكل فخر ، وكانت قاماتهم ممدودة تماما

- ٤٢٢٦ -

وكانت رؤوسهم علاها الشيب ولحاهم شهباء
ولبسوا السوابغ وضاعفوا الدروع
وتمنطقوا بالسيوف المصطنعة بجودة في فرنسا أو اسبانيا
وكان لبيهم ترسة رائعة مشرقة بشكل بديهي
وامتطوا خيولهم ومضوا بانتظام الى القتال
وصرخوا - جبل المسرة - وكان معهم شارلمان
وغودفري دي انجو الذي نصب الراية المقدسة
وكان اسمها « القديس بطرس » ثم دعيت « رومين »
لكن الى « جبل المسرة » غيرت فيما بعد اسمها
٢٢٦ - وترجل الامبراطور الان من على حصانه
(٣٠٩٦ - ٣١٢٤)

وجثا على ركبتيه فوق عشب اخضر وطأطأ رأسه
ثم رفع وجهه نحو الشمس المشرقة مباشرة
ودوجه بالدعاء الى الرب باحترام قلبي قائلا :
ابانا الحقيقي ، في هذا اليوم سادافع عن قضيتي
انت الذي مددت عونك الى يونس
في جوف الدوت ، واخرجته سالما من هناك
وبعدما وفرت ملك نينوى
انقذت عبدك دانيال
من بين أنياب الاسد الشجاع المفترس
ووقيت الاطفال الثلاثة وسط النار
مولاي اجعل هذا اليوم هبتي وعوني
واذا كان يرضيك ، امنحني ذلك قبل نهاية النهار
لانتقم تماما لابن اختي رولاند
ونهض بعدما أنهى صلاته ، ووقف منتصبا
ورسم علامة القوة على حاجبه وعلى صدره
وقفز الملك مرة جديدة إلى ظهر فرسه
وأمسك جوزراين ونايمون بركابه
وتناول ترسه ورمحه الحاد السنان أيضا

- ٤٢٢٧ -

كان جسمه متماسكا وقامته منصوبة
ووجهه فرنجي ، ونظراته واثقة
وانطلق نحو الامام متمكنا من ركابه
من المقدمة الى الساقة ارتفع الزئير وتصاعد
وتردد صوت البوق فوق رؤوس الجميع
وذكرى رولاند جعلت الدمع يتحدر من عيون كل الفرنسيين
٢٢٧ - ومضى الامبراطور شارلمان في طريقه بشكل مهيب
وترك لحيته تتطاير فوق درعه
وحبا به فعل الفرنسيون مثله الشيء نفسه
هكذا كان من الممكن تمييز هؤلاء المائة الف
وعبروا الجبال وعبروا المرتفعات الصخرية
وخلفوا الشعاب العميقة والواديان الضيقة خلفهم
وزحفوا مسرعين عبر الممرات والأراضي الجرداء
لقد زحفوا عبر الأراضي الاسبانية
وفي أحد السهول عبأوا صفوفهم للقتال
وفي الوقت ذاته عاد الكشافة الى باليغانت
وروى احدهم ، وكان سوريا ، ماراه كما يلي :
راينا الملك شارلمان بكل عظمته
رجالاه أشداء ، ليس للفرار في ذهنهم مكان
أحمل سلاحك الآن ، لاذك ستشتبك بالقتال
وقال باليغانت : تلك شجاعة ، أعلن هذه الاخبار
الى جميع المسلمين ، اذهب وازعق بالبوق عاليا
٢٢٨ - وقرعوا وسط الحشود طبول الحرب
وصوتت نفرهم ، وزعقت ابواقهم
واندفعت حشود المسلمين الى حمل السلاح
وتقدمها في ذلك الامير العظيم
وارتدى سابغة طلي مئزرها باللون العصفري
وشد بيضته المرصعة بالجواهر والمحلاة بالذهب
وتمنطق بسيفه على جانبيه الايسر
وبفخاره العظيم اوجد اسما له :

ليتبارز مع شارلمان ، الذي سمع الرجال يتحدثون عنه
(انه حمل لقب « بريشيوس » فبهذا دعي السيف)
وكان هذا شعاره في الحرب عندما توشك المعركة على الوقوع
وحتى ينادي فرسانه بشعاره تعلموا ذلك
وعلق حول عنقه صدريته العريضة
وسطها مذهب وحوافها مرصعة بالجواهر
والحزام من حرير قوي مطرز بشكل انيق
وتداول الآن بيده رمحه « مالتيت »
قناته سمكة مثل مطرقة ثقيلة
وكان وزن السنان يساوي حمل بغل او اكثر
وامتطى باليغانت ظهر حصانه
(مركول الذي جاء من وراء البحار امسك
بركابه) (٣١٥٦ - ٣١٨٣)
متين هو ، وواسع الكف
واسع الكفل ضيق الخصر رشيق
عريض الصدر ، جميل التكوين
كتفاه عريضان ، بشرته نقية وصافية
مظهره مظهر مقاتل ، شعره المجعد طويل
ابيض كوردة في صباح يوم صائف
برهن عن شجاعته مرات ومرات
لو انه كان مسيحيا ، يا الهي ماروعه من مقاتل
نخس مهره حتى تدفق منه الدم النقي
ومضى يعدو مبرعا فوق الهضاب والوديان
على بعد خمسين قدما تعالت هتافات المسلمين جميعا
للمحافظة على زحفه قائلين : لدينا قائد عظيم
الفرنجة الذين يحاولون ان يجاروه قوة بقوة
سيزحف او لن يزحف ضدهم جميعا
شارلمان احمق ، عليه الانسحاب
٢٢٩ - كانن منظر الامير ذاك اليوم جميلا
لحيته بيضاء مثل اية وربة متفتحة

- ٤٢٢٩ -

هو في الرأي مستقيم وحكيم
وفي المعركة ثابت لا يعرف الذكول
وابنه مالبرامز فارس جدير بالثناء
قوي البنية وطويل ومعتد من شعبه
واخبرابه قائلًا : مولايي ، دعنا نسرع في سبيلنا
اذا مارأيت شارلمان سأثير اعجابك
وقال باليغانت : سنفعل ، لانه شجاع
في كثير من تواريخ الاعمال ملا صفحة مشرفة
لكن ابن اخته رولاند ، فقد وقتل
لن تكون لديه القوة ليصمد امام هجومنا
٢٣٠ - قال باليغانت ، انتبه يامالبرامز ، ولدي الحكيم
(٣١٨٤ - ٣٢١١)

بالامس واجه الامير الكبير رولاند حذفه
مع اولفر صديقه الذبيل الشجاع
والاثراب الاثني عشر الذين اثرهم شارلمان بمحبته
وعشرين الفا من المقاتلين الفرنسيين المنتخبين
انا اؤمن البقية مذلما اؤمن قفاز قديم
الامبراطور قادم للقائنا ومعه رجاله
فهذا ما اخبرنا به ربيثتنا السوري
مع قوة عظيمة ، شكلها في عشرة ارتال
وشجاع ذلك الذي يذفخ بالبوق امامهم
وبعث اليه رفيقه كليريون بجواب
هذان اللذان في الطليعة ، يقودان هذه الصفوف
وتوجب على خمسين الف من الفرنجة ان يكونوا مع
الذين يدعوههم شارلمان « ابنائه » وهم فرسان شباب اصحاء
ووراء هؤلاء مايساويهم عددا مرتين
سيقاتلون بشجاعة وبشكل جيد
وقال مالبرامز : اعطني الشرف اننذ
٢٣١ - اجاب باليغانت بطلاقة : ولدي مالبرامز
يسرور انا امنحك الذي سألتني اياه

- ٤٢٣٠ -

ستكون اول من سيقا تل الفر نسيين على ارض المعركة
وس يكون الملك الفارسي تورلو معك
ودا بمورت الملك اللوشي
اذا ما استطعت هزيمة هؤلاء الادعاء
سيكون جزاؤك منحك قطعة من ارضي
ممتنة من شيريانت حتى وادي مارشيز
واجاب مالبرامز : مولاي ، اقدم لك شكري
ثم تقدم نصوه وتسلم منه المنحة
الارض التي كانت وقتها ملكا للملك فلوري
والان ملكا له ، لن يرى ذلك الارض ثانية (٣٢١٢ - ٣٢٣٩)
لن يسهم في تلك الاقطاعية ولن يستثمر
٢٣٢ - ومضى الامير العظيم بزحفه وسط الحشود
وبعده ولده ، ذي البنية الجبارة
ثم الملك نابامورت وملك تورلو
ومالبثت قواتهم ان تشكلت في ثلاثين رتلا
وقام فرسانهم بعرض رائع
كانوا على الاقل خمسين الفا من الذفوس
وتكون الرتل الاول من رجال من بوتندروت
وبعدهم مايكونايس برؤوس ضخمة وشعور طويلة
متدلية على ظهورهم حتى عظام الحوض
تشبه الشعور الخشنة للتيسة
وكان قوام الرتل الثالث رجال من الذوبة وبولوس
والرابع من برونني وساحل سلافونيا
وتكون الخامس من الصرب والصدالية
والسادس من المغاربة والارمن
وتشكل السابع من رجال من اريحا
والثامن من السودان والتاسع من شعب غروسان
والعاشر من رجال افوياء من باليدا
الذين هم عرق شرير مخادع
واقسم الامير الان قسما عظيم ما

- ٤٢٣١ -

بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ومعجزاته واثاره :
الملك شارلمان صاحب فرنسا مقبل على اقتراف خطأ عظيم)
ستكون هناك معركة مالم يهرب مسرعا
لن يحمل رأسه بعد اليوم تاجه الذهبي
٢٢٣ - وبعد هذا ظهرت عشرة ارتال اخرى
في الاول رجال اشداء من كنعان
(خارج وادي الفواكه مر طريقهم عبر البلاد)
الثاني من الترك والثالث من الفرس (٣٢٤٠ - ٣٢٦٧)
والرابع من البشناق وعصابات البيرسك
والخامس من الافار ومعهم السوتيران
والسادس من الاوغل ومن الاورماليان
والرقل السابع كله من البلغار
والثامن من البروسان والتاسع من الكلافان
والعاشر من اقيانوسيا الجرداء
ابناء الصحارى ، العشيرة المتوحشة الكافرة
انت لن تسمع مطلقا بمثل هؤلاء القساة
جلودهم على الاطراف والرأس اقصى من الفولاذ
وهكذا ازدروا دروع الفولاذ ولم يستخدموا الخوذ
وكانوا في المعركة على درجة عالية من الحدة والاندفاع
٢٣٤ - ومالبت ان امثلك الامير عشرة ارتال
في الاول عمالقة من مالبرايس
الثاني من الهون والثالث من الهنغار الاقوياء
في الرابع رجال من بالنيسا الطويلة
في الخامس مقاتلين من وادي دولوروس
وتكون السادس من جماعات من ماروس
والسابع من ليش ورجال من استريمون
والثامن والتاسع من ارغولي وكلاربون
وشكل العاشر من طوال اللحى من فروند
هذه شعوب لاتحب الرب
هكذا ذكر تاريخ الاعمال الفرنجي ثلاثين رتلا

- ٤٢٣٢ -

الحشود عظيمة وصوت البوق مرتفع
وتابعت صفوف المسلمين الزحف وهي تواقه للقتال
٢٣٥ - الامير العظيم جبار ومشهور
وحمل علمه المحلى بصورة التنين امام قواته
وراية تيرماغنتت ومهوند
وتمثال ابو لو القوي الشرير (٣٢٦٨ - ٣٢٩٥)
وقد تولى حراستهم عشرة من الكنعانيين
وطوال زحفهم اعلزوا بصوت مرتفع
من اراد نيل الحماية من اربابنا هؤلاء
عليه ان يسجد لهم ويتوجه بالدعاء الخالص
واطرق المسلمون رؤوسهم وحدقوا بالارض
والقوا بخونهم البراقة على الارض
وصرخ الفرنسيون : انتم ستموتون اليوم ايها الكلاب
ليحل الدمار بكم ولتحبط جميع اعمالكم
ابق يامولانا ، ايها الرب ، شارلمان سليما صحيحا
باسمه العظيم سنقاتل هذه المعركة
٢٣٦ - كان الامير رجلا عاقلا وحكيما
استدعى ابنه مع اثنين من الماوك وانفرد بهم قائلا :
ايها البارونات ، سادتي ، انطلقوا الى الامام زاحفين
اسندت اليكم قيادة ارتالي وارشادها
ماعدًا ثلاثة احتياط احتفظت بهم من رجال مجريين
الاول من الترك والثاني من فرسان الاورمالين
وبالنسبة للثالث من العمالة المالبريسيين
وانا نفسي سأقود قبيلة الاقيانوس
وسنتحارب مع شارلمان ومع الفرنسيين
اذا مارغب شارلمان ان يقارن قواه بقواي
سيجد رأسه قد قطع من جسده
هذا كله سحصل عليه مني وسيجده
٢٣٧ - الحشود عظيمة والشجاعة بدت على ارتالهم
لم يكن بين الفريقين لارابية ولا وادي

- ٤٢٣٣ -

في منبسط من الارض وقفوا وجها لوجه
وقال باليغانت : يامسلمي ، انهضوا وانطلقوا .
ازحفوا الى الامام لتتشبوا المعركة (٣٢٩٦ - ٣٣٢٦)
ورفع امبور اوف اوليفيرن الراية
وعلى بريشيوس دعا المسلمون بالاسم
وضرخ الفرنديون جميعا : ستعاذون من خسائر عظيمة هذا
اليوم
وربدوا بصوت مرتفع : « جبل المسرة ، جبل المسرة » ثانية
طلب الامبراطور شارلمان ان تصدح جميع ابواقه
وزعقت الابواق اعلى من اي يوم مضى
وضرخ المسلمون : لدى شارلمان صفوف جيدة
المعركة التي سذواجهها ستكون شديدة وعظيمة
٢٣٨ - السهل واسع ومترامي الاطراف
الخوذ تشع وتلمع بالجواهر وبما حليت به من ذهب
والترسة البراقة والسوابع المطلية بالزعفران
الرماح المتلألئة التي تخفق من عليها الرايات
وزعقت الابواق باصوات عالية ونافذة
وكانت الاصوات التي صدرت عن الذفير واضحة ومؤثرة
وامر الامير كانابيوس بالاقتراب
كان هذا أخوه ، عرشه موشى وجميل
مد سلطانه الى وادي سيفري وامتك
امره ان يعرف مكان رتل شارلمان وبقصده
انظر ، هناك يقف فخر فرنسا وشهرتها
وبينهم هناك يزحف الامبراطور بجراة
في الصفوف الاخيرة وسط هؤلاء الشيوخ ذوي الحى الطويلة
الذين تركوا لحاهم ترفرف فوق دروعهم
لحاهم التي هي بيضاء مثل الثلج المتساقط
بالحراب والرماح سيوجه هؤلاء الرجال ضربات طيبة
سذشذبك في قتال سيكون صعبا وقريبا
قتال لم يعرف مثله ابدا بعد

- ٤٢٣٤ -

وسيرمي الرجال بحرابهم بقدر ما اوتوا من قوة
ومضى الملك باليغانت امام شعبه
وخاطبه بكلمة واحدة قائلا :
ايها المسلمون اقبلوا ، انا منطلق نحو قتال الاعداء
وهز قناة رمحه الجيد واعدته (٣٣٢٧ - ٣٣٥١)
وضد شارلمان وجه سنانه ليطعنه
٢٣٩ - عندما رأى الملك شارلمان الامير
مع راية التنين وسلاح كامل
رأى القوات العربية الهائلة بعدما بان
تملا الارض على قدر مد البصر
باستثناء المكان الذي وقفت فيه حشود شارلمان
ثم صرخ الملك الفرنسي بصوت صعب :
يا بارونات فرنسا ، انتم جميعا خيرة الاتباع
المعارك التي خضتم غمارها كثيرة
تطلعوا الى هؤلاء المسلمين جماعة من الجبناء والادنياء
اربابهم لاتعين ولا تساوي فلسا واحدا
سادتي ، من يهتم ، مهما كانت اعدادهم كبيرة
ليذهب الى البيت من لا يود الزحف معي
ثم نخس بمهمازيه مهره بلطف
ومن ثم قفز من تحته تزنسندور اربع قفزات
وقال الفرنسيون جميعا ها هو الملك الحقيقي
نحن معك الى اخر رجل ، تقدم ايها المولى الجيد
٢٤٠ - اليوم منير ، والشمس مشرقة في السماء
الجيش عظيمة وفرق القتال كثيرة
ووجهها لوجه وقفت الطلائع امام بعضها بعضا
واستعد الكونت غونيمانز والكونت رابل
ارخو اعنة خيولهم الطيبة السريعة
وانقضوا ، وهجم الفرنسيون جميعا
ومضوا ليطعدوا برماحهم الحادة والثقيلة
٢٤١ - الكونت رابل فارس شديد المراس (٣٣٥٢ - ٣٣٧٧)

- ٤٢٣٥ -

بتجانيفه المذهب شق طريقه بخفة
وزحف ضد تورلو الملك الفارسي
لا القرس ولا الدرع امكن لهما ان يصمدا لضربات
وانفذ الرمح المذهب من خلال جسده تماما
والقاء على ايكة صغيرة ميتا
وقال الفرنسيون : الرب الآن الى جانبنا
لن نتخلي عن شارلمان ، شارلمان على حق
٢٤٢ - انقض غونيمانز برمحه على ملك ليشيا
حطم القرس المزين بالورود من طرف الى طرف
ودمر السابفة وقطع عراها
وانفذ الرمح وما تعلق به خلال صدره
وضربه فاماته ، وليبكي من يبكي وليضحك من يضحك
وتعالت اصوات الفرنسيين لدى رؤيتهم لهذه الضربة البارعة :
وقالوا : ايها البارونات ، اخربوا ولا تقصروا
ضد هؤلاء الاشرار ، فلشارلمان الحق في قتالهم
الرب بحكمه العدل اودعهم هكذا بين ايدينا
٢٤٣ - جلس مالبرامز على حصان ابيض
بين الفرنجة يقاتلهم يدا بيد
يخرب بهذا الاتجاه ثم ينعطف فيسدد اشد الطعنات
رمى جثة فوق جثة وجعلهم اكوام
ثم صرخ امامهم باليغانت قائلا :
سائتي ، لسنوات طويلة حفظتكم واطعمتكم
وانظروا كيف يبحث ابني عن شارلمان
وكم من اللوردات قتل بسيفه
تابع احسن منه انا لا ارغب ان اجد
بـرماحكم النافـة امضوا وسـاعدوه في
القتال ٣٣٧٨ - ٣٤٠٤

وتدفوه بهذه الكلمة على راس الحشود المسلحة
العراع حاد ، والضربات المتبادلة شديدة

- ٤٢٣٦ -

وازداد الان القتال شدة وتعاضم العناء
بشكل لم يكن من قبل ، ولم يكن في اي وقت من الاوقات
٢٤٤ - الحشود عظيمة ، وفرقهم على درجة عالية من الشجاعة
الارتال جميعها الان على الطرفين مشتبكة .
قاتل المسلمون بشجاعة رائعة وحذق
يا الهي كم هي اقنية الرماح التي انقصت الى قسمين
كم ترس تحطم وكم سابغة انشطرت الى اقسام
الارض تغطت بهم في كل مكان
العشب الاخضر الذي كنت تراه في السهل
كله تلمخ بالدم الأحمر وتلون
وصرخ الان الامير بال بيته بصوت مرتفع :
ايها الساسة اضربوا بشدة ضد العرق المسيحي
المعركة شديدة وتزداد قسوة
لم يكن مثلها من قبل معركة عظيمة
لن تكون هناك هدنة حتى ينهي الظلام النهار
٢٤٥ - وحرض الامير الان عساكره قائلا :
اضربوا ، ايها المسلمون اضربوا ، فهذا ما جئتم للقيام به هنا
ساعطيكم نساء ، نبيلات وشقراوات
واشرفكم وامنحكم اقطاعات من الارض
واجابه المسلمون : خدماتنا واجب علينا نحوك
ضرباتهم كانت شديدة ، الرماح تقصفت الى قسمين
مائة الف سيف ابرقت امام الابصار
المعركة قاسية ، مخيفة ، ومرعبة
ولقد تعلم معنى الحرب كل من قاتل فيها
٢٤٦ - وحرض الامبراطور الان جميع الفرنسيين :
ايها البارونات ، سادتي ، انا احبكم واثق بكم ايضا
كثيرة هي المعارك التي قاتلتم بها دفاعا عني
لقد اخضعتكم كذا من الملوك وقهرتم كذا من الممالك
اعرف تماما انني ملين لكم
بكل ما املك ، وبجسدي وبالاراضي والثروات

- ٤٢٣٧ -

انتقموا الان لاولادكم وورثتكم ولاخوانكم
النين قاتلوا مؤخرا في رونسيو وسقطوا
انتم تعلمون ، انني محق بقتالي للكفرة
واجابه الفرنسيون : سيدي ما قلته هو الصدق
وتجمهر حوله عشرون الف رجل
النين تعهدوا بصوت واحد بايمانهم وبشرفهم
انهم لن يتخلوا عنه مهما عانوا او لاقوا الموت
بالرمح والحربة ، لم يكن بينهم من لم يبذل غاية جهده
ثم امتشقوا السيوف فظهروا قوة اعظم
المعركة حادة ورائعة ومخيفة
٢٤٧ - وخرق مالبرامز الصفوف على ظهر حصانه
واحدث بين الفرنسيين مذبحه مريعه
وراه الدوق نايمون ، وكانت نظراته حادة ومتعالية
وبمنتهى الجراة شق طريقه نحوه ووافقه
وضرب الترس فشطره من نصفه
وخرق السابغة القرطبية المضاعفة
وانفذ من الصدر البيرق المربوط الى قناة الرمح
واطاح بـ ميتا وسط سبعمائة من الجثث
٢٤٨ - الملك كانابوس اخو الامير الكبير (٣٤٢٩ - ٣٤٥٤)
نخس بمهمازيه مهره وانطلق مسرعا
وامتشق سيفه الذي حده مثل الزجاج الصافي
وسدد ضربة نحو نايمون فجاءت على عرف خوذته
لذا تفتت نصفها من جراء الضربة وتقطعت عراها
وسرت الضربة خلال خمس طبقات من البطانة وقطعتها
ولم يصمد الدرع وتقطعت عراه
وتهاوى غطاء الدرع حتى الجلد بعدما تقطع
ولاقسوته سقطت قطعة كبيرة منه على الارض
وانهلت الضربة المرعبة الدوق واخافته
ولولا عناية الرب وعونه لانت عليه تماما
لكنه امسك برقعة فرسه وتعلق بها

- ٤٢٣٨ -

ولو اوتي المسلم الفرصة لتجديد الضربة
لكان البارون بين الاموات ولما استطاع النجاة
انتبهوا ، سارع شارلمان صاحب فرنسا لانقاذ المقاتل
٢٤٩ - كاد الدوق نايمون ان يموت من خوفه
وبسرعة رفع المسلم سيفه ليجهز عليه
وصاح شارلمان : ايها الشرير ، الاحسن الا تتورط
وبكل ما اوتيه من شجاعة انقض عليه
وسدد ضربة نحو القلب فخرق الترس وحطمه
ودمر السابغة شروعا من واقية الوجه
والقاء ميتا ، وترك السرج فارغا
٢٥٠ - واحزن الملك شارلمان كثيرا واقلقه
رؤية نايمون يصاب بالجراح امامه
وان يرى الدم يجري على العشب الاخضر
وخاطبه الامبراطور وقال له مباشرة :
نايمون ايها السيد الحكيم ، ابيــــــــــــــــق الى
جانبي ٣٤٥٥ - ٣٤٨٠

السخ الذي اذاك لبعض الوقت بين الاموات
امررت رمحي به واطحت به الان
الدوق قائلا : انا مدان لك ، سيدي
انا ان ادسى ذلك ما دمت حيا
ثم ركبا جنبا الى جنب في حب وثقة
مع عشرين الفا من الفرنسيين الطيبين حقا والمجزيين
من لم يتوقف اي منهم عن الضرب والطعن
٢٥١ - ومضى الامير الان يتجول في ارض المعركة
وساق ضد الكونت غوينماز بكل سرعة
وسدد ضربة ضد قلبه فحطم درعه الفضي
ودمر سابغته وقطع حلقاتها الفولاذية
ومن طرف الى طرف شطره الى قسمين
والقاء ميتا ، من على ظهر مهره السريع

- ٢٣٩ -

رتشارد العجوز ، لورد نور ماندي
ولورانت وغيبوين ، لهؤلاء الثلاثة قتل
وصاح المسلمون : الشجاعة ثمينة حقا
اضربوا ، ايها الساسة اضربوا ، نحن على ثقة من الدفاع
٢٥٢ - كم هي عظيمة شجاعة الفرسان العرب في القتال
واصطف رجال الاوقيانوس ، وارغويل وباسكل
يطعنون ويضربون واعطوا رماحهم منتهى الحرية
ولم يحلم الفرنديون ابدا بالتخاذل
واستمر القتال شديدا حتى حاول الظلام
وعانى لوردات الفرنجة من خسائر كبيرة
مع مزيد من المآسي قبل ان تربح المعركة
٢٥٣ - كل من الفرنديين والعرب يقاتلون بشكل جيد
(٣٤٨١ - ٣٥٠٧)

كم من الرماح انقصف وكم من الحراب انشطر !
من رآها رأى كم من الترسه قد تحطم الى قطع
وسمع الدروع البراقة تطحن وتمزق عراها
وسمع قرع الرماح على الخوذ
ورأى اولئك الفرسان وقد قذفوا خارج سروجهم
وعاشت الارض كلها مع الموت وبصراخ الموت امتلات
ولعل صور المعاناة ستظل في الذاكرة طويلا
هذه معركة من الصعب تحملها ، وقاسية
استغاث الامير الان باربابه -
مهوند ، وابولو وتيرماغانت قائلا :
ايها الارباب ، يا اربابي ، لقد خدمتكم من قبل بشكل جيد
والان ساصنع تماثيلكم من الذهب الصافي
اذا ما منحتموني النعمة وجعلتموني اربح ضد شارلمان
وفجأة ظهر صديقه المقرب غيما لفين
وكانت الاخبار التي حملها حقا شريرة وقال :
سيدي باليغانت بالنسبة لك بدا النهار يعقل

- ٤٢٤٠ -

ابذك قضى ، لقد خسرت مالبرامز
واخوك كانابوس قتل ايضا
ولقد تولى فعل ذلك اثنان من الفرنسيين
الامبراطور نفسه ، واحد منهما كما اظن
هو قوي البنية ومظهره كما يبدو مظهر ملك
لحيته بيضاء مثل اي وردة من ورود الربيع
ثم غرق حاجبا الامير تحت بيضته
واسود وجهه وعلاه الشدوب
وبدا الامر وكأنه سيموت من حزنه فورا
واستدعى جنغلو الذي هو من وراء البحار إليه •
٢٥٤ - قال الامير : أقبل الى يا جنغلو ، وكن صريحا
أنت شجاع ، ورجل حكيم جدا
واعتمادا على آرائه اعتدت منذ زمن طويل أن أعمل
كيف أتركك ، العرب والفرنجة ؟
هل سننال النصر في ايدينا هذا اليوم ؟
وأجابة : أنت ميت يا باليغانت
ولن يستطيع أربابك كلها اذقاذك من سوء المصير
شارلمان مصمم وجذوده شجاعان
أنا لم أر بعد رجالا مثلهم يقاتلون بجنان
لكن ادع لعونك سادة الاوقيانوس
وأتراك ، والعمالقة ، والعرب والافارقة
وليحدث ما سيحدث ، لا تتأخر ، بل قاتل
٢٥٥ - ترك الامير العظيم لحيته تتطاير أمامه
إنها بيضاء مثل اي وردة على شوكه
هو لن يبقى مختبئا بل عليه أن يهاجم
ووضع على فمه نفيرا أمسكه
ونفخ به بصوت مرتفع ، فسمع المسلمون النداء
فأقبلوا من كل جانب للهجوم
رجال الاوقيانوس يزمجرون ، وينبذون ويصرخون
وكان رجال أرغويل جميعا مثل الكلاب ينبذون

وانقضوا على الفرنجة بكل شدة وغضب
مزقوا الصفوف وبعثروها
ونتيجة لهذه الضربة مات سبعة آلاف مقاتل
٢٥٦ - لم يكن الكونت أوغيير قط ضعيفا بالحركة
ما من تابع امتلك الصبر مثله في القتال
عندما رأى صفوف الفرنسيين قد تمزقت
دعا ثيري ، دوق أرغون
والكونت جوزارين وغودفري أوف آنجو
والى شارلمان نفسه كلمة هكذا ناقدًا :
انظر كيف أثار المسلمون الفوضى بين قواتك
لينزع الرب التاج من على رأسك
إذا لم تنتقم لهذا العار حق الانتقام
ومامن واحد رد بكلمة واحدة على هذا اللوم
نخسوا خيولهم ، وأرخو أعنتها
وزحفوا ليضربوهم أينما أمكنهم ذلك
٢٥٧ - قاتل الملك شارلمان بشجاعة هذا اليوم
وشجاعا كان الدوق نايمون وشجاعا كان أوغيير الداني
وكان شجاعا غودفري الذي حمل الراية
أشجعهم جميعا كان دان أوغيير الداني
نخس حصانه وتركه يعدو بسرعة
وانقض على حامل راية التنين بقوة وغضب
ونكسه محطما ، وسقط أمبور بكل وزنه
وسقط التنين والراية جميعا على الأرض
ورأى باليغانت رايته مرميه
رأى راية مهوند توقفت فجأة
عندها بدأ الأمير يشعر بالخوف
الخطأ معه ، والصواب مع شارلمان
وترنح العرب المسلمون وسط المعركة
وصوت الامبراطور شارلمان يصرخ عاليا : النجدة ، النجدة
أن تساعدوني أيها الساسة ، باسم الرب

- ٤٢٤٢ -

ورد الفرنجة : لماذا تسأل ؟ أنت أسأت إلينا
اللعنة على الذي لا يضرب بشدة
٢٥٨ - النهار شارف على الانتهاء والشفق بدأ يقترب
(٣٥٦٠ - ٣٥٨٨)

مسلم وفرنجي يتجالدان الآن بالسيوف
أظهرا شجاعة وقوة
ولم يذس أحد منهما النداء يشعار حربه
من جانب الأمير تردد صوت « بريشيوس »
ومن جانب شارلمان « جيل المسرة » شعار قتاله تردد
لقد تعرفا على بعضهما بعضا بوساطة هذه الاصوات العالية
والواضحة

وكل منهما في ساحة الوغى نشد عدوه فوجده
تقابلا ، هجما ، وتبادلا ضربات شديدة
على حلقات الدروع قرعت أسنة الرماح بقوة
وخرقت الترسه وحطمتها
وحولت السوابغ والدروع الى قطع متطايرة
لكن جسيهما لم يلمسا وظلا بسلام
قطعت الأحزمة ، ومال السرجان
فوقعا على الأرض ، وبات الملكان جالسان
لكن ما لبث كل منهما أن هب واقفا على قدميه
شجاعتهم عظيمة ، وعلى الفور كان سيفاهما مشهوران
ما من شيء يمكنه أن يوقف هذه المبارزة الآن
لن تتوقف حتى يسقط أحدهما على الأرض ميتا
٢٥٩ - شارلمان ملك فرنسا الجميلة رجل عظيم وقوي
ولم يعرف الأمير الخوف ولم يفكر بالفرار
وأشهرها الآن سيفيهما المجريين عاليا
وتبادلا على المجنين ضربات قاسية من كلا الجانبين
فقطعا الخشب والجلد المكون من طبقتين
وتقطعت عرى السابغة ووقعت السابغة

- ٤٢٤٣ -

وبلا دروع تقاتلا الآن صدرا لصدر
وتطاير الشرر من جراء الضربات على الخوذتين
ما من شيء يمكنه أن ينهي صراعهما
حتى يعترف أحدهما أنه مخطيء والآخر على صواب
٢٦٠ - قال الأمير فـكريا شارلمان وأنظر في
(٣٥٨٩ - ٣٦١٤)

أن تعتذر إلي من كل ما اقترفه بحقي
لقد ذبح ابني وأعرف أن ذلك تم من قبلك
واقترفت الآثام على أراضي التي أخذتها
كن واحدا من رجالي وسأكون مولاك
ثم تعال واعمل في خدمتي من هنا الى الشرق
وقال شارلمان : لا أنا اعد ذلك خيانة
لن أظهر لمسلم أنني حب أو سلام
أمن أنت بما أوحاه الرب
اعتنق المسيحية وعندها سأكون صديقك الاول
الملك القدير وقتها سيرعاك وايمانك
وقال باليغانث : طقوسك ما هي الا دعوة مريضة
ومجددا حارب أحدهما الآخر بالسيف
٢٦١ - الأمير العظيم مليء بالقوة والبراعة
سدد على بيضة شارلمان ضربة هائلة
حتى أن الفولان على الرأس انحنى وتحطم
ومضى حد الحسام الى الشعر ثم جلدة الرأس
وقطع الجلد مقدار عرض كف كامل
حتى أن العظم ظهر عاريا تحت الجلد
وترنح الملك شارلمان وفي تلك اللحظة هبط الليل
وارادة الرب كانت ضد أن يهزم أو يقتل
وجاء القديس جبرائيل هابطا مسرعا نحوه
وقال : وماذا ، أأست هاهنا ، أيها الملك العظيم ؟
٢٦٢ - عندما سمع ما قاله الملك المبارك

- ٤٢٤٤ -

لم يعد يخشى الموت ، وتحرر من خوفه
وعادت قواه ، وعاد الى نفسه ثانية
وانطلق نحو الامير شاهرا سيفه الفرنسي (٣٦١٥ - ٣٦٣٣)
وشطر البيضة ذات الجواهر اللامعة
وحطم الرأس ودفع الدماغ الى الخارج
ومضى السيف قاطعا حتى لحيته من خلال الوجه
وكانت ضربة مميتة اتبعها فإطاح به أرضا مقتولا
وعلى الفور ومباشرة نادى بشعار حربه « جبل المسرة »
وهنا جاء الدوق نايمون ، يقود من عنانه
تدسندور الجيد ، حيث امتطاه شارلمان
هرب المسلمون ، الرب لن يستطيع ايقافهم
الجميع عمل ، الجميع ربح ، لقد ربح الفرنسيون اليوم
٢٦٣ - المسلمون فروا ، لأن الرب أراد ذلك
وطاردهم الفرنجة بشدة ومعهم الامبراطور
وعندها قال الملك : سادتي خذوا ثاراتكم
ابذلوا قصارى جهدكم ، ارفعوا معذوباتكم وشجاعتكم
لأنني هذا الصباح بالذات ، شاهدت عيونكم تبكي
وقال الفرنجة ، مولاي ، بالفعل هذا ما كان
وسددوا بكل ما أتوه من قوه ضربات هائلة
قلة ممن كانوا هناك سينجحون
٢٦٤ - اشتدت حرارة القتال ، وتصاعد الغبار الى ما يشبه
السحاب

وهرب المسلمون ، وساق الفرنسيون خلفهم بشكل حديث
واستمرت المطاردة حتى مدينة سرقسطة
وصعدت الملكة براميموند الى أعلى برجها
ووقفت الى جانبها كاتبها وقاضي
ذلك الايمان المزيف الذي لم يسمح به الرب
ورجال دين للكنيسة غير منتمين ولانصاف رؤوسهم غير حاليين
ورأت العرب مهزومين مطاربين

- ٤٢٤٥ -

وزعقت بصوت متحشرج مرتفع :العون يا مهوند
أه أيها الملك النبيل ، رجالنا هزموا
الأمير الكبير قد قتل ، يالها من ساعة عار
وما أن سمع مارسيلون هذا حتى استدار (٣٦٣٤ - ٣٦٧٠)
بوجهه نحو الجدار ، وبكى ، ثم أطبق جفنيه
ومات حزنا ، ضربه الرعب فأتى عليه
وتخلى عن روحه الى قوات الجحيم
٢٦٥ - المسلمون جميعا قتلى أو يفرون رعبا
وانتهت حرب شارلمان بشكل رائع
دمر باب سرقسطة حتى الأرض
وبات متيقنا أنها لن يمكنها الدفاع
استولى على المدينة ودخلها مع جيوشه
وناموا تلك الليلة هناك منتصرين متملكين
ومضى متفاخرا ، الامبراطور صاحب اللحية الفضية
وسلمت الملكة براميموند جميع أبراجها
أبراجها العشرة الطوال ، والخمسين الأقل طولا
التوفيق حالف ذلك الرجل ، الذي الرب أعانه
٢٦٦ - وانتهى النهار ، واقترب الظلام مبشرا بالليل
القمر مشرق ، والنجوم تلمع مضيئة
غدت سرقسطة كلها في قبضة الامبراطور
يضعه آلاف من الفرنسيين يفتشون المدينة وبعضهم يتجسس
وأخذوا يدمرون الكدس والمساجد ومعابد الكفار
بالمطارق الثقيلة والمطارق المعدنية
ودمروها كليا وأزالوا بقاياها
لأن شارلمان يخشى الرب وسيظل يناضل في خدمته
ثم طهر الاساقفة الماء
والى جرن المعمودية ساقوا جموع المسلمين
وأى انسان سيرفض ما أمر به شارلمان
سيشنق سيذبح ، أو سيحرق بالنار
وهكذا جرى تعمييد مائة ألف أو أكثر (٣٦٧١ - ٣٧٠١)

- ٤٢٤٦ -

وتمسحوا ، وفقط الملكة توجب معاملتها بشكل مختلف
كانت ستذهب أسيرة الى فرنسا رويدا رويدا
وسيتولى الملك تحويلها ، حبا بالرب
٢٦٧ - ومضت الليلة ، وأشرق صباح النهار منيرا
وعلى الفور شحن شارلمان الأبراج بالرجال
فقد عين ألفا من أجود الفرسان
ليحفظوا المدينة سالمة لصالحه
ثم امتطى الملك والجيش خيولهم ثانية
مع براميموند أسيرة تسير في ركابهم
ولم يستهدف شارلمان سوى سلامتها وأبقائها حية
بسرور وشموخ بالنصر ركبوا الطريق نحو الوطن
واقترحوا نربونة ، ثم غادروها عابرين
ووصلوا بورديو ، المدينة ذات الشهرة العالية
هناك على مذبح القديس سفرين
تركوا البوق مملوءا بالذهب الصافي
(حتى يراه الحجاج عندما يزورون المكان)
وعبروا غيروندي ، حيث وجدوا الكثير من السفن الجيدة بالانتظار
وهكذا أحضر الملك ابن اخته وأرسله الى بلاني
مع مرافقه ، الكونت أولفر العظيم
ورئيس الاساقفة الذي كان حكيما وشجاعا
ومدهم جميعا ، أعنى هؤلاء النبلاء ، في قبور بيضاء
هناك تممدوا ومازالوا ، اللوردات الجيدين ، في القديس رومين
وأودعهم الفرنسيون للرب ، لقوته ولاسمه
وتابع شارلمان سفره صاعدا الجبال وهابطا الأودية
ولم يتوقف حتى وصل الى أكس
وأخيرا ترجل أمام بوابات القصر
وبعدما جلس في قاعة العرش العالية
أمر باستدعاء القضاة ، وأرسل رسائل مستعجلة الى :
السكسون والبافاريتين والفريزيين واللوريين
واستدعى ايضا البيرغنديين ورجال ألمانيا

ونورماندي وبواتو وبريتين (٣٧٠٢ - ٣٧٢٩)
ورجال فرنسا ، وهم اعلام علماء وحكمة
لابد من اعداد غائلون للاستجواب
٢٦٨ - وانطلق الامبراطور شارلمان من اسبانيا يؤم بلاده
ووصل الى اكس ، افضل قلعة فرنسية
وصعد سلم قصره وبخل الى القاعة
وجاء لمقابلته هناك اودي ، الفتاة الجميلة
وسالت الملك : أين القائد المرعب
وقالت : أين رولاند الذي وعدني بالزواج
وعندها امتلا قلب شارلمان بالأحزان
وفاضت الدموع من عينيه ، واهتزت لحيته البيضاء كالثلج وهو
يقول :

أختي ، أيها السيدة الحلوة ، سألتيني عن ميت
مع هذا سأعطيك بدلا عنه رجلا أكثر نبلا
أعني لويس ، ماذا يمكنني أن أفعل خيرا من ذلك ؟
هو ابني ، وهو الوريث لجميع ممالك
قالت اودي : بالنسبة لي هذه الكلمات بلا معنى
الرب وقديسيه وملائكته يحرمون الآن
أن أعيش بعدما أفنى رولاند حياته
وسقطت عند قدمي شارلمان ، بعدما اختفى لونها
وماتت مباشرة ، وأعطى الرب الراحة لروحها
وبكاها السادة الفرنسيون بألم وندبوا
٢٦٩ - ووضعت ألد الجميلة حدا لحياتها
ظن الملك أنها فقدت وعيها فقط
أسف لها ، وتساقطت دموعه من عينيه
أمسكها من يدها وأراد انهاضها
لكن رأسها مال على كتفيها
وعندما رأى شارلمان أنها ماتت حقيقة
استدعى أربع كونتيسات للوقوف بجانبها

وحملت الى دير للراهبات لتدفن (٣٧٣٠ - ٣٧٥٤)
ومكثوا الى جانبها طوال الليل وحتى بلوج النهار
ثم دفنت الى جانب مذبح بطقوس حزينة
واهتم بها شارلمان وشرفها بقدر ما أمكنه
٢٧٠ - عاد الامبراطور شارلمان الآن الى اكس
غانلون الزائف الآن بالأغلال
وقف وسط المدينة أمام القصر
وربطه الغلام الى عامود
بأحزمة من جلد الغزال ربطوا يديه
بعضى صغيرة وكبيرة وجهوا اليه العديد من الضربات
لم يستحق جزاء غير هذا
وانتظر المحاكمة بألم ، وبشعور بالعذاب
٢٧١ - في تواريخ الأعمال القيمة كتب هذا كله ليقرأ
كيف جمع شارلمان أتباعه من جميع اقطاعاته
 واجتمعوا الآن في مدينة اكس لاشابل
كان يوما رفيعا ، وعيدا عظيم التقديس
عيد القديس ، وعيدا عظيم التقديس
عيد القديس سلفستر كما يراه كثير من الناس
الآن نبدأ المحاكمة والاستئناف
لغانلون الذي قام بأعمال خيانية
وأمرهم الامبراطور أن يجروه الى أمام عرشه
٢٧٢ - ثم قال الملك شارلمان : أيها البارونات ، سادتي
احكموا اليوم بيني وبين غانلون
لقد ذهب معي ومع حشدي الى اسبانيا
وسبب مقتل عشرين ألفا من فرنسيي
وابن أختي الذي لن تروه ثانية
وأولفر ذلك اللورد الايب الشجاع (٢٧٥٥ - ٢٧٨٢)
وجميع الأتراك الاثني عشر ، في سبيل المال خانهم
قال غانلون : أنا أنكر ، ولا أعترف بهذا الشيء
أخطأ رولاند بحقي بالمال والاملاك

لذا تأمرت على موته وشقائه
لكنني أنكر التآمر ضد الدولة
ورد الفرنجة : هذا يستدعي كثيرا من النقاش
٢٧٣ - انتصب أمام الملك الكونت غانلون
بجسم رشيق ، ولون نقي
وبدا سيدا جيدا ، أو لم يكن هذا زيفا
ونظر الى الفرزسي وتفحص قضاته جميعا
ومؤيديه وكانوا ثلاثين من شعبه
ثم صرخ عاليا بصوت واضح وقوي
سادتي ، اسمعوني الآن ، من أجل محبة الرب
أيها السادة ، في الحقيقة ذهبت مع الجيش
وبصدق وحب أنا خدمت الامبراطور طويلا
ابن أخته رولاند كرهني وأساء بحقي
وتأمر على موتي بشكل مريع
جعلت سفيرا الى الملك مارسليون
لكنني استخدمت براعتي ، وهكذا خرجت سالما
وتحيت رولاند ، ذلك المقاتل الشهير
وأولفر وجميع مرافقيهما
وسمعت شارلمان وباروناته وفهموني
لقد انتقمتم ، لكنني لم أكن
ورد الفرنجة : علينا أن نتناقش بعد هذا
٢٧٤ - عندما رأى غانلون محاكمته بدأت هكذا
كان حوله ثلاثون من أقربائه
وكان بينهم واحدا أعطوه زمام القيادة
اسمه بينابل وقلعته سورينس (٣٧٨٣ - ٣٨١٠)
وكان متحدثا بارعا ، وسريع الفهم
وفي حمل السلاح كان قويا وبارعا
قال غانلون : انتبه الي حتى لاأهان أو أقتل
أنا أعتمد عليك يا صديقي حتى تخرجني من هذا
قال بينابل : سأخرجك نعم سأفعل

- ٤٢٥٠ -

إذا ماحكم عليك اي فرنسي بالشنق
يجب على شارلمان أن يضعنا بالقائمة وجها لوجه
وبسيفي البتار ، سأنهي حياته
وانحنى غانلون ليقبل قدميه
٢٧٥ - وانسحب السكسون والبافارزيون للتشاور
مع النين من فرنسا وبواتو ونورماندي
وكثير من القويوتون ورجال المانيا
استخدم النين من أوفرين منتهى الكياسة
ولخوفهم من بينابل تكلموا بنعومة
وقالوا : بالنسبة لهذه المحاكمة الافضل أن
نتخلّى عنها ونقدم الى الملك رجاء
لهذه المرة يجب أن يترك غانلون حرا
وبعدها سوف يخدمه بصدق واخلص
رولاند ميت - لن يرى ثانية -
لايمكن لأحد اعادته بالمال أو بالايجار
بينابل قاتل ؟ من كان متعجلا ؟ لست أنا
وواحد واحد فقط رفض الموافقة انه
أخي اللورد غودفري ، الذي اسمه ثيرى
٢٧٦ - وعاد هؤلاء اللوردات الى شارلمان ثانية
وقالوا للملك : بتواضع يرجوك رجال محكمتك
ان تعفو عن الكونت غانلون لما اقترفه من آثام
وسيخدمك من الآن فصاعدا بصدق وحب
نرجسوك دعه حيا ، هـ و أصـيـل مـنـ حـيـث
المولد (٣٨١٠ - ٣٨٣٧)

موته لايمكن أن يعيد أبدا اللورد الشجاع
ولايمكن أيضا اعادة الميت بالمال
ورد الملك : خونه مزيفون أنتم جميعا
٢٧٧ - عندما وجد شارلمان أنهم جميعا خذلوه وتخلوا عنه
اربد وجهه واسود وأثقل جسمه

بالأسي لرؤيته جبناء بهذه الدناءة
وعندها انبعث الفارس ثيري وتحرك
وكان أخا لغودفري دوق انجو ، بالميلاد الصحيح
جسمه رشيق وأطرافه مرنة وحساسة
بشرته داكنة وشعره اسود متجدد
لم يكن طويلا جدا ولا يمكن أن تعده قصيرا
وتوجه الى الامبراطور يتكلم بلياقة قائلا :
سيدي الحكيم ومليكي لاتدع هذه الاحزان تزعجك
أنت تعرف تماما كيف خدمتك باخلاص
هذا الخصام خصامي بحق العرق والطبيعة
ومع أن رولاند اساء بعض الشيء بحق غانلون
ضباطك مقدسون بأشخاصهم
وأن تتخلى عنه كان خيانة وقتل
بالنسبة لك سيدي غانلون كان مزيفا ومخادعا
أنا أحكم عليه بالموت شنقا ، زد على هذا :
الامر (بسحل جسده بخسة على محفة)
بما يتوافق مع مثل هذه الخيانة الممجوجة
واذا مرفض أحد من أقربائه هذا الحكم
عندها ، بالسيف المعلق هنا حول وسطي
في أي لحظة أنا جاهز لمواجهة
وصاح الفرنجة جميعا : صحيح ماقلته بالتأكيد
٢٧٨ - ووقف الآن بينابل أمام الملك
وكان قويا ونشيطا وكبيراً جدا وقاسيا
وعلى طرف أراضيه رمال الحياة تجري
وقال لشارلمان : هل هذا بلاطك ، ياسيدي عجبا ؟
أخبر هؤلاء الناس ليوقفوا الضجة بالحال
أنا أرى هنا ثيري ، الذي جلس ليحكم
أنه يكذب ، أنا سأقاتله ، وسأنتزع حلقومه وأقطع رقبتة
وأعطي الملك قفاز يده اليمنى المصنع من جلد الغزال
قال الملك : قدم لي مايكفي من الرهائن الجيدة

وتعهد الاقرباء الثلاثون بالعهد والايمان
وقال الامبراطور : أنا سأخذ عهد الآخرين
وأمر بحراستهم حتى تأخذ العدالة مجراها
٢٧٩ - عندما رأى ثيري أن مبارزة التحدي ستقوم
ناول شارلمان قفاز يده اليمنى كميثاق
وقبل الامبراطور التعهد وأعطاه بدوره ميثاقه
ثم أمرهم بجلب أربعة قضاة الى المكان
وجلس المتبارزان هناك وانتظرا
كل واحد اعتقد ان هذه المبارزة ستعد
ووضعت الاجراءات من قبل اللورد أوغيير الداني
ونفذ هذا ، وتم اعداد الخيول والسلاح فورا
٢٨٠ - عندما استعدا للمبارزة وتسلحا (٣٨٥٨ - ٣٨٨٢)
قاما بالاعتراف ، وتحللا وصلبا
واستمعا الى القداس وتناولوا القربان من خبز المسيح
وقدما ولاءهما للكنيسة مع مزيد من الاحترام
ثم عادا الى شارلمان جنبا الى جنب
وربطا على عقبيهما المهاميز باحكام
ووضعا درعيهما ، وكانا جيدين مناسبين ولونهما أبيض
وشدا فوق رأسيهما بيضتيهما اللامعتين
وعلقا سيفيهما بمقابضهما الذهبية الرائعة
ووضعا حول عنقيهما واقيتان لامعتان
وأمسكا بيمينيهما رمحيهما الحادي السنان
وبرشاقة امتطيا فرسيهما
بكى الرجال لما رأوهما ، وكانوا مائة ألف فارس بالتمام
الذين حزنوا على رولاند شعروا بالخشية على ثيري
الرب وحده يعرف كيف سينتهي هذا القتال
٢٨١ - على مقربة من سور اكس امتد سهل فسيح
هناك وقف المتبارزان وجها لوجه
كلاهما نبيل صحيح ، وشجاع عالي المقام
وامتطيا فرسين نشيطين ، يعدوان بشكل جيد

نخساهما بشدة ، وأرخيا أعنتهما على عذقيهما
وعدوا بشدة ليطعنا والتقيا
وعلى منتصف الترس طعنا ، فذقت عراه وتحطم
وخرق الدرع وتحطم السر
وترنحا ووقع قربوسا السرجين والمقعدين
وبكاهما ، أولئك المائة ألف رجل

٢٨٢ - وإلى الأرض ســـــــــــــقط كل مــــــــــــــن
المقاتلين (٣٨٨٣ - ٣٩٠٨)

لكن على اقدامهما مالبثا ان وقفا منتصيين
وكان بينا بل قويا وسريعا ونشيطا
فرسا بما ذهبا ، وعدا كل منهما ليواجه خصمه
الآن بالسيفين اللذين مقابضهما ذهبية لامعة
على البيضتين الفولانيتين قرعا وضربا
ضرباتهما كانت ثقيلة ، وكثير من الشظايا تطايرت
وسيطرت الدهشة على الفرذسيين وكانوا على درجة عالية من
الاثارة

وصاح شارلمان : وارباه أوضح أنت أين هو الحق
٢٨٣ – قال بينابل : أطلب منك ياثيري التخلي
وبالحب والايمان سأكون تابعاً لك
وما أردته من الأجر والذهب سأعطيك
فقط أقم سلماً بين شارلمان وغاندلون
ورد ثيري : هذا لايمكن التفكير به من قبلي
أن أكون نبيئاً هذا آخر شيء يمكن أن أفكر به
ليقم الرب العدل هذا اليوم بيني وبينك
٢٨٤ – ثم قال ثيري : بينابل أنت شجاع
نشيط وقوي ، وجسمك كامل التكوين
يعرف أترابك أن شجاعتك لا ريب فيها
إنني أجدوك ، أن تتخلى الآن ، ونختم النهار
وأسرور سأقيم الأسلم بينك وبين شارلمان

- ٤٢٥٤ -

بالنسبة لغائلون هذه العدالة ستندفد
وحتى نهاية الزمان ستظل حكايتها تروى
وأجابه بينابل : أقول : أيها الرب امنع ذلك
سأدافع عن شرف قومي
مامن انسان على قيد الحياة سيراني متراجعا
أنا أفضـل الموت على أن أـلـقـى العـلـلـار
بذفسى (٣٩٠٩ - ٣٩٣٣)

ثم أخذا يتقارعان بسيفيهما من جديد
على بيضتيهما المحلاتان بالذهب والجواهر اللامعة
وتطاير الشرر حتى غنان السماء بشكل محرق
لن ينفصلا ، وحذقهما مامن واحد يمكنه ايقافه
ولا يمكن ايقاف هذه المبارزة حتى يموت أحدهما
٢٨٥ - بينابل قوي : هو فارس سورندس الشجاع
على بيضة ثيري المصنعة من فولاذ بروفانوس ضرب
منها تطاير الشرر وأوقد النيران في العشب
ثم برأس سيفه نحو وجهه ثيري سد
وعلى جبينه وجه ضربة ماحقة
حتى أن السيف حز منه قطعة
تاركا الدم يسيل على وجنتيه
وجرى الدم على الدرع من الامام والخلف
لكن بعون الرب ، تلك الضربة كلفتة حياة
٢٨٦ - عندما رأى ثيري الضربة نفذت خلال الجسد
ورأى الدم الأحمر يجري فوق العشب
عندها وجه ضربة نحو بينابل
فشطر البيضة الفولانية البراقة من عند عرقها
ونفذت ضربته الى الدماغ وألقت به خارج الرأس
وسحب سيفه ثم ألقاه ميتا
بتلك الضربة العظيمة ربح وصنع النهاية
وصاح الفرنسيون : الرب أظهر قدرته

- ٤٢٥٥ -

وطلبت العدالة إعداد الحبل لرقبة غانلون
ولرقاب اقربائه الذين رهنوا أنفسهم
٢٨٧ - انتهت الآن معركة ثيري بالنصر (٣٩٣٤ - ٣٩٥٩)
ومباشرة جاء الامبراطور شارلمان اليه
وكان يسير بين يديه أربعة من باروناته :
الدوق نايمون الجيد واللورد أوغيير الدانماركي
ووليم أوف بلاي وغودفري الانجيفيني
واحتضن الملك ثيري بذراعيه
وبفرائه الثمين نظف وجهه
ثم نزع عنه ثيابه وتولى الآخرون الباسه
ثم انتزعوا سلاح البطل بكل لطف
ومن ثم وضعوه على برذون عربي
وهكذا عادوا بسرور وحبور
وبخلوا الى أكس ، وفي الساحة الكبرى ترجلوا
وأعدوا العدة لتنفيذ حكم الاعدام بالآخرين
٢٨٨ - وجمع شارلمان الآن كل كوفاته ودوقاته وقال :
كيف تريدونني أن أعالج مسألة هؤلاء الرهائن ؟
جاءوا لمساندة غانلون في هذه القضية
ورهنوا أنفسهم لصالح فوز بينابل
ورد الفرنجة : لا توفر أحدا ، الموت هو ما يستحقونه
وعندها أمر ضابطا اسمه باسبورت قائلا :
اذهب واشنقهم على شجرة العدالة
بلحيتي هذه التي لونها لون الفضة
إذا نجا واحد منهم من الموت ، فوا أسفي عليك
ورد الرجل : وماذا تريدني أن أفعل أيضا
وتولى مائة من السيرجنتيه سحب الطاقم كله
وكل واحد من الثلاثين علق بأنشوصة
الخيانة تدمر نفسها وتدمر الآخرين أيضا
٢٨٩ - الآن البافاريون ورجال المانيا
ورجال بريقتاني ، وبواتو ونورماندي

وقبل كل شيء رجال فرنسا ، كلهم وافقوا
وقرروا أن يكون موت غانلون بالتعذيب
ولهذه الغاية أمروا بأربعة من الخيول
وربطوه اليهم من يديه وقدميه
وكانوا أربعة من الخيول الشديدة والمتفوقة السرعة
وقادهم أربعة سيرجنتيه وحرضوهم على السرعة القصوى
نحو مهرة تركوها تعدو في الحلبة
وكان عذاب غانلون مخيفا ومتطرفا
لان كل عروقه تقطعت من رأسه الى عقبه
وكل طرف منه اقتلع من مكانه تماما
وجرى دمه براقا على العشب الأخضر
مات غانلون وتم افناء جميع ذريته
٢٩٠ - استوفى الامبراطور الآن بينه وانتقم
ثم استدعى اساقفته الفرنسيين لعونه
اساقفة بافاريا والاساقفة الالمان وقال :
عندي مقيم هنا سيدة نبيلة اسيرة
اقيموا لها قداسا وقصوا عليها مواعظكم
لتؤمن بالرب وتتبنى المسيحية
ومن ثم عمدوها لعل روحها تصان
قالوا : وندعها بعد ذلك بعهدة أم الرب
(ايتها السيدة الاصليلة المولد ، تناولي تعاليم الايمان)
كان الجمع عظيما حول الحمامات في اكس
هناك عمدوا براميموند ، ملكة اسبانيا
واختاروا لها اسم جوليانا (٣٩٨٦ - ٤٠٠٢)
مسيحية هي ، سارت على الطريق القويم
٢٩١ - انهى الامبراطور الآن أعمال المحاكمة
ومع تنفيذ العدالة ، انطفا غضبه العظيم
وبراميموند جلبت الى حظيرة المسيح
ومضى النهار وتحول المساء الى ليل
أوى الملك الى فراشه في الحجرة المقببة العالية

القديس جبرائيل رسول الرب جاء اليه وقال :
انهض شارلمان واحشد جميع قواك الامبراطورية
وبالقوة والسلاح ازحف ضد البيرا
الحاجة قائمة لان تتولى انقاذ الملك فيفرين
المقيم في مدينته ايمفي ، فهو محاصر من القبائل المسلمة
هناك يستغيث بالمسيحيين وينشد عودك
قلب شارلمان صغير حتى يتحمل أعباء السفر والقتال
وقال الملك : ياألهي كم هي حياتي متعبة
وبكى ثم ربط لحيته البيضاء المتطايرة
هنا نهاية سجل الأعمال التي سيتلوها تورولدس

ملحمة رتشارد قلب الاسد

أه يامولاي يسوع ، ملك المجد
الذي وهب النصر
والشجاعة للملك رتشارد
الذي لم ير جباناً قط
(٥) أنه لجيد جداً أن تسمع في حكايا المغامرات
عن بسالته وغزواته
أن الكثير من رجال القصص الخيالية يصنعون الجديد
من الفرسان الشجعان الأقوياء المخلصين
ويقرأ الناس عن أفعالهم في القصص الخيالية ،
في كل من انكلترا وفرنسا : (١٠)
عن رولاند وأوليفر
وكل النبلاء المشهورين (الأتراك الاثني عشر في ملحمة رولاند)
للاسكندر وشارلمان
والملك آرثر وغاوين
كم كان لطيفاً مأزرة هؤلاء الفرسان
(١٥) من توربين وأوغر الدانمركيين
وعن طروادة يقرأ الناس في كثير من الأشعار
ماذا جرى في الأزمنة القديمة :
لخيل وهكتور - الجذود البارعون
(٢٠) وأي ناس قتلوا في ذلك القتال الطويل
في كتب اللغة الفرنسية القديمة كتب هذا الشعر
ولم يعرفه الناس غير المتعلمين
ولم يعرف عنه شيئاً غير المتعلمين من الناس الفرنسيين
بين المائة نادراً ما عرفه واحد
ومع ذلك بأنن متلفه
جهدوا لسماع الأفعال الشهيرة
قصص المغامرات النبيلة ، كما أفهم
عن فرسان انكلترا الأقوياء ،
وبناء عليه أخبركم الآن
عن الأعمال الجارية العظيمة - للملك

الانكليزي - (٣٠)

الملك رتشارد افضل محارب
يمكن أن يجده الناس في أي قصة مغامرات
والآن كل من يسمع القصة النبيلة
عليهم نعم رحمة الرب

(٣٥) سادتي أرجوكم أن تسمعوا بلا ازدراء
كيف أنجب الملك رتشارد الشجاع وولد
كان اسم أبيه الملك هنري ،
وكان في زمانه بالتأكيد

كما وجدته مكتوبا بلا نزاع
أن القديس توماس الطيب قد قتل هناك ،
(٤٠) عند حجر مذبح كنتر بري

حيث غالبا ما تظهر المعجزات وترى
وعندما أصبح عمره عشرين شتاء
كان هذا الملك بحق بالغ الجراة ،
ولم يكن ليتخذ زوجة ، كما فهمت
(٤٥) مالم تمتلك ثروة عظيمة في يدها
وعندما حثت بارونات على الزواج
اتفق الملك معهم فيما قالوه

وأرسل على الفور عصبا من رجاله
إلى كثير من الأراضي البعيدة المختلفة
وأجمل امرأة كانت في الوجود
(٥٠) على رجاله أن يحضروها له ليتزوجها

وأرسل بالرسل في حركة سريعة
ومضوا إلى السفن تلك الليلة بالذات
وسرعان ما نشرت الأشرعة
(٥٥)

وهبت الريح قوية خلال الليل وفي الفجر
وإذا ما أصبحت السفن وسط طريق المحيط
رأوا الأشرعة تتدلى متراخية مترنحة

وبينما جلس هؤلاء الفرسان الطيبون وقد استبد بهم الخوف
ظهرت سفينة أخرى ، قريبة تماما
(٦٠) ولم يكونوا قد رأوا مثل هذه السفينة أبدا :
كانت بيضاء ناصعة ذات لمعان متلألئ
وكل مسمار فيها كان من الذهب المطروق
والضلع من أنقى الذهب المطروق
والصاري مرصع بالعاج (٦٥)
والأشرعة من الحرير بألوان الجميع
وكانت الحبال أيضا مجدولة من الحرير
وهي في بياض أصفى من الحليب
وكانت الأسطح مفروشة بأقمشة نهيية
مركب نبيل انتبهوا وأصفوا (٧٠)
وكذلك الشرف ومرفاع المرساة أيضا
كانت مطلية بلون أزرق سماوي صاف
وكان بالامكان أن يرى هناك على السطوح
مجموعة من العذارى الجليلات ،
(٧٥) مشرقات كضوء الشمس عبر الزجاج
ولم يكن ممكنا أبدا تخطي سينة منهن
ونادى فرسانها على جماعة هنري
طالبين منهم أن يصعدوا الى السطح
للراحة والاسترخاء والا يبالوا بشيء
وأن يخبروها عن ماذا يحدثون (٨٠)
نهبا الى كثير من الأراضي الشاسعة الغريبة
لأن ملكنا هنري قد أرسلنا
لنجد له ملكة نبيلة
أجمل مايمكن أن يشاهد على الأرض
ونهب من ملك من على كرسي ملكي (٨٥)
عندما سمع ماقالوه هناك
وكان الكرسي من حجر العقيق الأحمر
ولم يكونوا قد رأوا أبدا عرشا مساويا

ووقف دوقان الآن بجانب الملك
رجلان نبيلان في أبهة ملكية
(٩٠) ورحبا بكل واحد من الرسل
على ظهر السفينة حيثما ذهبوا
وأمكن للرجال أن يروا ثلاثين فارسا
يحيونهم مع هذه الصحبة
وعندما صعدوا الى ظهر السفينة الذهبية
الفاخر (٩٥)

كرسل لشهرة هنري
كان المزيد من الفرسان والسيدات حاضرين
سبع مجموعات وأكثر ، كما فهمت
ليرحبوا بكل واحد منهم على ظهر السفينة
وأعدوا مائدة موائمة لهم
(١٠٠) مد فوقها غطاء من حرير
وأمر الملك عندئذ وصيفة شابة
بأن تحضر ابنته التي ليس لها شبيه
لتجلس أمامه على كرسي
(١٠٥) وبدأت الابواق الذهبية تدوي
وهي تصعد الى كرسيها ،
وكان يصحبها عشرون فارسا
وكان هناك أيضا وصيفات في الانتظار
وانحنى الرسل عند قدميها
(١١٠) وسألوها ماذا تريد أن يفعلوا
وأكل الجميع وشربوا وجعلوهم مسرورين
وفق ماأمر صاحب الجلالة الملك نفسه
وبينما هم ينعشون أنفسهم بالطعام
كانوا يتحدثون في تلك الفترة الفاصلة
أعلن الملك قراره (١١٥)
فقد جاءه في الرؤيا

- في الأرض التي جاء منها
ان يذهب الى انكلترا فهذا مقصده
وأن ابنته العزيزة جدا عليه
(١٢٠) يجب أن تذهب معه كما بين تماما :
« وبهذه الطريقة أبحرنا
نحو الأرض التي أتيت منها »
عندئذ أجاب أحد الرسل بوضوح
وكان اسمه برناغر
(١٢٥) « لن نبحث اذا عن أي شيء بعد الآن
حيث سنأخذها الى سيدي
وعندما سيراهما بأم عينه
سيكون قد جوزي تماما »
ثم هبت ريح شمالية شرقية نحو انكلترا
(١٣٠) وطارت سفينة الملك عبر الزبد الى الأرض
وخلال ساعات كان الرسل
قد اقتربوا من الملك في أعلى البرج
واخبروه بأمر تلك السيدة الجميلة
أجمل سيدة في أي مكان
(١٣٥) وأمر الملك بتهيئة الأمور
ومع البارونات والاييرلات والفرسان
اسرع نحو سفينة الملك الغريبة ،
لأنه كان أصيلاً وأديباً
وتم اصطحاب الأنسة الى اليايسة
(١٤٠) التي فرشت أمامها بالاقمشة الذهبية
وانتصب أبوها في وقفة ملكية ، واقدام
وقد زين جبينه بتاج من ذهب ،
وبيئنا أحاط بها الرسل من كل جانب
كان المغنون ايضاً ، يشيعون الدفء والابهة
(١٤٥) وركب الملك هنري فرسه الذي راح يعدو
ليحيي بحرارة ، الملك الذي لايعرفه

- وأبنية الجميلة في لهفة ،
مرحبا بكم جميعا عندي
ثم مضى الجميع الى وستمنستر
(١٥٠) واتجه اللوردات والسيدات الى القاعة
وسرعان ما بدأت الابواق تدوي
لتعلن عن المائدة التي أجيد اعدادها هناك
وخدمت الحاشية بشكل جيد جدا
ولاحاجة لذكر ما أكلوه
(١٥٥) ونهض الملك بعد الوليمة
واتجه الى الزوار في ملابس ذهبية
وتوجه هنري الى الملك الغريب مخاطبا :
سيدي الطيب أخبرنا أتوسل اليك ما اسمكم ؟
فقال : اسمي هو كوربازنغ ،
(١٦٠) وأنا ملك انطاكية
وأبلغهم بقراره
بأن يبحر الى انكلترا بسبب رؤياه
وانحنى هنري للسيدة الجميلة
وأنت يا أنسة يامن لا شبيه لها ؟
(١٦٥) فقالت : « كاسودوريون »
وحنت رأسها في تواضع وخجل
فقال : يا أنسة « طاهرة ومشرقة
هل تعيشين هنا وتصبحين ملكتي ؟ »
فأجابته بصوت لطيف :
(١٧٠) « سيدي سأفعل بخيار أبي »
فأجابها أبوها مسرعا بالحال
بأنه يمنح الملك هنري بركته :
ويجب أن يتزوجا بسرعة
وأن تشاطر هنري فراشه كملكة
(١٧٥) وناشده بلطف الموافقة
على أن يتم ذلك بأكبر خصوصية

وتم الزواج في تلك الليلة والذات
ورقص البغلط طويلاً حتى أضاء الفجر
وجعل سرورهم الليل يمضي سريعاً
(١٨٠) وأنشد قسيس القديس في الغداة
وعند رفع القربان المقدس
سقطت الملكة في اغماعة كالشبح
وكان الناس مدهوشون في خوف مؤلم
واذ سجيت في غرفة نوم
(١٨٥) قالت : « علمت » بالمصادفة
لن أنظر أبداً الى القربان المقدس
وغادر أبوها مع المد في الصباح
اذ لم يعد بإمكانه ان يبقى هناك
وعاش الملك في سعادة مع ملكته
(١٩٠) وكان بينهما أولاد لهما
ولدان صغيران وعذراء فاتنة
وصحيح جداً كما نقل الى كتابي
كان الأول رتشارد ، وهذا ما علمت ،
وبه تتعلق هذه القصة الشعرية
(١٩٥) وكان الآخر جون كما سمعت ،
وكانت أختهم توبياس الثالثة
وعاشوا في سعادة غامرة جداً
حتى السنة الخامسة عشرة
وذاذ يوم قبل أن يركب الملك هنري
(٢٠٠) ليسرع الخطى الى القديس في بهجة
حضر الى هناك إيرل ذو جلال
وقال : « ياسيدي » كيف يمكن أن يكون هذا
ان الملكة زوجتكم وسيدتكم
لاتجروا على رؤية القربان المقدس ؟
اعطونا انذكم لنجعلها تمنع النظر فترة (٢٠٥) من البداية
بالانجيل

وحتى يتم انشاد وتلاوة القدا س
ويجب ان لاتتلقوا
ووقف الملك هادئا ، وقال أخيرا :
أمسكوها باحكام بقوة فيها عناية (٢١٠)
لامن أجل السراء والضراء
دعوها تخرج من هذا القدا س
وهكذا عندما بدأ الناقوس يقرع
في الوقت المخصص
تخرج ماضية من الكنيسة (٢١٥)
ثم قال الايرل : ابق من أجل الرب
ياسيدي ، ستبقي هنا ،
ولسوف تمسكين عند ترك الكنيسة
وأمسكت بابتها بيدها ،
ثم احتضنت بسرعة جون (٢٢٠)
علنا وأمام ابصارهم
وسقط جون بينما كانت متجهة الى الاعلى
وكسر فخذه فوق الارض
وهكذا انطلقت هاربة بابتها (١)
(٢٢٥) وتركت ملاكها في فزع حزين
وكان الملك حزينا جدا بسبب هذا الحادث
ومن الطريقة التي غادرت بها وماعنتها
حتى أنه لم يعد يذهب الى القدا س أبدا
ولن يزول حبه لها أبدا (٢٣)
ولعل من المعروف أنه بعد موته
يجب أن يرتقي رتشارد العرش
وطالب الملك هاري بتدويجه بعد الوفاة
وكان رتشارد بن هنري بالتأكيد
قد أتم الخامسة عشرة من عمره
(٢٣٥) وكان هذا الشاب عظيم القوة جدا
وسلك سبيل العمل بالسلاح

كما ينبغي أن يفعل الملوك والفرسان النبلاء
وأصبح شجاعا جدا وقويا أيضا
ولم يكن أحد يستطيع أن يصمد طويلا أمامه (٢٤٠)
وأحرز الشرف في كل ميدان
كما يفعل ملك وقاتح
وأمر بعد أن أصبح ملكا
في ساليسبورى بمقارعة رائعة بالسيف
وأوكل رجل بالحضور
مسلحا بالدرع والسيف والحرية (١) (٢٤٥)
بما في ذلك الايرلات والبارونات وكل انسان
وأن لا يبقى أحد في بيته
تحت طائلة فقد الحياة والارض
لأن الملك لا يمكن أن يمنعه شيء عنهم (٢٥٠)
وقد نودي بذلك كما فهمت
في كل أنحاء انكلترا بكاملها
وفي كل مكان يمكن للمرء أن يراه
وجاء الفرسان كما أمر
راكبين فوق التلال والمستنقعات (٢٥٥)
ولينفذوا أمره الملكي
سوف يقف كل الفرسان أمام بعضهم بعضا
كما كانوا يلتقون في الميدان
وتذكر الملك تماما بصورة جيدة
في ثياب غريبة لا تكشف عنه لأحد (٢٦٠)
وركب منطلقا من واد كثيف
ليشهد كل حيل من يشتركون في المباراة
وكفارس مغامر
كان لباسه منذرا بالسوء
فكله كان أسود كسواد الليل (٢٦٥)
وكذلك كان المهر الذي ركبه منتصبا
ووقف غراب أسود فوق خونته

- ومنقاره فاغر على سعتة كما لو كان مستحوذا عليه
وحول عنق هذا الغراب جرس
(٢٧٠) وسأذكر السبب في ذلك الآن
فالغراب الاسود يرمز
لمن يكبح كبحا طويلا بلا كلل
ودلالة الناقوس المجلجل :
ان الكنيسة مستقر للجميع
(٢٧٥) وهي تدمر كل من يجلب لهم الحزن ،
ولا يشاطرهم هذا الاعتقاد
وحمل الملك عمودا كبيرا وقويا
وكان طوله أربعة عشر قدما
وكان صلبا وغليظا أيضا
(٢٨٠) محيطه حوالي احدى وعشرين بوصة
وأول فارس قابله الملك هناك
انقض عليه متلهفا
وضربه محدثا شقا غائرا في وسط درعه
وساق حصانه نازلا الى الميدان ،
(٢٨٥) سقط هذا الفارس الابله على الأرض
وجده الموت تقريبا في النزاع الأخير
من الشجاع التالي الذي لقيه هناك ،
جاء يتلقى ضربة قوية ،
على هامته وطوقه أيضا
(٢٩٠) وكسر رتشارد عنقه الى قسمين
سقط هو وحصانه على الأرض
ومات الاثنان فوق هذه الراية الدامية
وتحدى رتشارد على كل جانب
اذا كان هناك من مزيد يركب اليه
(٢٩٥) وعندما بدأت الابواق تدوي
جاء فارس من آخر الصف الطويل
فارس جريء تماما وشجاع وطيب

- وكان يمتطي فرسا أحمر بلون الدم
وقد تسليح بكل قوته
(٣٠٠) بكل عدة فارس قوي شجاع
وأمسك بعامود كبير وقوي ،
وكان ثقيلًا بقدر ما كان طويلاً
وقال إنه سيركب ضده
إذا كان سيبقى هكذا في الميدان
(٣٠٥) وبدأت الأبواق تدوي
لتعلن لكل النين اجتمعوا هناك
بأنهم مرة أخرى يجب أن يصفوا
لأن لديهم خصما حقيقيا
وقد رأى الملك هذا الفارس يركب هناك
(٣١٠) ويرمحه اتجه نحوه
وجابه في وسط الميدان
وأحدث بدرعه ثقباً وانتزع نصفه
ونهب غطاء عنقه بعد ذلك أيضا
وعظم كتفه الأيمن أيضا
(٣١٥) ثم قناع خوذته وحلقه
فتأسف بمرارة لأنه جاء الى هناك
والثقت رتشارد منذرا الباقيين
وسألهم جميعا إن
كان هناك رجل آخر أو فارس
(٣٢٠) يرغب أن يركب ضده أو يقاتل
ولما رأى أن أحدا لن يأتي ذلك اليوم
ركب هكذا ماضيا في طريقه
متوغلا في غابة مبتعدا عن عيونهم
وهناك بدل ثيابه في تذكر جديد .
(٣٢٥) واختار مهرا أحمر بلون الدم
مع كل الجل الأحمر الذي فوق ظهره
وكذلك الحصان والدرع والسلاح أيضا

يجب أن لا يعرف أحد من يكون هو هذا الفارس الجديد
وفوق خوذته كلب أحمر - دموي
(٣٣٠) بنيل أحمر يتدلى نحو الأرض
وكان ذلك دليلاً على قصد الفارس
أن يحضر اللوثنيين قدرهم
وعزمه على قتلهم جميعاً باسم الرب العزيز
والمطالبة برد أسرى المسيحيين
(٣٣٥) وفي وسط الميدان أوقف مهره
وتلفت حوله ليبدأ عمله
وساق نحو الفرسان مستعرضاً إياهم
وطاف حولهم واستعرضهم من الداخل والخارج
فراى بارونا انتحى الى أحد الجوانب
(٣٤٠) وفي اتجاهه بدأ يسوق
وأعطى رمحه الى تابعه
لأنه لم يرد حمله نحو هذا الرجل
نحوه انطلق حاملاً صولجانه من الصلب
وفكر في أن يعطيه ضربة محكمة
(٣٤٥) على خوذته السميكة القوية
وتطاير الشرر من تلك الخوذة الصماء القاسية
وأدار البارون وجهه جانباً
وقال: « أيها الفلاح اقف تقدم واركب
ومع أنداك انهب والعب لعبتك
ولكن لاتأت إلي بعد الآن أقول لك
(٣٥٠) لأنه حقا اذا جئت إلي
سأعطيك ضربتين قويتين
وبهش الملك من قول هذا الرجل
الذي هكذا لم تؤثر به ضربة الملك
وعاد الملك من طريق آخر
(٣٣٥) وفكر في القيام بلعبة أفضل
ووقف وأضعا قدمه في ركابه

- ٤٢٧٣ -

ليخبرية بقوة أعنف وبمزاج غاضب
ووجه ضربته الى الخونة المعنوية
(٣٦٠) ولكن الفارس بقي جالسا فوق سرجه
وبسرعة ودون مزيد من القول
أخرج الفارس صولجانه ليلاقنه درسا
وكانت هذه العصا مصنوعة من نحاس مطروق
وحث الرجل الآخر على المرور
(٣٦٥) وبخبرة متميزة وفي بالاثنتين
فأطار قدم الملك من الركاب
وسحقت مايين الصفيحة والسترة الداخلية الواقية
ومايين الدرع وعبر الزرد
ولم يكن قد شعر بمثل هذه الضربات من قبل
التي جعلته نصف مسجج ومريض ونصف
مقروح (٣٧٠)
وبسرعة بدأ يركب ويسوق
خارج الجماعة المحيطة بالميدان
وهمهم صارخا ولكن صوته كان خافتا
لايمكثني أن اتلقى مثل هذه الضربات وأمضي
ثم ركب مرتدا الى بثره (٣٧٥)
وبوساطة خونته شرب كفايته
وشرب جواده هناك ايضا
في حين أعد عنته الثالثة
وكانت كل ملابسه بيضاء كالجليب
وحزام الفرس والاشربة التي تمسكه من أجمـل
الحريـر (٣٨٠)
وفوق كتفه صليب أحمر لامع
كرمز لخسارة ربنا العزيز
الذي ضد أعدائه سيقاـتل
ليربح من أجل الصليب انا أمكنه ذلك

- ٤٢٧٤ -

(٣٨٥) وفوق خوذته حمامة في بياض الثلج
وهي تظهر محبتها للروح القدس
وهكذا كان جريئا حر الروح
ليدمر اعداء الرب

ومرة أخرى شرع الملك يسوق
(٣٩٠) نحو نبيل ، بخطى سريعة
وكان اسم هذا النبيل فولك دويلي
وكان الملك يحب هذا النبيل لسمعته
والى فولك وجه ضربة قوية
ليظهر قوته ومزاجه

(٣٩٥) ضربه بقوة فوق خوذته البراقة
وشققها بكل قوته

حتى أنها انشقت حتى عظم وجنتيه
ورجاء السير فولك ان يذهب
وانه يجب أن لا يبقى بقربه

(٤٠٠) والا فانه سيشعر بالألم شديد
ورأى الملك أنه لم يذق طعام الألم ،
ففكر في أن يضربه مرة أخرى
والقى عصاه الحديدية فوق رأسه

ووجه هذه الضربة بكل قوته (٤٠٥)
ولكن البارون مع أن هذه الضربة ازعجته
فانه قد وجه بعصاه الثقيلة التي من الصلب
ضربة الى الملك ليجعله يحس
وانشقت خوذة الملك

(٤١٠) ولم يعد يستطيع البقاء جالسا على سرجه
وخرجت قدماه من الركاب
فهو لم يشعر مطلقا بمثل هذه الضربة القوية
وأدهشته هذه الصربة

فلم يحدث أبدا أن ألقي به هكذا
(٤١٥) من أجل هذه الضربة التي تلقاها

- لم يعد يعرف اذا كان الوقت نهارا أم مساء
ولكنه سرعان ما استرد وعيه من الدوخة
واتخذ طريقه الى قصره
ثم أمر وهو في قاعته
(٤٢٠) بأن يذهب المنادون ليدعوا
كل فارس لأن يتابع طريقه
ويعود الى أهله وأصدقائه
ثم بعث الملك رسوله
وأرسله الى هناك سرا
(٤٢٥) الى السير توماس مولتون الشجاع
الذي كان بارونا وسيما ضخما
وأیضا الى السيد فولك دويلي
كي يحضرا على الفور ليراهما
(٤٣٠) وأن لا يتأخرا لحظة واحدة
حتى يقفا أمامه ليسمعا منه السبب
ومضى الرسول في طريقه
وأخبر الرجلين اللذين أرسل اليهما
بأنهما يجب أن يصحبا
راسا الى الملك كي يراهما
(٤٣٥) وهكذا حدث الفارسان الشجاعان الخطي
ومضيا الى الملك مسرعين
وأبيا له التحية في اكبار واجلال
ولاحظا أن وجهه لم يبد متجهما
وهو يوجه اليهما الكلام بطلاقة :
« مرحبا بكما عندي »
(٤٤٠) وقاد الاثنین بيديه
الى غرفة بعيدا عن العيون
ثم قال لهما الملك : « يا صديقي العزيزين »
« قولا لي الصدق ، أتوسل الآن اليكما
(٤٤٥) في كل اختبارات المقارعات المرهقة جدا

من الفارس الذي كان افضل من ركب ؟
واي فارس عرف هناك ببراعته انه الافضل
في الاستعمال الجيد للعمود الضخم القوي
وفي الاختراق الذي اسقط عن الخيل أعداءه ؟
(٤٥٠) واي فارس شجاع اظهر ذلك للعيان هناك
واظهر معرفته بالهجوم بالرمح « ؟
واجاب ملتون ، « فارس يلبس الاسود
جاء راكبا الى المقارعة ذلك اليوم
وكل من رآه هناك يقول
كيف ركب في مزاج غاضب (٤٥٥)
فوق جواد قوي وقارع الكل
وفوق خوذته كان غراب ابدوسي اسود
وبينما ركب داخلا ليختبر قوته
كان العمود الذي يحمله قويا غليظا
وكان طول عموده هذا اربعة عشر قدما (٤٦٠)
ومحيطه احدى وعشرين بوصة
وسأل اذا كان هناك من يريد اختيار جدارته
وبتقدمهم ليثبتوا شهرتهم
بقتاله في هذه اللعبة الجريئة ،
وجاء فارس شاب ، اعزب (٤٦٥)
انطلق راكبا واقسم أن يقوم بتحد قوي
وامسك عموده ووكز جواده
وركب ضد هذا العدو في الواقع
وقابله الفارس الاسود في الميدان
ووجه ضربة قوية الى رزعه (٤٧٠)
والقى بالرجل والحصان لما بهما
وجرى هذا الفعل من قبل الفارس المجهول
ونفذت الابواق وصاح المنادون
ولكن احدا لم يكن حينئذ ليركب ضده
او يتبارز معه بالصولجان او بالرمح

فقد شعروا أن مثل هذا الضخم لم يعمطهم أي فرصة (٤٧٥)

وذلك الفارس الضخم الجريء النادر
قد استخدم عموده ببراعة وترفع وبرود
وقال الجميع : « لقد ربح هذا الميدان اليوم »
ولن ينطق أحد الآن بالمديح (٤٨٠)
حيث أنه فعل ذلك بكل استخفاف
إلا إذا قابل ضرباتنا مرة أخرى
لكنه قبل أن يوجه ضربة مرة أخرى !
وكز حصانه خارجا من بين الناس المسلحين
وقد أمسك بعموده الضخم في حالة اسـتعداد تام (٤٨٥)

والتقى الاثنان بعدئذ وسط الميدان
ورمى المغامر نفسه بالثرس جانبا
وكان العجيب أن فارسنا وقع
ولم يقمع الغضب الأحمر الذي كان الفارس يحمله
فاسقطته الضربة وكسرت عنقه (٤٩٠)
وبدا ثالث الفرسان الكلام :
« ان هذا شيطان وليس رجلا حقيقيا
الذي يضرب رجالنا هكذا ويقتلهم
لن أهدأ حتى

أقابله في الميدان اليوم ! » (٤٩٥-)
وتقدم الفارس المغامر دون إبطاء
واتجه مباشرة بحصانه إلى هذا الفارس الجريء
ثم إلى قسمين شق درعه ،
وبعموده كسر كتفه

وألقي به فوق ظهر الفرس (٥٠٠)
وهكذا سقط بقوة وكسر ذراعه
ولكنه لم يتلق أي أنى أكثر من ذلك

ثم التفت الفارس الجسور مرة أخرى
وتحدى بزئير قوي

من يقارعه (٥٠٥)

ونظر اليه الجميع بوجوه متجهمة
فلا أحد يريد أن يقارعه مرة أخرى
خوفاً من أن يسلبهم حياتهم

وهكذا عندما رأى مامن أحد أتى

وكز فرسه تاركاً هذه اللعبة الجسورة (٥١٠)

« ثم خرج هذا الفارس راكباً من عمق الغابة

خطى كله بلباس أحمر في مظهر مربع

وكان حصانه ودرعه كلاهما أحمر

وأوقع في نفوس الجميع الهلع والخوف

وكان كلب أحمر يقبع فوق رأس خوذته (٥١٥)

وقد جاء للتحدي والاختبار

إذا كان هناك من يجروء على المباراة

وعندما لم يجبه أحد أدرك

أن عليه أن يجبر واحداً على القتال

وركب في الميدان باحثاً عن فارس (٥٢٠)

يكون الشيطان قد احتجزه حيث يكون !

ولأعرف لماذا اختارني بالذات

بيد أنه هز وصيفي برمحه

وحملق في بنظرة متعالية

ثم ضربني بقوة بعموده الحديد الغليظ (٥٢٥)

ومالم يكن من خلال رحمة عزيزنا يسوع

أقول لآنكسر عنقي الى قطعتين

وعزمت عليه أن يركب ويمضي في طريقه

ويلعب مع أولاد من طبقة الخاصة

وجاء ثانية ليقوم بجولة ثانية (٥٣٠)

ووجه لي ضربة أسوأ من تلك بكثير وأشد

- ٤٢٧٩ -

ولكنني جلست فوق فرسي بهدوء
ثم صحت كثير من ابن ام
« والأسفاه ياسير توماس مولتون
(٥٣٥) لقد ضرب وجلس هناك ساكنا !
ولوححت بعمودي بمهارة قوية
وضربته بقوة كما عرف الجميع هناك
وطوحت به عن فرسه طائرا تقريبا
عندما أوقعت به هذه الضربة
(٥٤٠) ومثل تلك الضربة لن ينساها أبدا
ولم يبق لمزيد من الضربات
لأنه سرعان ما بدأ يسوق »
وعندما روى مولتون قصته هكذا
السير فولك دويلي البارون الشجاع
(٥٤٥) وجه الكلام عندئذ للملك رتشارد
« والفارس الثالث الذي جاء بعد ذلك
كان بسابغة بيضاء كما الثلج
ونظر الكل اليه من أعلى الى أسفل
وكان على ترسه صليب أحمر بلون الدم
(٥٥٠) ووقفت على خوذته حمامة بيضاء
وساق أمام الجميع ثم بطريقة باردة
نادى أي فارس جريء جدا
يكون رجلا قوي البنية شديد الاحتمال
ليبارزه في تلك اللعبة العنيفة
ولم يبعد أن رجلا هناك به ————— نه الج ————— راة
(٥٥٥) والضراوة
ليجرا على القتال هناك بالذاب معه
وساق راكبا فرسه مسرعا مستعرضا الفرسان
ثم جاء إلي أخيرا وفي النهاية »
واستأنف السير فولك الكلام : في الحقيقة سيدي الملك

- (٥٦٠) لقد كان هذا الفارس شيئا غريبا
وواجه عموده خولتي وهي من الصلب السميك
وما أن وجه بيده الضربة
بتلك القوة العظيمة بشدة وعنف
حتى كاد دماغي كله أن يسحق
ولكني سخرت منه ببضع كلمات باردة : (٥٦٥)
أرجوك أن تنهب أيتها الزبابة الخشبية الصغيرة
والعب مع طفل يكون ندا لك !
وإذا عنت بهذه الطريقة فاني
سأعلمك كي أجعلك عاقلا
(٥٧٠) ولكنه عاد إلي مرة أخرى
وأعطاني هناك ضربة أثقل
وبعمودي ضربته بقوة
فخرجت قدماه عن ركابه
ومثل الدائح خرج راكبا من بين الحشد
ومضى متوغلا في عمق الغابة (٥٧٥)
وجلس الملك رتشارد هنا ساكنا خافض الرأس
وقال يا أصدقائي أرجوكم لا تتنهّدوا
ولا تركنوا للحزن ، لقد كنت أنا
الذي عندما احتشدتم بعدكم
ركبت اليكم ، وكنت منكم قريبا ودانيا (٥٨٠)
وكان أقواكم في الاختبار
هو الذي أمكنه هناك أن يرد ضرباتي بصورة أفضل
وقال : « سائتي إنني أعرفكم أنه يحسن
أن تعرفوا مايجول بنهني الآن ؟
(٥٨٥) إنني أود أن نذهب الى الأرض المقدسة
نحن الثلاثة ودون أي مزيد لآخر من الفرسان
وسوف نذهب في زني حجاج مسعفين
لكي نستطلع الأرض والقوات التي هناك
وأريد أن تقسموا لي الآن

- (٥٩٠) ان لا يعرف احد بما ادليت به لكم الان
للاخيرنا ولا اولينا
حتى نمضي في رحلتنا »
هذان الاثنان واقفا مسلمين لرغبته عندئذ
لان ايا من الرجلين لم يرد أن يقول لا
واقسما على أن يعيشا أو يموتا معه
(٥٩٥) وغفرا له ضرباته العنيفة
ووضعا أيديهما فوق الكتاب
واقسما على أن يكونا مستقيمين في هذه المغامرة
ثم قبل الثلاثة وجنات بعضهم بعضا
واقسما على أن يكونا فارسيه الخالصين
(٦٠٠) ودعتهم الابواق الى المأدبة
وبعد أن أبرما هذا الاتفاق
وفي اليوم العشرين أخيرا
كان الجميع مستعدين للانطلاق
بعباءات الحجاج والعكازات في الايدي
(٦٠٥) كحجاج الى الارض المقدسة
في الايات ٦٠٧ - ٦٥٠ : أبحر هؤلاء كحجاج الى الارض
المقدسة ليستطلعوها من أجل حملة عسكرية ستتلو ، ثم بدأوا في
حينه رحلتهم للعبوة الى انكلترا
بعدها مروا ببحر اليونان العميق
(٦٥١) في المانيا توقف هؤلاء الحجاج الثلاثة برهة قبل أن يمشوا قدما
وقد جلب لهم هذا كثيرا من الاسف المضمني للقلب
(٦٥٥) ولأسوف أعيد من جديد رواية ماجرى هناك
اصغ عندما أخبرك الآن !
في الحانة حيث التمسوا الراحة ونهب الملك رتشارد الى المدفأة
(٦٦٠) حيث انحنى السير توماس فوق النار
وبينما كان فوذك يحرك صلصة المرق
واشتروا في حينه تلك الاوزة غاليا !

وعندما تم شواء أوزتهم جيذا
في النزل كان يتمشى هزيل
وقال لهم : أرجوكم اسمعوا دعواي
(٦٦٥) كي تسمعوا غنائي !
وعندما أمر رتشارد هذا الرجل أن يذهب
ردت له كلماته كثيرا من الأسى
وبعدما ردد أفكارا غاضبة في ذهنه
قال : انتم الثلاثة غير طيبين أبدا !
(٦٧٠) وإذا ما أتيت لي ساهزمكم فانتم لم تقدموا إلي لا اللحم ولا
الشراب !

حيث يجب على الرجال الأماجد أن يشتركوا في طعامهم
مع المغنيين المتجولين ولا يبعدوهم
عن لحمهم الطيب والنيذ والجعة
بل أن يشاطروا المغنيين المتجولين وليمتهم
الجميلة (٦٧٥)

وكان هذا الرجل انكليزيا وهكذا عرف تماما
من ثيابهم وكلامهم أين كانوا يقيمون
ومضى قدما في تلك الليلة المظلمة
إلى قلعة على مرتفع القرية
(٦٨٠) وأخبر الملك وبعضهم والكل
أن ثلاثة رجال قد جاءوا إلى المدينة
وهم رجال أقوياء جسورين غير هيايين
في كل الدنيا ليس لهم نظير
(٦٨٥) وكان الملك رتشارد أحد هؤلاء الثلاثة
وتم كان فولك دويلي الآخر
وكان السير توماس مولتون هو الثالث
فرسان نبلاء سمع عنهم الجميع
وكان تذكرهم في ثياب حجاج خشنة
(٦٩٠) لذلك لم يكن أحد ليعرفهم

- ٤٢٨٣ -

واليه تحدث الملك عندئذ : « يا صديقي
إذا كان على كلمتك يمكنني أن أعتمد
ستكون لك مكافأة سخية
وسأمنحك الهدايا »

ثم أمر الملك كل فرسانه (٦٩٥)
بأن يتسلحوا بكل قوتهم

ليقبضوا على هؤلاء الحجاج الثلاثة :

« واجلبوهم بسرعة وعودوا بهم الي »

وركب الفرسان منطلقين في كوكبة مربعة

واعتقلوا الحجاج الشجعان الكبار (٧٠٠)

وجيء بهؤلاء الثلاثة الى حضرة الملك

وسألهم ماهذه البلاهة

التي جاءت بهم الى بلاده الواسعة

من انكلترا قالوا له هكذا جئنا

ما اسمك ؟ عندئذ سأل الملك (٧٠٥)

وقال رتشارد دون كذب

وأنت ؟ سأل فارسا آخر

فولك دويلي كان الجواب الصحيح

وأنت ياسير ياذا الشعر الرمادي الطويل جدا ؟

توماس مولتون أجيب الملك (٧١٠)

وسأل الملك الثلاثة كلهم

لماذا تسلكوا الى داخل بلاده

أني اتهمكم أنتم الثلاثة بالتذكر

لكي تأتوا الينا هنا كجواسيس أشرار !

وقد تجسستم في اراضي أعلاها وأدناها (٧١٥)

وأعتقد انكم تخططون لخيانة كريهة لي

وأما بالنسبة لك ياملكي الشاب الشجاع

ولباروناتك الاثنين ، دون كذب

فانتم لم تتصرفوا تجاهي بصدق صحيح

لذلك فانكم بالقانون وبالقوة (٧٢٠)

- ستوضعون في سجن شديد
لأنكم تتأزرون علي أن تخطئوا معي
فأجاب الملك رتشارد اعتقد انك
بهذا الفعل تصبح غير وفي
(٧٢٥) ان كل الحجاج الذين يسلكون الطريق
أحرار في الذهاب ليلا ونهارا
أيها الملك مودرد من لطفك وفضلك
لاتوقع بنا نحن الحجاج شيئا خسيسا
فمحنة به قد سعينا نلتمس الحج
(٧٣٠) فدعنا نذهب ولا تحجزنا أبدا
ولكن دعنا نواجه مايمكن ان يقع لنا
في اي أرض يمكن أن نركب فيها
ولكن الملك الشرير أمر بسرعة
بأن يلقي بهم في السجن
(٧٣٥) وكما فهمت أن البواب
أمسك بيد الملك رتشارد
وأخذ رفيقيه هناك كليهما؟
وهكذا تخلوا عن دورهم كحجاج
وفي الصباح عند الساعة التاسعة تماما
(٧٤٠) جاء ابن الملك في وقت مشؤوم
وكان اسم هذا الأمير أردري؟
وكان فارسا ذا شهرة كبيرة جدا
وكان قويا غير هيب
ولم يكن له صندوق في كل تلك الأرض
(٧٤٥) فقال « أيها البواب » أرجوك أن
تدعني الآن أرى سجناءك!
فقال السجنان : سيدي ، كما تريد
سأنفذ كل رغبة لك
عندئذ أخرج السجناء الثلاثة
(٧٥٠) وجاء رتشارد ، الاول في المجموعة

- عندئذ تكلم أردر مع الملك
الست رتشارد بلاكذب
الذي يتحدث عنه الناس في كل أرض ؟
هل تجرؤ أن تأخذ معي ضربة باليد ؟
(٧٥٥) في الصباح سأمنحك الآن بالمغادرة
تلك الضربة باليد مني سوف تتذكرها
وعلى الفور تكلم الملك رتشارد الشجاع
فوافق على أن يتبادل معه الضربة
وكان ابن الملك الشاب معتدا جدا وضخما
وضرب الملك بيده ضربة قوية (٧٦٠)
تطاير معها الشرر من عينيه الغائمتين
وبينما كان رتشارد يرى أنه قد أخطأ في حقه
أقسم قسما بالقديس مارتن قائلا
غدا سأرد هذه الاساءة !
(٧٦٥) وعندئذ أمر أردر بارانة متفطرسة
بأن يأخذوا كفائتهم
من كل الشراب واللحم أيضا
ولهم أن يأكلوا أفضل ما لديه
حتى لا يمكن أن يضطر للانتظار (٧٧٠)
ويستبق ضربة رتشارد ويتعجلها
وعلى الاستقرار في الفراش طلبا للراحة
وهكذا كان ابن الملك يأمل أن يسر
ووضع الملك الانكليزي في وضع سهل
وفي الصباح عندما أهل النهار (٧٧٥)
نهض رتشارد كما أقول لكم وأخذ شمعا صافيا لامعا
ثم اقترب من ناره
وشمع يديه بشمع النحل الصافي
مرة وأخرى حتى يمكن أن يتأكد أنه (٧٨٠)
قد أصبح بسمك القشة وأقل منها بكثير
لأنه صمم أن يضربه ضربا مؤلما

- بتلك اليد التي جعلها مشدودة جدا
ليرد الضربة بأقصى قوة
(٧٨٥) وجاء ابن الملك حسب الخطة
ليحصل على أجره كرجل حق
ووقف أمام الملك رتشارد بجرأة وشجاعة
ووبخه بكل ازدراء وعجرفة
وقال له : « اضرب بكل قوتك »
(٧٩٠) بما أنك تسمى القوي الشجاع!
واذا أنا جفلت أو ابتعدت
سوف لن أحمل أبدا درعا في شجار ،
وضربت قبضة الملك وجنة أردر
وكل من رأى سوء حظ ذلك الصبي
(٧٩٥) قال إن اللحم والجلد قد انتزعا
وهكذا سقط أردر وقد أشرف على الموت
وانكسر عظم خده الغليظ نصفين
ووقع على الأرض ميتا كالحجر
وأسرع السجنان إلى حضرة الملك
وأخبره بهذا الأمر السيئ
الذي فعله رتشارد بابنه
فصاح واسفاه لم يعد لي أحدا!
وبهذا النواح سقط على الأرض
وكرجل تملكته كارثة مميتة
(٨٠٥) اغمي عليه في آسى عند أطراف العرش
وساعده فرسانه حتى بلغ مقعده المرتفع
وصاح أحدهم سيدي « لندع هذه الفكرة
الآن لقد وقع الأمر وحزنكم لن يجدي شيئا »
ونهض مودرد وقال متنهدا
(٨١٠) لكل الفرسان الذين وقفوا على مقربة منه
حول هذا الأمر الحزين أرجو أن تشرحوا لي
وأن تقصوا على كيف قتل ابني الشاب

- ووقفوا هناك جامدين كلهم
وفي أساهم لم يستطيعوا قول أي كلمة
(٨١٥) وبسبب الصخب الشديد اندفعت الملكة داخلة
وقالت: « وأسفاه ما الذي سبب هذه الضجة ؟
لماذا تبكي بصوت كله أسي ونحيب
ما الذي جلب لكم كل هذا الهم ؟ »
قال الملك : يا عزيزتي . أنت لا تعرفين
(٨٢٠) أن ابذك الجميل قد حل به الموت !
منذ أن ولدت
لم يحل بي مثل هذا الأسي !
لقد تحول كل سروري الى كرب
والآن للموت أمضي بكل سرور !
(٨٢٥) وعندما فهمت الملكة ذلك
اقترب مزاجها من حافة الجذون
وناحت قاذلة وأسفاه « ماذا أفعل » !
وخمشت وجهها ودمعها ينهمر
وكما تفعل النساء في أعماق الكروب
(٨٣٠) غطى وجهها الدم الكثيف
ومزقت الذوب الذي كانت تقف فيه
وندبت اليوم الذي ولدت فيه
بأي طريقة لقي ابني حذفه ؟
وأجاب الملك « يجب علي أن أخبرك
(٨٣٥) كما أخبرني هذا الفارس الحزين
هكذا أخبر ملكتك أيها الرجل المنتحب
بأي طريقة بدأ هذا الفعل ؟
مالم تكن تعرف الحقيقة الكاملة لتخبر بها
اليوم يبعث بك الموت الى الجحيم »
(٨٤٠) وطلب الملك مودرد من السجن أن يقترب
وقال له إنه يجب أن يوضح تماما
ما الذي راه - ويجب أن يشرح

بأي طريقة قتل ولده !
فقال السجان في الفجر الماضي ومع انبلاج الصباح
جاء ابنك في وقت منحوس (٨٤٥)
الى عند باب السجن الي
وأراد أن يرى الحجاج النبلاء
فأحضرت اليه أولئك الاشرار
وعندئذ جاء الملك رتشارد أولا
فسأل الأمير آردر بصوت خافت وكلمات معتمة
(٨٥٠)

إذا كان الملك رتشارد يمكن أن يبادله ضربة
بأن يتلقى ضربة منه له ويرد له بأخرى
ضربتان لن يرفضهما الفارسان بازدراء
فقال رتشارد مع ضيوع هذا الفجر
أضرب ايها السيد الشاب بكل قوتك ! (٨٥٥)
وهكذا ضرب آردر الملك رتشارد
بشدة لدرجة أنه كان بإمكانه أن يتباهى ويشعر بالارتياح
وقال الآن يا رتشارد أعزم عليك
غدا سوف تعطيني ضربتك
وافترق الاثنان على ذلك
ونهمز رتشارد عند بزوغ النهار
ثم اليه جاء آردر في الحال
ونادى رتشارد باسمه
وبالقسم بين الاثنين ذلك اليوم
ضربه رتشارد ضربة في الحقيقة أن تقول (٨٦٥)
هشمت عظم خده السميك الى نصفين
فسقط أرضا ميتا كأي حجر
وكما أقسمت أن أخدمك هنا
هكذا جرى بهذه الطريقة !
وقال الملك مودرد في غضب كثيب (٨٧٠)
في السجن سرعان ما يصبحون ضعافا

- وسوف تقفل السلاسل بسرعة عليهم
من أجل أفعالهم الكريهة الجارية تجاهنا
وهذا الذي أردى ابني قتيلا
(٨٧٥) إن قوانين بلادي ستقضي عليه بالموت !
وغادر البواب الى حيث قد صرف
ليذهب أمر سيده
وذلك اليوم لم يقدم لهم طعاصيا كألونه
ولا شرابا يطفئون به ظمأهم
(٨٨٠) وكانت ابنة مودرد في منتجعها الريفى
تهجع مع وصيفاتها من ذوات الشرف الرفيع
وكان اسم هذه العذراء مارغري
وكانت قد أحبت رتشارد بقلبها الملتهب
وعندما ارتقى الصباح ومال نحو الظهيرة
(٨٨٥) مضت الى رطوبة السجن بسرعة تامة
واصطحبت معها ثلاثة من الوصيفات
وقالت : يا أيها السجناء دعني الآن أرى
السجناء الذين لهم مثل هذه الشهرة الكبيرة
فصاح : على الفور ياسيديتي
وجاء بالملك على مرأى منها
فحياها بلطف وكياسة حقا
وقال لها بقلب شجاع حر :
ما هي رغبتك ياسيديتي مني ؟
وعندما رآته واقفا بهذه الشجاعة
انطوى قلبها عليه تماما
وقالت : « ياسير رتشارد بالله الأعلى
أني أحبك أكثر من كل شيء هنا »
فقال : « وأسفاه في هذه الحالة
المزيد من البؤس قد بعث إلي
(٩٠٠) مالذي يمكن أن يعطيه حبي لك هكذا ؟
اني سجين مسكين كما ترين الآن

- وهذا ثالث يوم يمضي
وليس لدينا طعام ولا شراب!
وغمر قلب هذه السيدة شفقة عظيمة
(٩٠٥) فقلت، لن يدوم جوعه أكثر من هذا
وأمرت عندئذ السجنان الصارم قائلة،
«أحضر لهم كل من اللحم والشراب
وارفع عنهم أغلال الحديد الآن
أمرك من أجل خاطري العزيز
(٩١٠) بعد العشاء في المساء المظلم
أحضره الى غرفة نومي
ومن أجل لباس هذا الرجل النبيل
عليك أن تلبسه كتابع فارس
لهذا ، وباسم يسوع ، مولانا العزيز
(٩١٥) سوف تحصل على مكافأة سخية ،
وفي تلك الليلة لم يذسها البواب
عندما جاء برتشارد الى غرفتها
ومع تلك السيدة الجميلة المعتنة الانيقة
لعب كل الليل بكل نزواته
وحتى اليوم السابع (٩٢٠)
كان يمضي كل ليلة هكذا سرا
ثم تجسس عليه فارس هناك
فهوول مسرعا ليخبر الملك
عن أعمال رتشارد كل مساء
(٩٢٥) فسأل الملك بسرعة تامة
كيف تسنى لا سيري هذا الماكر الكريه ؟
فقال الفارس بسرعة الملك رتشارد
هو الذي قام بهذا الفعل الشرير
سيدي بالنصرانية العزيزة لقد
(٩٣٠) راقبته وهو يجيء اليها
وازداد قلب مودرد الغاضب الما

- ٤٢٩١ -

ولم يعد أحد يستطيع أن يكلمه !
وبسرعة كي يريح فكره
استدعى مودرد مجلسه الاستشاري الحكيم
(٩٣٥) الايرلات والبارونات والكهنة العالمين
ليخبرهم بهذه الاعمال المكربة
فركب الرسل خارجين من البلاط
ليستدعوا حكماء الرجال من كل مكان
وبحلول مساء اليوم الرابع عشر
جاءوا جميعا دون ابطاء (٩٤٠)
وتوجه الملك بالخطاب الى هؤلاء العلماء
واليهم جميعا توجه بالطلب
وقال: سادتي « أرحب بكم جميعا »
وبينما هم يتمشون معتبين في القاعة
جلاس الملك في وسطهم جميعا (٩٤٥)
وقال لهم: بتاجي الجليل
أقول لكم لماذا بعثت في طلبكم
عن خائن أريدكم أن تعطوني قراركم الحكيم
خائن هنا قد اساء الي
وهو يجلس الآن في زنزانة محصنة (٩٥٠)
وشرح الامر للجميع
كيف اردى رتشارد ابنه قتيلا
وكيف استبيحت ابنته :
« واسوف يريح موته كدمات قلبي الحزين
ولكن القوانين قضت كما اعرف
(٩٥٥) لايمكن أن اقتل هذا الملك كما اعرف »
عندئذ توجه اليه بالكلام بارون شجاع :
« كيف حدث انكم احتجزتم هذا الملك الشجاع ؟
هل له كملك نبيل جدا
وتجاهه لم يجرؤ أحد من الناس أن يحاول شيئا شريرا »
وتحدث مودرد عن درته الثمينة

وكيف وجد في تذكر خشن
وكان معه بارونان اثنان
نبيلان صاحبا عمل جريء
(٩٦٥) « اسرته لم افعل شيئا خطأ
واحتفظت بهم في زنزانتي الحصينة ،
ومع هذه الملاحظات استأنن خارجا
ورجاهم أن يقضوا بلا إرجاء
كيف يمكن له هكذا أن يشفي غليله بحكمه
وبأي وسيلة يصل الى هذه الغاية (٩٧٠)
وأضى النبلاء ثلاثة أيام وهم يزدنون هذا الامر
ليقرروا ما يطلبه الملك
وبينما هم يعملون ثار غضبهم وهم
يلتمسون طريقا لمجازاة هؤلاء الأعداء
وقال بعضهم إن مـودرد يجب أن يسـحل
الملك (٩٧٥)

وقال آخرون : إن القانون يحظر مثل هذا الشيء
وتجادلوا ولكنهم لم يتمكنوا من الاتفاق
على ماذا يجب أن تكون عاقبة رتشارد
وقال الأحكم هناك عندئذ : « الصحيح أننا
لا يمكن أن نصدر عليه حكما » (٩٨٠)
وبعدوا بهذا الجواب الى الملك
وبه لم يعطوه أي تشجيع
ثم تكلم فارس بارع فقال :
« لا تحزن بعد هذه الليلة سيدي
لاني أعلم حقا أن السير الدريز (٩٨٥)
يمكنه تماما أن يبدع وسيلة مرعبة
لأنه رجل ذو نفس كرية
وسبب الموت لأعداد كبيرة
فأمر مودرد بهذا الرجل الضاري جدا

- (٩٩٠) ان يجلب اليه في الحال
وجيء به الى حضرة الملك
الذي سآله حينئذ بقوله:
هل يمكنك ان تبتكر لي طريقة
« يمكن ان اجازي بها هذا الفعل الكرية؟ »
(٩٩٥) فأجاب السير الدريز بمكر:
« يمكنني ان اذكر لك هذا بسهولة
انك تعرف تماما المرء لايمكن ان يفعل ذلك بالقانون
ان يقطع رأس ملك أو يشنقه أو يسحله
لهذا يجب ان تعمل وفق منطقي
(١٠٠٠) انتق بسرعة سبعا ضاريا
وأمنع عنه لحمه اليومي
ولمدة ثلاثة أيام لاتعطه شيئا يأكله
ورتشارد أيضا يجب ان لا يغذى
وليقاد الاسد الى زنزانته
(١٠٠٥) وبهذه الطريقة يقتل
ويتحقق انتقامك منه
إن السبع يقتل بمخلب وحشي
وهكذا انك لن تخرق القانون ،
(١٠١٠) وعلمت مارغري بهذه الحيلة
وعليه بعثت وراءه بسرعة
لتحذره من نية الملك
وعندما جاء بسرعة الى غرفتها
« مرحبا » قالت تلك السيدة المولهة في الحب
(١٠١٥) « لقد تعلم أبي من قاض ماكر
طريقة لا يذآك بحقه
فخلال ثلاثة أيام سيدفع الى زنزانتك
بسبع جائع جدا سريع ومتوحش
وسيقضي هذا السبع على حياتك
(١٠٢٠) ومعك يموت سروري الصادر من القلب »!

ثم قالت هكذا: « يا محبوبي العزيز
سنهرب الليلة من هذه الأرض
مع ذهب وفضة بكميات هائلة
(١٠٢٥) وكل ماسوف نحتاج اليه في المستقبل !

وأجاب رتشارد: « اني أفهم
ان الهرب سوف يخرق قانون الأرض
والهرب أن نذهب من هنا دون اننه
وأبوك سوف لا يمنحني اي الرجاء
وانا لا أخاف السبع الآن

(١٠٣٠) وأول ما يدور بخدي هو كيف أقتله ،
وفي الساعة التاسعة من اليوم الثالث اللنحوس
سيكون معي قلبه الضخم
أقول لك هذا :

« احضري لي مناديل من أصفر الحرير
أربعين في بياض أصفى حليب
الى زنزانتي ستحضرينهم (١٠٣٥)
قبل المساء بقليل ،

ووجدت وسيلة لتأخذ طريقها في حينه الى زنزانته
صحبت معها فارسا نبيلًا

(١٠٤٠) عمل طعاما ساخنًا من أجل تقوية رتشارد
وأمر رتشارد أن يشاطره طعامه صديقاه الأمينان العزيزان
« وأنت ايها البواب الصديق ، اعمل على تنفيذ كل ما تأمرك به
سيدتك »

(١٠٤٥) وتلك الليلة جدا حبهما
حيث سحبا الى زنزانته فراشا
رتشارد وتلك الأنسة الفتية

واسترسلا كل الليل في نغم الحب
وفي الفجر عندما بزغت الشمس مبتهجة جدا
(١٠٥٠) رجاها رتشارد أن تأخذ طريقها عائدة

- لا ، صاحت «من أجل الرب في الأعلى
سأكون بجانبك من أجل حبك
وسأبقى هنا معك »
وأواجه موتي بجانبك ايها الشجاع
(١٠٥٥) ولن أنهب من زنانتك القاسية
وسأخذ ما يأتي به الرب !
وقال رتشارد : ياسيدي الحرة العزيزة
مالم تتركيني سريعا
سوف تحزني قلبي بألم شديد
لاني لن أتمكن من حبك أكثر أبدا ،
وعلى هذا أجابت العذراء : « لا » !
فألم الرب العزيز الذي مات فوق الشجرة
سينقذ حياتك اذا كانت هذه مشيئته .
(١٠٦٥) ثم أخذ المنايل في يده
وصنع حول ذراعه رباطا
واعتقد أنه في برهة قليلة
سوف يقتل السبع بالقوة والحيلة
ووقف قويا في سترته القصيرة
(١٠٧٠) منتظرا السبع في بسالة وجراة
وسرعان ما أخذ السجن طريقه اليه
وكان معه في ذلك اليوم فارسان
ومعهما سبع قوي
وكانت مخالبه ضارية وحادة وطويلة
(١٠٧٥) ودفعوا بباب الزنزانة لينفتح على مصراعية
وأطلقا السبع الهائج في الداخل
وصاح رتشارد : « الهى العزيز احفظني » !
واذ قام السبع بقفزة قوية
كان يمكن أن يمزقه طرفا عن طرف
(١٠٨٠) راغ الملك رتشارد بوجهه العابس المتجهم
وضربه ضربة على صدره

- ضربة قوية ماهرة محظوظة
فقبع السبع وعضلاته مشدودة
ولوح بنيله في ألم مجنون
(١٠٨٥) وفغر فكية الرهيبيين على سعتهما
وزار حيث جعله الجوع يتوقف
وأحس السجان ورجاله باغماء وشيك
بينما زار السبع بدون توقف
واعتقد رتشارد أن هذا الوقت كان الأفضل
(١٠٩٠) وقفز ودفع بشدة بذراعة الملافوف
في حلقه بتصميم قوي ،
ومزق قلبه مخرجا اياه وكل شيء آخر وجده
وسقط الوحش ميتا فوق الأرض
ولكن رتشارد لم يكن به جرح ولاخدش
(١٠٩٥) وظل راكعا في ذلك المكان الدامي
وشكر رتشارد يسوع على انعامه
الذي حفظه هناك من الانى المؤلم
وأخذ القلب الذي كان مايزال داميا حارا
وحمله الى القاعة
أمام الملك ورجاله جميعا
(١١٠٠) وكان الملك مودرد جالسا أمام الطعام مرتفعا
والدوقات والايولات والفرسان يقربه
والى حيث كان وعاء الملح موضوعا على المائدة
(١١٠٥) سار الملك رتشارد وعصر الدم
وغمس القلب في الملح
بينما وقف كل واحد وتراجع الى الخلف
وأكل هذا القلب نيئا وهو يقطر دما
ومودرد وحدة منهول وبأدس
يهمهم : حقيقة اني أفهم
(١١١٠) هذه ليست يد انسان فان بل يد شيطان
التي أردت سبعي القوي قتيلا

- ٤٢٩٧ -

وانتزعته قلبه بأقصى قوة ببنية
وهو منه الآن يأكل كفايته
انه يسمى بحق من أجل هذه المهارة الضارية
ملكا عمد بشهرة عظيمة (١١١٥)
رتشارد القوي قلب الاسد»

في الابيات ١١١٧ - ١٥٧٢ ، دعا الملك مودرد ايرلاتسه
وباروناته ، وأخبرهم بوفاة ابنه ، واغواء ابنته ، وبمساعدها للمك
رتشارد على قتل السبع ، وقراره بإطلاق سراح رتشارد مقابل
فدية ، وقد وضع الفدية عالية عن عمد : كأسا قربان من كل كنيسة
من أراضي رتشارد . وجوابا على رسالة رتشارد الى
انكلترا ، جمعت الفدية وأحضرت الى مودرد . وحضر
رتشارد ، ولكن مودرد طلب منه أن يأخذ مارغري معه ، وأصررت
الملكة مع ذلك على أن تبقى مارغري في البلاط حتى يتمكن رتشارد
من أن يرسل في طلبها .

وغادر رتشارد الى انكلترا ومكث هناك ستة شهور . ثم أعطى
الروائي الرومانسي تاريخا موجزا للأرض المقدسة وللأحداث التي
دفعت بالملوك المسيحيين لأن يقررروا المضي في الحرب
الصليبية ، وعندما علم رتشارد بالمرسوم البابوي الرسمي (واضح
انه خلط مع الحملة الصليبية الاولى .) الذي أصدره البابا أوربان
داعيا الى حرب صليبية ، قرر الذهاب ، وبعث بأسطوله المكون من
مائتي سفينة الى مرسيليا ، بينما أخذ جيشا من أربعين ألف رجل
الى المانيا ليسترد الفدية من مودرد : زاحفا بجيشه عبر مقباطعات
مودرد دون سلب أو نهب أو تدمير لمحاصيل الفلاحين وأجبر رتشارد
الملك الألماني على الانعاز

وعرف مودرد أن عدوه قد جاء
ليطالب باعانة الفدية المرتفعة وليرمي به في زنزانة الى الأبد
(١٥٧٥)

- ۴۹۸ -

ان لم تساعدي ابنتي الآن !
 من عرشه الفاخر دعاها الى قربه ،
 « ماذا هناك يا سيدي مالذي تخشاه ؟ »
 « عليك يا عزيزتي ، ألقيت كثيرا من اللوم
 (١٥٨٠)
 ولكن دون مساعدتك سيحل بي العار »
 فاجابت ، « يا سيدي ما هي خطتك ؟ »
 ما أنا إلا امرأة سيده
 « واذا أصبحت فقط ذا مزاج معتدل
 لن يفعل بك المالك رتشارد إلا خيرا ؟
 (١٥٨٥)
 هبه كل ما يريد بذفس طيبة ،
 ويجب ان تحقق له كل ما سيطلبه
 فاذا منحته هكذا كل ما يريد
 لن يعاملك كوغد كافر لئيم
 أنت الذي كنت محذقا مغيضا كريها
 (١٥٩٠)
 وسيكون هذه الاتفاق عادلا لكليكما ،
 واذا كانت المالكة أيضا سمحة كيسة
 ستري هكذا منه أفعال جيدة »
 وقادت أباه في ذلك اليوم
 الى المالك رتشارد ، كما يقول كتابي
 (١٥٩٥)
 وكان معه مزيد من الايرلات والبارونات ،
 وستون فارسا خارج الباب
 وعندما رأى رتشارد كيف جاء مودرد ،
 اتجه نحوه ليعرض طلبه
 وركع المالك مودرد على ركبتيه
 وحيا المالك مع ذرائع واعذار صادرة عن القلب
 (١٦٠٠)
 « سيدي إنني تحت امرك ! »
 فقال المالك رتشارد ، طلبي الوحيد
 هو أن تعيد الي الآن ذهبي ؟
 وبعد ذلك سأحملك بوضوح

- ٤٢٩٩ -

(١٦٠٥) وأعاملك دائما كصديق لي

وقال مودرد : ليحمينا الرب !

أقسم لك على الكتاب

أن كل ما أخذته منك جاهز لك

كذلك اليمين حاضرا

(١٦١٠) وإذا أمرت فإني أزيده لك

وبذلك سأقيم السلام معك !

وغفر له الملك رتشارد خطيئته ،

وقبله على خديه العجوزين

وأصبحا صديقين سريعا وبوضوح

(١٦١٥) وفي اليوم نفسه دعا الملك الألماني

الملك رتشارد للعشاء

وبعد الوليمة عندما فرغ الجميع

قال الملك رتشارد بذبرات واضحة صادقة ،

لضيفه الذي كان جالسا بقربه

(١٦٢٠) « أشكرك جدا على هذا الترحيب

ولكني ياسيدي من أجل محبة الرب أرجو

أن تلبي لي الآن رغبتني

في حملتي الصليبية الى الارض

من أجل خاطر الرب العزيز ، أعطني يدك

(١٦٢٥) وتطوع مودرد بالذهاب

وعرض تقديم كل فرسانه أيضا ،

لمساعدة الملك الانكليزي في القتل :

« ليس صوابا بالنسبة لك أن تذهب ،

فأنت أحسن من أن تخوض مثل هذه الحرب ،

(١٦٣٠) ولكن ابعد بفرسانك الممتازين

مائة مقاتل ، شجاع وقوي

أفضل من ينتمي الى بلاطك

واعطني من التموين ما يكفي ،

من أجل عام كامل من القتال العنيف ،

- ٤٣٠٠ -

وابعث أيضا باتباع ليخدموا رجالك
وقال الملك مودرد على ذلك « أمين »
وهدية أخرى سأعطيها لك
يمكن أن تعينك في حياتك : هي
خاتمان سحريان ثمينان من أصفى الذهب
والأحجار فيهما منضدة وكاملة (١٦٤٠)
ومن هنا إلى أرض الهند
لا يمكن أن تجد أفضل منهما في أي مكان ،
لأن من ليه حجر واحد منهما في يده
سوف لن يغرق في الماء أبدا
والحجر الآخر من يحمله (١٦٤٥)
لن تحرقه النار في أي مكان
قال ريتشارد : يا سيدي أقدم لك شكري قالها
وهو خارج لينضم إلى قواته المسلحة

الابيات من ١٦٤٩ إلى ٢٨٩٠ : من هناك رحل ريتشارد مع
جيشه وفرسان مودرد إلى مسينا ليقابلوا ملك فرنسا فيليب وكان
الملك الفرنسي متلهفا ليؤذي ريتشارد من أجل التجكم في أراضي
ريتشارد الواسعة ، فكتب إلى تانكرد ملك صقلية ، رسالة اتهم فيها
ريتشارد بالتآمر بعمل خياني ضد الصقليين ، وكره تانكرد أن يصدق
مثل هذا الإتهام ضد الملك الذليل ، وأطلع الملك الانكليزي على
الرسالة ، وفي غضب من فيليب لهذا الفعل الظالم ، برأ ريتشارد
نفسه من هذه التهمة ، وطلب من الملك الفرنسي تقديم تفسير .

ومع ذلك سخر الصليبيون الفرنسيون والمعسكرين في مسينا من
رجال ريتشارد ، وقتلوا كل من وجدوا من الفرسان الانكليز
الضالين ، وبذلك أوجدوا حالة من التوتر .

وأصبح ريتشارد غاضبا من فيليب ورجاله من هذه المعاملة

اللفة ، فهاجم القوات الفرنسية وهزمها ، وأجبر فيليب على توقيع معاهدة عدم اعتداء لبقية الحرب الصليبية .

وأبحر فيليب الى عكا ، بينما أبحر رتشارد لتسوية خلاف مع اسحق ، امبراطور قبرص ، فقد اغرقت ثلاث من سفن كنوز رتشارد خارج مياه قبرص ، وذبح الامبراطور بعض الناجين ، ليدعى بأحقية في الكنز ، وأبحرت سفينة الكنز الرابعة لتروي الفاجعة لرتشارد وذلك بينما كان باقي الاسطول يقترب من قبرص

لم يستطع رتشارد تحمل هذا العمل ، وهكذا بعث رسولا الى اسحق طالبا اطلاق سراح ألفا وستمائة من الناجين الذين أخذوا أسرى ، وإعادة الكنز ، وعندما رفض اسحق ان يرد الكنز أو الأسرى ، أمسك رتشارد ببلمة يزن رأسها عشرين رطلا ، وأمر ألفا من فرسانه أن يعدوا أنفسهم للمعركة ، وركب خارجا ليجابه اسحق المتغطرس .

وفي المعركة التالية ، قتل رتشارد عشرين ألف قبرصي ، واستولى على الكثير من الكنوز ، بما في ذلك جـوايين لايمـكن مقارنتهما ، هما : فيفل وليارد وعندما رفض الامبراطور القبرصي المهزوم الاستسلام أمر رتشارد بتقييده بالسلاسل الحديدية ووضعه على ظهر سفينة رتشارد القيائية ليصحب الصليبيين الى عكا .

وقابل رتشارد واسطوله المكون من مائتي سفينة على الطريق مركبا شرايعا ضخما سريعا مثقل الحمل ناقلًا المؤن الى الحامية المسلمة المحاصرة في عكا ، ومع رفض الاستسلام وجه قائد هذه السفينة الاهانات الى مبعوث رتشارد عندئذ أمر رتشارد شنيعة بمهاجمة السفينة المعابية ، ودمر الصليبيون المركب بمعونة الرب ، وبعثوا بها ورجالها الآلاف والستمائة الى قاع المحيط ، وبعد هذا التأخير الطفيف ، تقدم الصليبيون نحو عكا .

وعندما وجد مدخل ميناء عكا مقفلاً بسلسلة ضخمة ، أمر ريتشارد شينيه أن تقترب من وسط السلسلة ، وصعد الى قوس سفينة القيادة وضرب السلسلة بعموده الحديدي ضربة قوية مرسل السلسلة وهي تغرق في اتجاه قاع الميناء ، وجرى ترحيب قلبي بالاسطول الداخل من قبل رجال فيليب ، وبعد أن أخبره رئيس أساقفة بيزا بمحاولات الملك ألفونسو غير الناجحة للاستيلاء على المدينة تولى ريتشارد قيادة القوات وقرر دراسة الوضع .

وقفز ريتشارد فوق جواده (٢٨٩١)

وانطلق مبتعدا بسرعة أثارت الغبار .

وركب حول الخندق المائي للوثنيين

ومضى نحو مجموعة المخيمات العكاوية المسورة

حتى وصل الى مشفى (٢٨٩٥)

القديس يوحنا ، كما رأيت أن أذكر

وهناك نصب سراقدة

وأقام هناك برجه ميت - غريفون

فكان حصنا للرجال الانكليز

الجمعة المشاركة الوثنيين (٢٩٠٠)

وبمساعده تم الاستيلاء على المدينة وأيضاً بمساعدة النحل

وعندما شيد البرج جيداً

ثبت هناك عراداته

وأمر باحضار خلايا النحل بسرعة (٢٩٠٥)

ثم بين كيف توضع

وحين بدأ نفخ الأبواق

انتشروا في الأسفل لمهاجمة المدينة

وكان الملك ريتشارد فوق سور عكا المتين

وقذف بالنحل ليسقط في الداخل (٢٩١٠)

وكان الجو حاراً في ذروة الصيف

عندما تفجر النحل خارجاً من كل جانب

- ٤٣٠٣ -

- وكان متضايقا وملينا بالكراهية
فأحدث بين المسلمين كثيرا من الهياج
(٢٩١٥) لأنهم كانوا يلدغون في وجوههم
عندما كان النحل يطير بينهم
واختبأ الوثنيون في زنايات صماء
حتى لا يستطيع النحل أن يجدهم
ولعدوا روح الملك ريتشارد الى الجحيم
(٢٩٢٠) لأن « ذبابه » لسعهم بعنف شديد
ونصب ريتشارد آلة أخرى
ودعا هذه الآلة باسم روبنت ،
وهي آلة قوية وقفت بمفردها
وقذفت الى داخل عكا أحجارا ضخمة
(٢٩٢٥) ولكي يكون ريتشارد هو الغالب
استدعى اليه رئيس عمال التلغيم
وعزم عليه يحفر له نفقا متقنا
يصعد في اتجاه البرج المسمى موبيت
وأقسم قسما بالقدس سيمون
(٢٩٣٠) بأنه اذا هدمه بحلول الظهر
وكذلك جميع السور الخارجي
فانه وقتها سيحطمه كله الى قطع متناثرة
وحفر عمال التلغيم نفقهم سريعا
بينما كان ، رجال الآلات يقذفون بقذائف كبيرة
(٢٩٣٥) وتسلك المسلمون جميعا
وركضوا مسرعين مرتقين السور
وكلهم ملفوفون بالملاءات من الرأس الى الركبتين
ليبعدوا عنهم لسع نحلات ريتشارد
وصاحوا « إن لهذا الرجل تصاميم كريهة
(٢٩٤) عندما يهاجم بالنحل وبالتلغيم
مامن ملك آخر ابتداء بهذه الطريقة
ولاشك لدينا أنه سيربح اليوم !

- ٤٣٠٤ -

ووقف الملك رتشارد فوق برج ميت غريفون
ليرتب الأعمال داخل المدينة ،
(٢٩٤٥) وكيف هرب الوثنيون في رعب
بينما كان رماة السهام من برجه
يذبحون بالقسي العقارة وبالسهام مربعة الرؤوس يؤلون
يطلقونها بين الأرجل والأذرع ونحو الرأس والقلب
وساعد الصليبيون الفرنسيون بتلكؤ
في التلغيم في ذلك اليوم الدموي
(٢٩٥٠) وأسقط السور الخارجي هكذا
وكان العديد من الوثنيين في تلك المدينة قد
قتلوا عندما ركب رتشارد الى داخلها
وعندما بدأ سيطرته هناك
(٢٩٥٥) وربح المسيحيون في ذلك اليوم أكثر
من السنوات السبعة السالفة
وهرب المسلمون في تلك الساعة الدموية
وتسابقوا الى داخل البرج الاعلى
وأشعلوا المشاعل حول السور
وهـ كذا أمـ كنهم أن يروا الصـ ليبيين
ضخمين (٢٩٦٠)
وكانت هذه المشاعل تلقى ضوءا غريبا
كان يتراقص خافقا فوق الفارس
الذي وصل للتو من انكلترا ،
والشخص الذي لايمكنهم الصمود أمامه
مالم يأت قائدهم صلاح الدين (٢٩٦٥)
بكل رجاله لينتقم لهم
وكان صلاح الدين على بعد عشرة أميال من هناك
لكنه رأى من هناك المشاعل في الهواء
فاستدعى اليه جميع حشوده
(٢٩٧٠) وكانت كثيفة كالمطر فوق ساحل عاصف

- ٤٣٠٥ -

قد تجمعوا فوق سهل
بجوار عكا ، فوق أرض وعرة
ستون ألفا من المشاة كانوا هناك
وقد أعدوا حزما من القش
ليحملوها ، هكذا كتب مؤلفي (٢٩٧٥)
ليملأوا الخندق المائي الخارجي للمسيحيين
وأقسم كل منهم يمينا
أن يقتلوا كل المسيحيين القساة المكروهين
وبعدهم جاء قادة وفرسان
مائة ألف اقوياء للقتال (٢٩٨٠)
وزحف هذا الحشد قدما فانتصر بنظام
وحمل الاول ألوية من سندس احمر
وكان على كل لواء ثلاث غريفونات حقيقية
ولكل شريط بلون أزرق سماوي
وخلفهم ركب القادة الشجعان (٢٩٨٥)
بدروع تشع مثل الذهب البراق
ومع اعلامهم المثلثة والويتهم ايضا
وكانت مصنوعة من سندس لونه لون ريش الطاووس الأخضر
مع تنين ضار على جل واحد
يقاقل سبغا شرسا (٢٩٩٠)
وكانت اعلام الاول حمرا ثم بعد ذلك أصبحت خضرا
ثم أصبحت المجموعة الثالثة مرئية
خمسون أو ستون ألف فارس
مسلحون بكل قوتهم
وجاء بعدهم في بياض الثلج (٢٩٩٥)
خمسون ألفا في صف
وبينهم كان صلاح الدين
وابن أخيه تقي الدين
ولواؤهم الابيض - الثلجي كما في الخرافات
عليه ثلاثة رؤوس سمور كشعار اسلامي (٣٠٠٠)

- ٤٣٠٦ -

وكان شكلهم حسن وحجومهم كبيرة جدا
وكان كل هؤلاء الرجال يحملون الترس والدرق
ومامن واحد كان قادرا على تبين طريقهم
في الخندق المسيحي الذي ركبوا حوله
(٣٠٠٥) بينما كان المشاة يلقون بحزم القش فيه
لكي يعدوا للفرسان طريقا ممهدا
ملأوا الخندق حتى الحافة
حتى يمكن للدشود أن تسوق مباشرة الى الداخل
وقام المسلمون بهذا العمل
(٣٠١٠) عندما قرر الرب القادر وهكذا قضى
أن يطرد المسيحيون الدشد
بينما هم يناشدون روح القدس
« الآن لدينا أفضل عون »
لأن لدينا قديسنا المنقذ !
(٣٠١٥) وكان معسكر المسيحيين يمحج بالرجال
وهم يهرعون الى اسلحتهم بسرعة ،
وتسابقوا نحو حافة الخندق المطمور
للدفاع عنه مع نخبة المسيحيين
وفي هذا القتال الحزين مع ضربات الأخذ والعطاء
سقط عدد كبير من الرؤوس من فـــــــــوق
الأجساد (٣٠٢٠)
وانشق الكثير من الدروع نصفين
وسقط الكثير من الخيول أيضا
وفقد العديد من الفرسان أسلحتهم
وسقط كثير من الخيل وقد أصيبت بأضرار كثيرة
(٣٠٢٥) والعديد من الذفوس الشجاعة بلاشك
قتلت طوال ذلك اليوم الدامي
وسقط الملك رتشارد مريضا بحمى مرتفعة
وأحسن كل رجاله أن أجله بات قريبا

- ٤٣٠٧ -

ولم يستطع أن يتحول عن فراشة
حتى لو أن خيمته احترقت (٣٠٣٠)
ومن ثم اتضح أن ملك فرنسا
سيقود المعركة وحده
وأن أحدا يجب أن لا يخرج من المعسكر
ولأن يمر قرب الخندق ليستكشف
بل أن يلزموا داخل المعسكر (٣٠٣٥)
حتى لا يكسب الوثنيين منهم كما يجب شيئا
وهم الوثنيون الذين اقتربوا من الخندق
وحاولوا عبور هذا الخط المسيحي
وبفعلهم هذا قطعوا أنفاسهم
وهناك واجهوا بسرعة موتهم (٣٠٤٠)
ورقد الملك رتشارد في فراش مرضه
والسبب في ذلك يجب أن أقول
ناجم من تعب البحر
والهواء الغريب في تلك البلاد البعيدة
والبرد القارس والحر المرير (٣٠٤٥)
واللحم والشراب غير الطيب
وهكذا أعاقت هذه الأشياء جسمه عن الحركة
حيث أنه لم يستطع أن يجد طعاما مجلوبا من انكلترا
وهكذا رجا الملك المريض الفرسان أن يبحثوا
له عن رجل حكيم هكذا قال (٣٠٥٠)
سواء أكان مسيحيا أم وثنيا أسود
ليخبره كيف يعالج حماه
وأعطى كل رجل نصيحة وتوجيهه
ولكن لم يكن هناك أحد بهذه الحكمة
حتى يتمكن من أن يوقف أساه المحموم (٣٠٥٥)
أو يحرره من ألامه
وكان الانكليز الشجعان يشعرون بالأسى
من أجل مولاهم في كربة

- ٤٣٠٨ -

وهكذا أيضا كان كل المسيحيين هناك
لأن رتشارد لايقود هذه النشاطات
(٣٠٦٠) وفوق ركب مثنية كان الحشد المسيحي راكعا
يصلي للأب والابن والروح القدس ،
في آناء الليل والنهار بنية طيبة
ربنا هب ملكنا راحة سريعة !
(٣٠٦٥) من أجل حب مريم ليسوع العزيز
فأجابت سريعا صلواتهم القلبية
بفضلها وبركاتها الحلوة ،
وشفي الملك رتشارد من مرضه العضال
والحمهم لم يعد له ميل
ذهب كل الذبيذ والماء بددا (٣٠٧٠)
وتأقت نفسه العليلة للحم خنزير مشوي
حتى لو أن رجاله جميعا احترقوا
لم يتمكنوا من ابتياع واحد في هذه الأرض القاسية
بكل الذهب الذي كان تحت إمرتهم
اي قطعة من لحم خنزير غض (٣٠٧٥)
يمكن للملك أن يغمس فيه شوكرته
وبهذا علم في حينه فارس قديم السن
وعرف كيف تأق الملك المريض بمرارة
للحم خنزير وهو في بؤسه المحموم
عندها تحدث مع الطاهي على انفراد (٣٠٨٠)
حيث قال: ان ملكنا الطيب يرفض بازدراء لدومنا
ذلك أنه تواق للحم خنزير مشوي طيب
ولايمكننا في أي مكان هنا أن نشتري لحم خنزير مشوي ليرضى
ملكنا المريض !
ومنع ذلك اني أعرف مصدرا يملكنا أن نعوول
عليه (٣٠٨٥)
لكنه لو علم إن رأسي ستسقط

- ٤٣٠٩ -

لذا يجب أن لاتبين له كنهه
خذ مسلما شابا خفيف الحركة
ممن يجب أن يفارق حياته البائسة بسرعة
عليك تنظيفه وسلخه وتقطيعه وفركه
(٣٠٩٠) ثم قبل أن يفسد لحمه

ملحه وعدله بتوابل حارة
ثم بالزعفران يطلى هذا الشواء الجيد
وعندما يتذوق ملكنا الطيب هذا الشواء
سيشفى من الحمى المرتفعة التي اعترته
وستضمن لنا عودة قواه
وبعدما يكسر صومه هكذا
ويأكل من هذه الوجبة الغريبة
ومن المرق يرشف طاسا
سيشفيه زوم عميق ويجعله صحيحا سليما
(٣١٠٠) وهكذا ستسود رحمة الرب
وسيصبح ملكنا قويا معافى
هكذا أقول في بضع كلمات حزينة
ذبح غلام مسلم وشوى وأحضر لحمية الى
ملك (٣١٠٥)

من بعيد في الطول والعرض التمسنا هذا الخنزير
أرجو أن ترشف المرق وتأكل هذا اللحم
وببركة الرب ، نتوسل اليك
ووضيع الشواء أمام الملك
(٣١١٠) وأكل من هذه المائدة المثيرة للاشمئزاز
فالتهم اللحم وقضم العظم
وشرب مرق هذا اللحم غير المعروف
وعندما أخذ هكذا كفايته
تركه خدمه حسب رغبته
(٣١١٥) فتمدد في أغطيته الدافئة

- ٤٣١١ -

(٣١٤٥) وكان مسلحا جيدا لقتال هذا العدو
وذهب الفرسان واتباعهم ايضا
وكان جيش المسيحيين قويا جسورا
والمنظر الذي روي هناك كان رهيبا
وكان حقيقيا دون شك ،

(٣١٥٠) ان ستهزم حشود المسلمين وتسحق
في المقدمة كان داوية رتشارد
والانجويين ابناء جلده واسبتاريته
وكان الملك امام ميمنة المسلمين
حيث شعر العديد من الاعداء هناك بقوته

(٣١٥٥) وضرب فارسا واحدا فوق درعه
فسقط رأس هذا المسلم في الميدان ،
وحصل آخر على مثل تلك الضربات الجرئية
ولم تفده كل هذه الدروع شيئا
وضرب ثالثا على قردوس سرج حصانه

(٣١٦٠) فسقط على الارض في ويل
وكانت الحشود المسيحية المؤمنة مبهجة
عندما شاهدت اعمال رتشارد

ولم يصمد اي درع امام هذه البلطة:
فقد شقت عبر الجميع كسكين خلال الشمع
(٣١٦٥) وراهم السلطان يحاربون بهذه القوة
وظن ان شيطاننا كان يقيم بينهم
وحيث قتل الملك العديد منهم هناك
انسحب العدو بحشوده

بسرعة مع مجموعة قادته
(٣١٧٠) الى مدينة يسميها الناس غزة
ولكن في الحقيقة كل قوات الساقه عنده
قتلوا من قبل ملكنا الطيب رتشارد
وعندها المسلمون فوق سور عكا
شعروا بالخوف واخذوا يستغيثون بالله

بينما كانوا يراقبون السـلطان وهـو يسـوق
مبتعدا (٣١٧٥)

ورثشارد يقتل رفاقهم المسلمين ويذبح

هكذا كل النهار وفي الليل

خاضوا هم والمسيحيون المعركة

وعندما مالت الشمس للغروب

انسحب كل الفرسان ليستريحوا (٣١٨٥)

القوة المسيحية غنيها وفقيرها

انسحبت الى الوراء وراء خندقها الدفاعي

لستريح خلال الليل الهادئ

وامر الملك ريتشارد كل فرسانه

ان يحرسوا خندقهم الواسع العميق (٣١٨٥)

بينما يحصل الآخرون على قدر من النوم

وشعر المسلمون خارج الخندق

بالخوف من ان يستولي ريتشارد على خنادقهم

لانه كسب معركة ذلك اليوم

وهكذا ارادوا ان يهربوا من هناك (٣١٩٠)

ورغبوا في تلك الليلة ان يركبوا مبتعدين

لانهم لم يعرفوا مكانا آمنا للاختباء

ضمن مسافة عرضها عشرة اميال

وعندما ارتاح ريتشارد هناك برهة ،

سرعان ما حل فارس برعه (١٩٥)

كي يريحه ويعطيه مجالا للسكون

واحضرت له قطعة من الخبز المغموس بالنبيذ

فقال : « رأس ذلك الخنزير نفسه

الذي اكلته احضره لي الان ،

لانه اعانني على استرداد عافيتي (٣٢٠٠)

وأخشى أن مرضي يمكن أن يعود

والان ، قدم لي الرأس الذي اتوق اليه ! »

فاجاب الطاهي ، لقد ذهب الرأس !

- ٤٣١٣ -

- (٣٢٠٥) فاجأ به الملك : « ما لم ار رأس ذلك الخنزير
إني صدقا اقول ستفقد أنت رأسك ! »
عندها رأى الطاهي الشاحب انه يتوجب
عليه ان يحضر الرأس له ليراه
وتوسل وهو راكع على ركبتيه
(٣٢١٠) هذا هو الرأس فأرجو الرحمة !
وتم احضار رأس مسلم داكن اللون
بلحية ابنوسية ووجه مشوه
وشفاه متصلة ما زالت فاعرة باتساع
اي شيطان هذا ؟ صاح الملك رتشارد
ولكنه ضحك بعدئذ وقد فهم (٣٢١٥)
« هل لحم المسلم متماسك وطيب هكذا ؟
بموت ربي العزيز وصعوده
لن تذهب حياتنا بسبب الجوع
بينما يمكننا هكذا في هجومنا
(٣٢٢٠) ان نقتل المسلمين عندما تتناقص مؤننا
يمكننا الان ان نأخذ لحمهم طيب المذاق
لنسلق او نشوي او نقلي او نخبز
ونقضم اللحم نزولا الى العظم ،
وهكذا نستبعد التأخير من اجل الطعام
(٣٢٢٥) لان رجالي اذا احسوا بألم الجوع
سوف نأكل كلنا ونحارب مرة اخرى »

في الإبيات ٣٢٢٧ - ٣٢٩٦ : عرض صلاح الدين عندئذ تسليم
عكا ، وبيت المقدس وكل سورية حتى نهر الاردن لرتشارد ، وان
يدفع الصليبيين عشرة الاف دينار ذهبي ، وان يتوج ككونراد
مونتفرات ملكا على سورية .

ورفض رتشارد هذا العرض لان كونراد ارتكب اعمالا خيانية
ضده قبل ان تبدأ الحملة الصليبية . فقدم صلاح الدين عرضا

- ٤٣١٤ -

مضادا : هو انه سيعيد صليب الصلبوت للمسيحيين ، وسوف يدفع
لصلبيين مائة الف دينار ذهبي ، ويعطيهم كل الاسلحة والنخائر
التي في عكا ، وسيسلم لهم الستين الف اسير من عكا كرهائن حتى
يتسنى تنفيذ الشروط الاخرى في العرض ، ووافق الملك ريتشارد على
ذلك ، وبعد ذلك مباشرة ، على أي حال أرسل صلاح الدين سفراء
الى ريتشارد ومعهم تعليمات للتخلص من ابتزازه .

وتكلم الملك ريتشارد بكلمات لطيفة (٣٣٩٧)

« هذا العرض الذهبي سأسحبه

واشجب ظنونكم وتفكيركم الشرير

لاني في البارحة وفي السفينة قد جلبت (٣٤٠٠)

من العملات الذهبية والفضية معي

اكثر مما لدى سيدكم أو أي ثلاثة :

لهذا لاحاجة لي بكنوزكم .

ومع ذلك فمن أجل محبة الرب أناشدكم

ان تجتمعوا بي حيث أقيم الآن (٣٤٠٥)

وهناك سأخبركم وليسمع الجميع

أي كلمات ستحملونها لسيدكم

وهي كلمات أعانني مجاسي الاستشاري في أعابها !

وعندما وافق الجميع على هذا باعتدال،

انتحى الملك ريتشارد بمساعده جانباً (٣٤١٠)

واخبره بما سيفعله بالحال

« هذا هو ما سوف تفعلونه الان :

يجب ان تنزلوا عميقا الى الزنزانة

وتختاروا الاسرى ذوي الشهرة -

اولئك الذين جاءوا من أغنى الاقرباء (٣٤١٥)

وتعالجهم من إثم كفرهم

بقطع رأس كل منهم الكريه

ولكن قبل أن يموت كل منهم

- ٤٣١٥ -

خذوا اسمه واكتبوه بخط واضح ودقيق على ورق ثمين
(٣٤٢٠) ثم أحملوا بعدئذ هذا اللحم إلى الطاهي
واجعلوه يلقي في مرجل
واعزموا على الطاهي أن يسلقه بسرعة
ومروه بأن ينزع كل الشعر
من الرأس واللحية والشفة أيضا
(٣٤٢٥) وهكذا عندما تعد الوليمة الاحتفالية
تأكدوا من أن خدمكم لم يذسوا
وأعملوا على أن لا يترددوا
في أن يقدموا كل رأس فوق صحن ذهبي
وادخلوا كل واحد وهو ما يزال ساخنا
(٣٤٣٠) واجعلوا كل وجه يلبس ابتسامة بشعة
وتأكدوا من أن كل رأس متجه نحو الأعلى
وضعوا اسم كل واحد فوق جبينه
ويجب أن يذكر على كل بطاقة اسم العائلة
(٣٤٣٥) وتأكدوا من تقديم واحد ملتهب لي
هذه الوجبة يمكن هكذا ان تكافئني جيدا
وأنا عندما أكل كفايتي من غير مسيحي
كما لو أنه فروج طري
وراقبوا المسلمين عندئذ وقد أصابهم الغثيان
القهرمان كما يقال في حكايات المغامرات
(٣٤٤٠) بسرعة فعل ما طلبه الملك
وعند الظهر بدأت الأبواق تدوي
ولكن السفراء هناك لم يكونوا عندئذ يعرفون
قانون ريتشارد أو عاداته القديمة
وقال الملك لهم: أيها المسلمون البواسل
(٣٤٤٥) أرحب بكم في هذا السرادق
وإن جالسوا مع بطانتهم
وضع على مائدتهم الملح والخبز
لكن لانبذ أبيض أو أحمر

- ٤٣١٦ -

- وجلس المسلمون وبدأوا يحملون
(٣٤٥٠) وفكروا ، واأسفاه كيف ناكل ؟
وراقب ريتشارد من منصة مرتفعة
وقد جلس الدوقات والايولات بقربه
الخدم وهم يقدمون الوجبة
مع أصوات المزامير والأبواق الخشنة
(٣٤٥٥) وتولى القهرمان الاشراف بحذر
ليخدم ملكه وهو على كرسيه
ولئلا يصاب رجاله بعد الوليمة بضرر
إذا لم تقدم هذه الوليمة الاحتفالية الكثيرة حارة
وكان الرأس المعد لريتشارد كاملا وساخنا
(٣٤٦٠) واسمه فوق الجبين في لفافة رائعة
وقدم الطعام للسفراء أيضا
فوضع رأس بين كل اثنين
مع الاسم مكتوبا فوق الجبين العاري
عندها شعر كل رجل هناك بالغضب
(٣٤٦٥) وشعروا بالخوف من هذه المكافاة الكريهة
وانهمرت الدموع من عيونهم المنتفخة
وعندما قرأوا الأسماء كلها
خشي الجميع ان يقتلوا هكذا
وراقب ريتشارد بعينين زرقاوين باردتين
(٣٤٧٠) كيف بدل كل هؤلاء الرجال لونهم ومظهرهم
ومن أجل أصدقائهم انتحبوا وأقسموا
أن الذين فقدوهم لن يعودوا أبدا
لأنهم كانوا من أقرب اليهم
وهكذا في الكرب أمكنهم التماسك
(٣٤٧٥) لأنهم يجب أن يخشوا كل النصرانية
وبقدر ما أسفوا لأنهم حضروا
لم يأكلوا من وليمة ريتشارد لقمة واحدة
وجلس هو يستمتع بالمنظر

- ٤٣١٧ -

والتابع الذي خدم الملك
حفر بسكين حادة عندئذ الرأس
وأكل رتشارد باستمتاع نادر
وجلس المسلمون وحملقوا فقط
ثم وكز كل فارس الآخر
وقال : « إنه أخو الشيطان
الذي يقتل رجالنا ويقطعهم شرائح سميكة »
(٣٤٨٥)

ولم يذس ريتشارد هذه الغمزه
وهو يلقى بنظراته حوله ،
بوجه غاضب وغطرسة
نحو السفراء توجه بالخطاب :
لقد لييتم دعوتي (٣٤٩٠)
لهذا أطلب منكم أن تكونوا مرتاحين
وأسأل لماذا لم يسركم تقطيع اللحم
ولم تأكلوا كفايتكم كما أفعل ؟
أرجوكم أخبروني لماذا ترتجفون هكذا ؟
(٣٤٩٥)
وجلسوا جميعا في صمت وحبسوا أيديهم
وحيث لم يجرؤ أحد على الكلام أو الوقوف ،
كانوا يتمنون أن يزدحفوا الى جوف الأرض
لأن موتا أنظف كانوا يقبلون
وعندما لم يجبه أحد بكلمة
قال الملك : « ارفعوا عن المائدة
هذا اللحم الذي وضعته أنا أمامهم
(٣٥٠٠)
وأحضروا لهم لحما آخر تشتهيهِ أذواقهم » !
فاحضر الخدم شواء غضا
وأیضا نبيذا يمكن به شرب الأنخاب
نبيذا أحمر معالجا بالتوابل ، وشرابا آخر
(٣٥٠٥)
وعندما قال لهم رتشارد أن لا يفكروا
لم يأكل أحد كفايته أو جيدا

- وعرف رتشارد الى أين ذهبت أفكارهم
فقال : « أرجوكم أن لا تخافوا
(٣٥١٠) هذا هو الأمر الذي أعطيته
أن تخدموا أولا ، كما قدر الرب
برؤوس مسلمين ساخنة تطلق البخار
ولكني عن عاداتكم لا أعرف الكثير
كمالك مسيحي وحقا كذلك
(٣٥١٥) وبناء عليه اطلبوا مني وتحققوا
أنكم بأمان سوف تذهبون مرة أخرى
وإذا رفضت لأي شيء
من اسمي الطيب سوف تنطلق الكلمات السيئة
أن عندي مثل هذه الأخلاق الكريهة
(٣٥٢٠) كاساءة معاملة السفراء »
وعندما أكل الجميع وأخبروا
قام الملك ريتشارد ليحذرهم وينبهم
حيث طالب مسلم أنه بالذهاب
وكانوا جميعا مملوئين رعبا ومرارة
(٣٥٢٥) لأنهم كمبعوثين قد جاءوا
ولأن الجميع تمذوا لو أنهم بقوا في بيوتهم
مع زوجاتهم وأصدقائهم وجميع أقاربهم
بدلا من أن يكونوا في بلاط الملك رتشارد!
وتحدث الملك رتشارد عنئذ مع أحد الرجال
(٣٥٣٠) عد الى بيتك وأخبر سلطانك المعتد
أنه عليه أن يخفف من سوداويته
لأنه يعتقد أنكم تأخرتم جدا
وببطء شديد خمنتكم شروط هذنتكم
فقبل أن تحضروا أعد اللحم
(٣٥٣٥) لكل الرجال الشجعان الذين يخدمون معي
وكلهم صليبيون ومن حشودني
وأخبره أنه لن يجديه أو ينفعه

- ٤٣١٩ -

حتى لو دمر طعامنا ومؤننا
من اللحم والسمك والخبز والفتائر
أننا لن نموت جوعاً أبداً (٣٥٤٠)
بينما نحن قادرون على الركوب والقتال
وقتل فارس مسلم غض العود
ثم نغسل اللحم ونشوي الرأس
بمسلم واحد كهذا يمكن أن نتغذى
أو بثمانية أو تسعة أو حتى عشرة (٣٥٤٥)
برجالي المقاتلين المسيحيين الأقوياء
تابع الملك « أقسم على هذا الشيء :
إنه ليس هناك لحم مغذ كهذا
لرجل انكليزي مسيحي
لا الحجل ولا الزق ولا زاق ولا مـالك الحـزين
ولا البجعة (٣٥٥٠)
ولا البقرة أو الثور ولا غنم الحظائر
كلحوم المسلمين
انهم سمان ولحمهم جميل وطري
بينما كل رجالي هزيلون نحيلون
وفي حين أي مسلم يمكن أن يكون حياً (٣٥٥٥)
يقا تل في هذه البلاد البعيدة
حول طعام المسيحيين لن أهتم
فلننهي صيامنا ونرتحل نحو الخارج
لنقتل بقدر ما نحتاج
حيث نطعم رجالنا كل يوم (٣٥٦٠)
وهكذا لن نهزول إلى انكلترا
حتى نكون قد أكلنا الجميع

الآيات ٣٥٦٣ - ٥٤٦٦ : عاد السفراء إلى صلاح الدين
بتفاصيل رفض ريتشارد لـعرض السلطان والوليمة

- ٤٣٢٠ -

الرهبة ، وناشدوا صلاح الدين أن يسلم للملك الانكليزي الشرس أي شيء يريده ، لأنهم خافوا على سلامة ذسائهم وأطفالهم ، وأرسل صلاح الدين عرضا آخر لرتشارد : اذا تخلى الملك المسيحي عن عيسى وتبع محمدا كسيد له ، فسيجعله السلطان ملكا على سورية ، ومصر وبابل وجزيرة العرب ، وأفريقية وأرض الاسكندر واليونان ، وصور والسلطان لكل الهند حتى مملكة يوحنا الموعود في أقصى المشرق .

وأجاب رتشارد على هذا العرض غاضبا ، إنه إذا عاش فقط بضع سنوات أخرى فانه سيستولي على هذه الأراضي جميعا على أي حال ، وليبدى رتشارد ازدراءه لاقتراح السلطان ، أمر بأن يقاد الستون ألف أسير من عكا الى السهل المجاور للمدينة وتقطع رؤوسهم هناك » لأعلم صلاح الدين كيف يقترح علي أن أعبد محمدا ! » وأخبر ملك على أي حال رتشارد بأن يعرفو عن عشرين من الأسرى المهمين ليتخذوا كرهائن ، يحتجزون من أجل الفدية ، وأطاع رتشارد الأمر .

وفي وليمة بعد المجزرة بوقت قصير اقتسم رتشارد غنائم الحرب الصليبية مع رجاله ، وطلب من الملك فيليب أن يفعل المثل ، ورفض فيليب متعاليا ، ثم اقترح رتشارد أن يزحفوا خارجين ليكملوا حربهم الصليبية بمحاصرة وتدمير المدن والقلاع على الطريق نحو بيت المقدس ، مقسمين قواتهم الى مجموعتين ، وركب الملكان ومضيا قدما ، ورد فيليب من قبل المدن التي حاصرها جيشه ، وقام رتشارد مع ذلك بعد تقسيم جيشه الى ثلاث مجموعات تحت قيادته هو وفولك دويلي وتوماس مولتون بالاستيلاء على كل المدن التي هاجمتها قواته، وأعطى سكان المدن الخيار في أن يصبحوا مسيحيين أو أن يقتلوا بالسيف ، واختار بعضهم يسوع ، واختار بعضهم البديل المروع .

وتراجع الصليبيون ، وقد وجدوا أنفسهم متعبين جدا من الحرب

- ٤٣٢١ -

الى حيفا ليستريحوا وليجدوا مؤنهم ، وهاجم صلاح الدين عساكر المؤخرة وهم ينتشرون بغير نظام تجاه حيفا ، واندفع رتشارد لمساعدتهم وبلاستعادة المعجزة لأرواح الصليبيين المعذوبة وبالقوة المستمدة من ظهور القديس جورج هزمت قوات رتشارد صلاح الدين مرة أخرى وبعد توقف مؤقت لفترة وجيزة زحف الصليبيون الى مدينة عسقلان

وتحداهم صلاح الدين للدخول في مواجهة مفتوحة على السهل خارج أرسوف وقبل رتشارد التحدي ، وهزمت قواته بعنف حشود صلاح الدين ، ثم بينما أكمل الصليبيون زحفهم جمع صلاح الدين قوة ضخمة أخرى لمهاجمة الصليبيين خارج أرسوف واقترب رتشارد من الجيش الاسلامي مموها تحت أعلام اسلامية مستولى عليها وضغطت قواته من أربعة جوانب ، وهزمت السلطان مرة أخرى .

وبعد هذه الهزيمة الثانية بوقت قصير ، تحدى صلاح الدين ثلاثة أبطال مسيحيين أن يلتقوا بثلاثة أبطال مسلمين في الميدان خارج النطرون وقابل رتشارد والسير توماس تورنهام والسير فولك دويلي وقتلوا الأمير أرسلان والأمير خضر والأمير غالب ، وعندما رأى سكان النطرون أبطالهم يسقطون منهزمين تعمدوا فوراً كمسيحيين

وبعد توجيه هذه الضربة لهيبة الاسلام ، ذهب صلاح الدين الى الرملة لاعادة بناء جيش آخر ، وعندما هرع رتشارد الى هناك ليستأنف قتاله فان سرعة هجومه أخذت صلاح الدين على حين غرة ومنعته من استعمال اعظم اسلحته ، سلاح الفرسان ووصل فيليب ليساعد في حصار باب اليون (القاهرة) ولكن عندما رد من قبل صلاح الدين ، اخفق الحصار

ارسل الملك فيليب الى ريتشارد رسالة
ملحة (٥٤٦٧)

- ٤٣٢٢ -

أنه لم يتمكن من البقاء ، حيث كتب
بسبب الجوع هو ورجاله أيضا
يجب أن يوقفوا الحصار ويسـيروا في اتجاـه
بلادهم (٥٤٧٠)

وكان ريتشارد غير سعيد بذلك
وقال عنه قبة خائن

أعطاهم ليكسب المجد هنا
لقد لوث اسم يسوع العزيز
عندما أعطى المسلمين مهلة (٥٤٧٥)

والرب سوف يجازي الخيانة !
ثم انسحب عندئذ فيليب من هذا الحصار
الذي لاقاه المسلمون بكثير من السرور
فقد عم السرور العظيم بينهم جميعا
فانشدوا الأناشيد وغنوا أغنية سعيدة (٥٤٨٠)

وفي اليوم التالي من هذا المعسكر المجاور
جاء الرسل من السلطان العالي
وحيوا ريتشارد ثم قالوا : « سيدي
لأنه معجب بقوتك

أرسل سيدي السلطان اليك (٥٤٨٥)
إذا أنت قبلت هذا العرض
انك قوي بلحمك وعظمك
وهو بأسل شجاع حاليا

وأوضح أنك الحققت به ضررا عظيما جدا
ودمرت عظماء بلاده (٥٤٩٠)
وقتل وأكلت حشوده الباسلة

ان حרבك معه خطأ محزن
لقد التمسست ارثا في هذه الأرض
وقد فهم ذلك جيدا

انه ليس لك مع ذلك حق صحيح ! (٥٤٩٥)
انك تقول ان ربك بالغ القوة

- ٤٣٢٣ -

هل توافق ومعك الدرع والحربة
لنقرر الحق على أرض المعركة
بالخونة والزرذ وبالسيف القوي البراق
فوق خيول قوية جيدا ذات عزم وقوة
اي معبود لنا هو الأعظم قوة

يسوعكم أم الهنا
وقد أرسلني لأسألك هذا
هل تقبل منه جوابا من خيوله ؟
في كل الأراضي التي كنت فيها
(٥٥٠٥) لم تر جوابا مثل هذا أبدا

لانا فل ولا يارد من قبرص الحزينة
لهم البتة مثل فعلة
وانا أردت ففي هذا اليوم بالذات
سوف يجلب اليك لتجربه
(٥٥١٠)

وأجاب رتشارد « لقد قلت قولاً جيداً !!
هذا الجواد بمشيئة القديس ميكائيل
سأخذه لأركبه

لأن حصاني مرهق وبأدس
ومن أجل محبة سيدي
(٥٥١٥) الذي يجلس عاليا في السموات العليا
أخذ الآن هذا الحصان الجيد جدا
وبرمحي سأسفك دم السلطان
إذا كان سيمنحني هذا الفعل ويحفظه
وبالطريقة التي ذكرتها
(٥٥٢٠)

ولو انني لا بد ان اسلم روعي للرب
سوف اقابله في الميدان
واطلب منه ان يرسل لي هذا الحصان
وسوف اختبر من اي نوع هو
فإذا كان موضع ثقة أقول لك
٥٥٢٥

- ٤٣٢٤ -

- فلن اركب غيره في اي نزال !
وانصرف المبعوث من خيمة ريتشارد
عندئذ ليحمل ما قصده بقوله
انه سيواجه السلطان نفسه
٥٥٣٠ اذا استطاع صلاح الدين ان يتحمل الوطأة
ثم بعث السلطان في طلب كاتب
معلم شرير في تحضير الارواح
يمكنه ان يستحضر كما يجب ان اقول
من خلال فنه الشيطاني الذي من الجسيم
٥٥٣٥ عفريتين غريبين شريرين من الهواء
في شكل جوانين مموهين ،
وكانا متماثلين في الشعر واللون
كما قال الناس الذين كانوا هناك في حينه
لم يشاهد من قبل لهما شبيه :
٥٥٤٠ وكان احدهما مهرا قوي البنية ومضمرا
والثاني فتيا ، وجوادا نبيل
واينما كان هذا الجواد الفتى ، عند الحاجة اليه
لم يفخر بمثله ملك او فارس
وانه عندما مايصهل المهر الكريه بصوت عال
٥٥٤٥ ولايمكن لاي راكب ان يتحكم في ادارته
او يحكمه بكل مهارته ،
سيركع لامة .. ويرضع
والسلطان سيوزع ضرباته العنيفة
وهكذا سوف يخضع الملك ريتشارد
٥٥٥٠ كل هذا جاء ملاك ليقوله
عندما اتى لريتشارد حوالي نصف الليل
وصاح استيقظ فارس الرب القوي !
يريدك سيدي ان تفهم
ان حصانا سيصل قريبا ليدك .
٥٥٥٥ جميل في شكله وقوته

- ليخذلك في قتال السلطان
فلا تخف من ركوبه
لانه سوف يساعدك ولكن بدلا من ذلك
احصل على عمود خشبي كبير وقوي
٥٥٦٠ وتأكد انه بطول اربعين قدما
وادفعه جيدا بعرض معرفته :
فكل ما يصادفه سيحس بالم كثير :
وبهذا العمود الخشبي ستجعله يصرع
٥٥٦٥ اركبه جيدا باسم الرب العزيز
حتى لا يتمكن من ان يلحق بك اي عار
وقال الملك خذ لجاما
وضعه بسرعة على رأسه :
واحكم اللجام في فمه
٥٥٧٠ وهكذا يمكنك ان تديره شمالا او جنوبا
وسوف يخدمك حسب ارادتك
عندما يركب السلطان ليقتل :
وعلى رمحك استعمل هذا الاسنان
لانه في درعه سوف ينطمر
٥٥٧٥ وهكذا يخرق درعه القوي
وعندما قال الملك ذلك
اتخذ طريقه نحو السماء مرة اخرى
وارسل الحصان الفتى عند طلوع النهار :
وكان الملك ريتشارد مسرورا بالحصول على الجواد
٥٥٨٠ وامر بوضع سرجه عليه من اجل حاجته
وصنع قربوس سرجه من الصلب
لانه يجب ان يكون قويا وموضوعا باحكام
وبسلسلة قيد بسرعة عمود الخشب الثخين
٥٥٨٥ بينما دفع باللجام على رأس الحصان الفتى
مثلما علمه الملك
وبخطافين حديدين جيدين ولم يذس شيئا

- ٤٣٢٦ -

- واستقر فوق السرج دون مخاوف عميقة
وبالشمع سد أنفي الحصان الكريه
وقال: « بالرسل الاثنى عشر
٥٥٩٠ كن انت رئيس الشياطين نفسه
الان سوف تخدمني عند حاجتي !
والذي نزع فوق الصليب
وعانى بشكل مروع مع كل نفس
ثم قام للحياة من الموت
٥٥٩٥ واشترى الجسد البشري من الجحيم الناري
٥٥٩٥ واخضع قوى الشيطان الكريهة
ثم صعد بعدئذ الى السماء الساطعة
والرب الان بكل قواه القويمة
تلك ذات الرب نفسها في الاشخاص الثلاثة
باسمه العزيز اطلب منك
٥٦٠٠ ان تتولى خدمتي حسب مشيئتي
وهز رأسه ووقف جامدا
وهيا الملك ريتشارد نفسه تلك الليلة
عند الفجر عندما اهل نور النهار
٥٦٠٥ جاء ست سلاطين بجيوشهم القوية
من المدينة ساقوا مباشرة
وتوقفوا عند شاطئ نهر
واصفوا في رتل ... بدروعهم العريضة
وكان الميدان في ذلك اليوم واقول الحق ،
٥٦١٠ مؤلفا من سلاطين وملوك في نظام جرى ،
وكان يمكن رؤية مائة واكثر ؛
وجيء حتى بانناهم مرتبة الى الساحة
عشرون الفا من المسلمين
في مقابل كل واحد من رجالنا المسيحيين
٥٦١٥ جاءوا يحملون حشدا من الرماح الضخمة الطويلة
كانت هناك تشبه غابة كثيفة .

- ٤٣٢٧ -

وكان لدى المسلمين حشد ضخم ؛
امتد عشرة اميال على طول الساحل
وانتشروا للراحة فوق السهول الواسعة الدافئة
بينما بدأ الرسل يركبون ٥٦٢٠

الى الملك فيليب والملك ريتشارد
ليسألوهما اذا ما برحا متمسكين بكلامهما
الذي سلف وقالاه في اليوم المنصرم
وكان المسلمون مستعدين للحرب :
وكان هناك منهم ثلاثمائة الف ٥٦٢٥

والملك ريتشارد يراهم في كل مكان
كما يغطي الثلج المتساقط جانب الجبل
وراهم الملك ممتدين طويلا وعريضا
بسابغات الزرد اللامع والخوذ البراقة
وبالابواق والطبول ٥٦٣٠

وكان لصخب المسلمين جلبة رهيبة
كما لو ان الدنيا قامت قيامتها في الداخل والخارج
هكذا كان وقع الصوت قويا جبارا
وقد اذهل هذا الضجيج المسيحيين واربكهم
ولكن ملكنا لم يخذش شيئا ٥٦٣٥

حيث قال لرجاله حاملي السلاح
ايها الرجال المسيحيون الطيبون لاتخافوا
بل ضعوا ثقثكم في ربنا العزيز
فاذا ربحنا الميدان هذا اليوم
من الوثنيين من المسلمين وهكذا تولينا ذبحهم ٥٦٤٠
فاننا الى الابد سنكسبها

من اجل من خلق الشمس والقمر
كونوا عوننا لنا واعطونا القوة !
وانظروا كيف سأقاتل هذا الملك الكريه
بالسيف والرمح وبلطة من الصلب ٥٦٤٥
ومالم اعطي ضربات جيدة اليوم

- عليكم من الان فصاعدا والى الابد
ان تعتبروني جبانا ضعيفا !
بل كل رجل مسيحي او وضعيف
٥٦٥٠ عليه ان يستعمل كل قوته من اجل تراثه
اضربوا رأس المسلم
ومن خلال معونة الرب العزيز وبمساعدتي ايضا
سوف افعل مثل هذه الاشياء بينهم
بالنئين يمكن ان اباغتهم
٥٦٥٥ من الان وحتى يوم الحساب
يجب ان يتكلم الجميع عن لعبتي الشجاعة !
وتسلح المسيحيون بحماس
بكل من الحديد والصلب
ولبس الفرنسيون ايضا الدروع
واستعدوا لمهاجمة المسلمين
خلف المسلمين ركبوا
مستعدين لهذا الحدث
لقد قطعوا طريق الهروب على المسلمين
وهكذا حتى لا يمكن للمسلمين ان يتفادوا الملاحقة
ولا لاي مساعدة خارجية ان تصل اليهم
٥٦٦٥ وهكذا يجب ان يذبخوا جميعا وهم احياء
وبدا الفرنسيون في التباهي والتفاخر
كل منهم سيقتل العدد الاكبر
ولكن في الحكاية كما يقال
لم يكن هناك فرنسيون بنصف هذه الشجاعة
٥٦٧٠ حتى يخترقوا قوة المسلمين
حتى ظهر المالك ريتشارد فوق حصانه
هناك ركب ريتشارد مع كل حشوده ،
وقطع عليهم الطريق على طول الساحل
وحال بينهم وبين مدينتهم الآمنة
٥٦٧٥ حتى لا يمكن لاي مسلم كزيه ان يهرب

- ٤٣٢٩ -

ثم امر ريتشارد ثلاثة من المرافقين
بان يبقوا اقدمهم حرا في المدينة
واخذ الاثنين الآخرين معه
وعزم عليهم ان يحضروا له حصانه
الحصان الذي ارسله صلاح الدين
وقال: « هكذا بهيته هو
سوف احاربه ليلا نهارا
وقفز فوق حصانه وجلس منتصباً
في السرج بقفزة قوية ٥٦٨٥
وقد تسليح بكثير من الاشياء التي تجرح
ولم يفتقدوا الى اي شيء كان عنده
لان رجاله جلبوا له كل ما طلب
وعامود من الخشب للسرج طوله اربعين قدماً
امام سرجه وضعه ٥٦٩٠
وتدبر ربطه بصورة محكمة هناك
وبذلك لن يخفق في هذه الاعمال
وهكذا ربطه خدمه باحكام
وثبتوه بخطاطيف من الصلب لامعه
ولم يثبت هذا الخشب بشيء اخر ٥٦٩٥
وتما سكت السلاسل الحديدية بشكل محكم جيداً
لانها جميعاً قد سكبت بصورة جيدة تماماً
سواء الاطواق او درع صدر الحصان
وعدة حربية خاصة بالملك ريتشارد
هكذا فوق حصانه عرضت ٥٧٠٠
وتدلى من طوق سرجه كل من
بلطته التي من الصلب وعموده
وكان الملك ريتشارد هناك لا يلبس بثراء
من قدميه حتى عرف خوذته (١)
كان مغطى من رأسه الى كعبيه ٥٧٠٥
بدروع من صفائح قوية من الصلب

- ٤٣٣٠ -

- خارج سابغة الزرد القوية
وكان رمحه الموثوق غليظا وطويلا
وفوق كتفه درع عريض قوي
مع ثلاثة فهود ضارية على سطحه
وكانت خوذته محلاة بالذهب ٥٧١٠
وكان مقدم الخوذة القوي الموثوق واضحا
وعلى عرقها حمامة ناصعة البياض
لتري الروح القدس في القتال
ووقفت هذه الحمامة البيضاء فوق صليب ٥٧١٥
صليب من الذهب الجيد والتمين
الرب نفسه ، والقديسة مريم والقديس يوحنا
وذلك الذي سمر فوق الصليب :
لتمجيد هؤلاء قاتل الملك ريتشارد
سنان الرمح الذي احضره الملك ٥٧٢٠
ثبته باحكام فوق قبضته
وكان اسم الرب محفورا على السنان
والان وهم منحنون نحو الارض اقسموا
قبل ان يشقوا طريقهم الى المعركة
اذا حدث وتمكن الملك ريتشارد
من ان يقتل السلطان في ميدان القتال ٥٧٢٥
لتوجب عليه هو ورجاله ان يذهبوا
بارادتهم جميعا من اعلى واسفل المراتب
الى مدينة الرملة
ومملكة مقدونيا ٥٧٣٠
يجب ان يمسكها بيده القوية
ولكن اذا قتل سلطان هذه الارض
الملك ريتشارد في الميدان
بالسيف او بالرمح تحت درعه
على كل المسيحيين ان يرحلوا ٥٧٣٥
من هذه الارض الواسعة بالخيول والعربات

- ٤٣٣١ -

وسيدكم المسلمون كامل هذه الارض

وقال الملك ريتشارد : « موافق

وهاكم قفازي ، حيث اني فارس !

٥٧٤٠

وكانوا جميعا مسلحين بكل قوتهم

وقفز الملك ريتشارد على سرجه

ولم ينم اي مقاتل تعب

بل راقب كل واحد هذا القتال

و تسابق الجوادان بكل قوتهم

٥٧٤٥

وركب كلاهما هذين الجواين ليلتقيا

وانطلقت شرارات نارية من ارجلهما

وقرعت الطبول ودفخت الابواق

بينما كان الجميع يرقبون ما سيتلو

وكيف ان الملك ريتشارد الملك النبيل

٥٧٥٠

سيواجه هناك السلطان الاسود

وبينما كان على مهره يركض هكذا في المجال

وضع ثقته في الحصان الشيطان

وكان للمهر كما يذكر كتاب المصدر

مخللة ثخينة مدلاة ذات اجراس

ومن درع صدر الحصان أيضا كانت

تتدلى الاجراس حوله ٥٧٥٥

ويمكن للمرء سماع اصواتها على بعد ثلاثة اميال

وصهل المهر عندئذ وجلجلت اجراسه

وهكذا بنية سيئة غنى المهر

٥٧٦٠

اعتقد ان به سيدقق فوزه

ويقتل الملك بضربة قوية

عندما يركع فرس ريتشارد ليرضع

ولكن ريتشارد هنا لم يكن مضريا

لانه سد الاننين بالشمع

٥٧٦٥

حتى لا يستطيع جواده ان يسمع

ولم يشعر ريتشارد القوي باي خوف

- ٤٣٣٢ -

وضرب السلطان الشرير بقوة
واعطاه ضربة تحت الواقية
فوق درع السلطان ، اقول الحق
كانت افعى مرسومة ، جاءت من الجحيم مباشرة
٥٧٧٠

ووجه ريتشارد رمحه نحو ذلك السطح العريض
ليطعنه بعمق تحت درعه
ولم تساعد السلطان اسلحته
حيث تحطم درع الفرس ولجامه في الحال
كذلك فعل الركاب وحزام السرج على سعتهما
٥٧٧٥
وبدا مهره ينحدر نحو الدوت
وعلى الرغم من هذا بدأ هو ينحني
للخلف فوق عجز مهره الكريه
ووصلت قدماه الى الارض الصلبة

٥٧٨٠
وخلفه كان يمكن ان يوجد سنان الرمح
وترك الحصان يرقد فوق الخضار
بيئما كان ريتشارد يضرب بضربات حازقة
باسم الروح القدس

واندفع نحو وسط الحشد المسلم
٥٧٨٥
وبيئما كان يركب عبر الارض
مزق حزام السلطان
كل النين وقفوا امامه

خيل ورجال ضرب بعمود الخشب
على مسافة عشرين قدما في كل جانب
٥٧٩٠
وكل من لقيه في هذا الركوب العنيف
جلب له الكثير من الويل

وركب حيثما امكن لحصانه ان يذهب
مثل النحل يحوم حول الخلية
وناضلت حشوده المسيحية من خلفه
٥٧٩٥
وانكسرت الخوذ وتفجرت الادمغة

- ٤٣٣٣ -

ومات العديد في هذا الطراد الحزين
وعندما رأى رجال فرنسا عندئذ
ان التفوق مال لصالح الرجال المسيحيين
ازدادوا جراءة وشجاعة

٥٨٠٠ ووكزوا خيولهم وهزوا رماحهم
وبروح مسيحية ، الملك فيليب

حمل نحو امير مسلم ورمحه بيده
وبدا ايرلات اخرون وبارونات شجعان
وهم رجال اقوياء يلوحون بسيوفهم

٥٨٠٥ ويقتلون المسلمين بلا تحفظ

وحارب كثير من فرسان الانكليز النبلاء
باخلاص هناك في ذلك اليوم الدامي
ومن ساسبورى سقط لو نغسباي
على الارض مع سيفه

وتجرا الجميع الذي امامه على الوقوف (٥٨١٠)

وكان دائما الى جوار الملك رتشارد

كما كان توماس الجريء الشجاع

وروبرت ليشستر وفولك دويلي

ولا يمكن للمسيحيين أن يروا فرسانا أفضل منهم

٥٨١٥ عندما كان أي مسلم يركب قرب سيدهم

لم يوفروه ولم يوفروا تابعه الشاب

ولكنهم اسقطوا هناك كل مسلم

المسلمون داخل المدينة

كانوا في أسى عظيم هكذا كان هؤلاء من غير المسيحيين

٥٨٢٠ وبينما تساقطت الدموع الغزيرة من عيونهم

تصايحوا طالبين الرحمة

وأمرؤا بفتح البوابات على اتساعها

ليدعوا الصليبيين يدخلون اليها

وربح المسيحيون هذه المدينة

٥٨٢٥ وبسرعة استقروا أيضا

- ٤٣٣٤ -

وارتفع لواؤهم المسيحي فوق السور
لواء رتشارد ملك انكلترا
وعندما بدأ صلاح الدين يفهم
أن المدينة هكذا سقطت
ناح السلطان في كرب قائلا : واسفاه ٥٨٣٠
ذهبت الآن جائزة الله !

وركبوا مبتعدين بوجوه شاحبة
كل الذين كان مايزال بإمكانهم ان يركبوا هاربين
عند ذلك الملك رتشارد ذلك الفارس النبيل
عندما رأى السلطان يهرب
(٥٨٣٥)
صاح به « ابق هنا وقاتل »

واسوف اثبت لك ان عقيدتك خطأ
وكذلك كل الخشدة المسلم «
وركب الملك رتشارد خلفهم مسرعا
من هذا كان السلطان مشدوها
(٥٨٤٠)
وكان يعرف غابة أمامه هناك

فهرب بسرعة اليها
واقترب الملك رتشارد من الغابة المظلمة
لكن عرف انه لا يستطيع أن يعمل هناك
(٥٨٤٥)
لا يستطيع أن يركب في تلك الأرض الخشنة
هكذا استدار بجوانه

ولقي في حينه ملكا مسلما
فأخرج بلطته من حلقته
وضربه بعنف فوق خوذته
وشقه حتى صدره
(٥٨٥٠)

وضرب آخر فوق الدرع
واسقط رأسه فوق الأرض
وهكذا قتل ستة ملوك مسلمين
أن أقول الحق في كل هذه الأشياء

هكذا قرأت في كتاب الاعمال (٥٨٥٥)

أكثر بكثير من ستين ألف حصان

عدوا تائهن بسروج خالية

في دم براق ارتفع حتى ما فوق حوافرهم

هاموا شاربين في كل جانب

حيث لم يكن هناك مســــلمون ليركبــــوا هــــهــــهــــه

الخيول (٥٨٦٠)

واحتدمت المعركة حتى حل الليل ،

لكنهم عندما قتلوا هكذا بشكل مباشر

العدو الذي أمكنهم أن يدركوه

بدأ المسيحيون يظهرون كثيرا من البهجة

وركعوا وتغذوا بمحبتهم له

وعلى كلا الجانبين كان مقاتلون أقوياء قتلوا

ولكن العديد من الرجال المسيحيين الرئيسيين

الذين رقدوا. أمواتا فوق أرض الميدان

سلموا هكذا لربهم العزيز أرواحهم (٥٨٧٠)

ثلاثمائة مسيحي عبروا باب الموت

ولكن أعداد المسلمين هناك كانت اكبر

ستون ألفا ماتوا في هذا القتال

وهكذا اظهر الرب أن المسيحيين على حق

وركب المسيحيون الى المدينة (٥٨٧٥)

ووجدوا كثيرا من الكنوز فيها باقية

ووجدوا مايكفي دون عناء

لحم وشراب ومؤن

وعند الفجر عندما استيقظ رتشارد

وهــــهــــه الذي لايمــــكن لأحــــد أن يعــــارضه في

أفعاله (٥٨٨٠)

جاء المسلمون الى حضرته

ورجوا أن يتخذوا الاسم المسيحي

- ٤٣٣٦ -

- وقبلوا أن يحملوا الصليب
وكان هناك أربعين ألفا
(٥٨٨٥) وأقاموا كنادس بالقاذون المسيحي
وقرروا أن يتخلوا عن الله
والذين لم يقبلوا بالصليب
ألقى بهم رتشارد في الخندق
وجمع كل الكنوز العظيمة
(٥٨٩٠) التي في المدينة بفخر كبير
والايرل والبارون والفارس والخادم
الملك أعطى لكل منهم ثروات كبيرة
وأقاموا هناك أربع عشرة ليلة
واستجمعوا في أحد الايام قوتهم
(٥٨٩٥) وبدأوا يركبون في اتجاه بيت المقدس
وتكلم الملك فيليب بافتخار
أيها الملك رتشارد أرجوك أن تصفي الي
ان بيت المقدس تلك المدينة الغنية
مع أنك ربحتها ، ستكون لي
قال رتشارد : بالرب والقدس أوغسطين
مع أن الرب سيضع روعي في الجحيم
من كل ما أربحه لن ، نصف قدم
تنال مني من أي أرض
وأحدثك على أن تفهم ذلك !
(٥٩٠٥) ثم قال الملك ، « اذا كنت تريدها
انهب وخذها برحالك ! »
رتشارد قال أكثر من ذلك : « ان عرضي هنا ،
ولن أقرب من هذه المدينة »
وكالقوس انحنى الملك رتشارد ،
(٥٩١٠) وبفلورين (٢) الى المدينة أرسل
اشارة الى الملك فيليب
أن يسوع قد مجد في هذه الرحلة

- ٤٣٣٧ -

- ومن الغضب وقع ملك فرنسا مريضا
والم يستطع العلق أن يشفيه من بربريته
وخشي أنه لن يشفى أبدا (٥٩١٥)
مالم يذهب ليقوم في فرنسا
وأفهم المستشارون هذا الملك
وقالوا إنه الشيء المناسب
استعدت سفنه عندئذ للرحيل
وعبر البحر يوم عيد جميع القديسين (٥٩٢٠)
وقال رتشارد: بعداء
قد ارتكب شرا عظيما
أن يعود الى الوطن من أجل مرضه
وأن يعبر البحر من هذه الأرض
قبل أن ينتهي كل عمل الرب (٥٩٢٥)
الذي بدأه إما بالحياة أو بالموت
لم يمكث ملك فرنسا هناك
بل رحل في جومهمين
وبعد أن ذهب أقسم
أنه يحمل لرتشارد كراهية أبدية (٥٩٣٠)
ونهب الملك رتشارد بكل حشونه
الى يافا على ساحل البحر الدافئ ،
وكان سرادق الملك جميلا ونظيفا
وقد أقيم في حديقة هناك
وانتشر بقية اللوردات على مقربة منه (٥٩٣٥)
مع كل سرادقاتهم بفرشها
وقام الملك رتشارد ورجاله جميعا
بإعادة بناء سور المدينة
ولم يبن المسلمون أبدا مثل هذا
السور القوي الطويل حسن البناء (٥٩٤٠)
وكانت القلعة هناك قوية وحصينة
ولامثيل آخر لها في كل أنحاء العالم

- ٤٣٣٨ -

- ويمكن أن يأتي إليها من جانب البحر
كل أنماط السلع في وفرة عظيمة
(٥٩٤٥) وشكل حرسا من الفرسان النبلاء
الاقوياء بالتسليح والاقوياء في القتال
وكان هناك كثير من الرجال ليركبوا حولها
ليجعلوها آمنة بلا شك
وسكن الملك رتشارد هناك بفخر
(٥٩٥٠) حتى أصبحت هذه المدينة آمنة
ومن هناك ذهبوا الى مدينة كالوين
ووجدوا كل أسوارها مهدمة
وأحاق بتلك المدينة المدمرة بؤس كثير
وحمل لهم رتشارد شفقة كبيرة ،
(٥٩٥٥) وجمع هناك أعيان المدينة
وأمرهم بإعادة بناء السور
وتعهد هو ببناء نصفه
برجاله خاصة الاقوياء المهرة
ووافق الأعيان هناك ، كلهم
ولم يبن المسلمون أبدا مثل هذا
(٥٩٤٠) السور القوي الطويل حسن البناء
وكانت القلعة هناك قوية وحصينة
ولا مثيل آخر لها في كل أنحاء العالم
ويمكن أن يأتي إليها من جانب البحر
كل أنماط السلع في وفرة عظيمة
(٥٩٤٥) وشكل حرسا من الفرسان النبلاء
الاقوياء بالتسليح والاقوياء في القتال
وكان هناك كثير من الرجال ليركبوا حولها
ليجعلوها آمنة بلا شك
وسكن الملك ريتشارد هناك بفخر
(٥٩٥٠) حتى أصبحت هذه المدينة آمنة

- ٤٣٣٩ -

ومن هناك ذهبوا الى مدينة كالوين
ووجدوا كل أسوارها متهدمة
وأحاق بتلك المدينة المدمرة بؤس كثير
وحمل لهم ريتشارد شفقة كبيرة
(٥٩٥٥) وجمع هناك كل أعيان المدينة
وأوهم باعادة بناء السور
وتعهد هو ببناء نصفه
برجاله خاصة الأقوياء المهرة
ووافق الأعيان - هناك كلهم
على تنفيذ رغبته (٥٩٦٠)
إلا دوق النمسا
وكانت فكرته أن يخدع الملك
وبدأ الملك رتشارد عمله الشاق
حول الأسوار دون توقف !
(٥٩٦٥)
الاب والابن والعم والأخ
فخلطوا الملاط ورصفوا الأحجار
وعمل كل واحد منهم بكل قوته
وكل ملك أو حاكم هناك
حمل الأحجار في الجو شديد الحرارة والرطوبة
(٥٩٧٠)

إلا الدوق الملىء بالغرور
فلم يكن ليساعد ، بل بقي جاذبا
وتصادف أن قابل الملك رتشارد هذا الدوق
وبلطف توقف هذا الدوق ليحية
(٥٩٧٥) وهناك وجه اليه رتشارد مطالبا
في أن يزيل رايته من على السور
فأجاب الدوق بهذه الطريقة
لم يكن أبي نجارا
ومع أن أسوارك بدأت تهتز

- ٤٣٤٠ -

(٥٩٨٠) إني لن اساعدهم أبدا في اصلاحها
وعند هذا بدأ غضب الملك رتشارد يتأجج
وحملق مغضبا بالدوق
ثم ركل الدوق في صدره المتعجرف
واندفع بسرعة تجاه الدوق
فسقط الدوق عن مقعده (٥٩٨٥)

ورقد الدوق على الأرض منبطحا
« تبا لك أيها الشيطان الجبان الكريه !
أرجو أن تعاقب بشدة في الجحيم !
انهب بسرعة من هذا الحشد الباسل
لأنك ملعون من روح القدس ! (٥٩٩٠)
وبالجانب الدامي من يسوع الجميل
اعتبرك خائنا هنا معنا
خلال أيام العمل الثلاثة التالية
سأقيم حظر عليك

(٥٩٩٥) أيها الخائن ، أننا نعمل ليل نهار
في الحرب ، في اليقظة وفي القتال
بينما تعيش أنت هنا كنهم كرية
وترقد في سرادقك

تشرب نبيذك الطيب القوي
وتنام مرتاحا طوال الليل (٦٠٠٠)
لسوف أدمر رايتك التافهة الحقيمة

ولأرمين بها في النهر الكريه !
(٦٠٠٥) وقد شعر في قلبه بكثير من الكراهية
وأقسم أنه سوف يرد له الإهانة
وأقسم بيسوع في ثالوته
أنه ما أن يرى رتشارد في وقت ما
سينزل به هناك انتقاما

الذي عنه — من الآن فصاعدا — سوف يتكلم
العالم (٦٠١٠)

- ٤٣٤١ -

وحمل حقه عميقا في قلبه
ليلق في الجحيم وليغرق مخلدا
من خلال خيانتة وغدره
ومن خلال مكر الجاسوس
الحق بالملك رتشارد العار
(٦٠١٥)
مما جعل كل انكلترا تلتهب

في الابيات : ٦٠١٦ - ٦٧٢٢ بعد أن رحل دوق النمسا مع قواته
بدأ رتشارد والصلبييون الباقيون السير نحو بيت المقدس وقد خططوا
للاستيلاء على المدن الإسلامية على طول الطريق لتجنيدهم
وحاصر رتشارد مدينة دارون (داروم) واستولى عليها وفيما هو
مرتاح هناك ومعه رجاله وقبل أن يستمروا وفق خططهم للاستيلاء
على بيت المقدس ، تلقى رتشارد خبرا يفيد أن أخاه الأمير جون قد
اغتنب عرش انكلترا ، وأنه كان يخطط لكي يتوج ملكا في عيد
الفصح ، وسخر رتشارد من الفكرة وتابع حملته العسكرية .

وبعد ذلك بوقت قصير نقل جاسوس خبر اقتراب قافلة غنية
بشكل خيالي بما تحمله من الذهب والجواهر والمؤن الى صلاح
الدين ، وهاجمها رتشارد واستولى على هذه الغنيمة واهتاج صلاح
الدين غضبا لهذه الخسارة الكبيرة وقرر مهاجمة يافا لأنه اعتقد أن
رتشارد كان في عكا ولن يكون في يافا للدفاع عنها ، وبافتتاح بوابات
المدينة ، أجبر صلاح الدين المسيحيين على اللجوء الى
البرج ، ولكنه على الرغم من محاولته بكل قوته لم يستطع الاستيلاء
عليه ، وفي تلك الأثناء هرب رسول من المدينة المحاصرة وأسرع
ليروي للملك رتشارد الخبر في عكا ، وصعد الملك الانكليزي على
الفور الى سفنيته لينجد رجاله .

والآن أنصتوا لسماع قصتي الصادقة
مع أنني لأحلف لكم بأي يمين
لن اقتبس أخبار أعمال خيالية
(٦٧٢٥)

- ٤٣٤٢ -

لبارتنوب أو ابيو ميدون
أو عن الاسكندر أو عن شارلمان
ولاعن آرثر ولاسير غاوين
ولاعن السير لوندسيلاوت سيد البحيرة
(٦٧٣٠) ولاعن بيفيس ولاغي ولاالسير-ريك
ولاأو ليفر ولاأوكتافيان
ولاعن هيكتور ، الرجل القوي
ولاعن جاسوس الهرقلي
ولاعن انياس ولاأخيل
أقسم أبدا ، اني كما أقول
(٦٧٣٥) انه في زمن يومهم الشجاع
لم يفعل أي منهم شيئا باسلا
ونجح هكذا في معركة قوية
كما فعل الملك رتشارد دون اخفاق
(٦٧٤٠) في يافا في سابغة قوية من السلاسل
ببطلته وسيفه القوي
ليغفر لروحه من قبل ربنا !
وحدث قبل اكتمال منتصف الليل
أن القمر والنجوم ظهرت كلها مكتملة البهاء
(٦٧٤٥) وجاء الملك رتشارد الى المدينة
ومعه شوانية ، كلها أو بعضها
وحدثوا وتشوفوا نحو القلعة القوية
فلم يسمعوا صوت مزمار ولاناي
وجروا السفن قريبا من اليابسة
(٦٧٥٠) ليروا اذا كان بإمكانهم الفهم
ولكنهم هناك لم يستطيعوا رؤية أية فرسان شجعان
أو يسمعوا صوت مغن جوال
أو يروا أي حياة في القلعة هناك
ثم تزايدت في حينه دقة الملك رتشارد التامة
(٦٧٥٥) وقال : « وأسفاه » أني ولدت

- ٤٣٤٣ -

إن رجالي الشجعان الطيبين كلهم بادئون !

فقد قتل روبرت ليستر

الذي كان معلمي الكيس

ولم يكن أحد هنا جديرا بهذا الفارس

(٦٧٦٠) وروبرت نورنهام ، الذي كان لامعا جدا

والسير برترام والسير بيبارد

الذي قاتل بشدة في المعركة

والبارونات الآخرون بجانبه

وهم أفضل كل جيوشي على سعتها

(٦٧٦٥) وقد قتلوا أو جرحوا جروحا مؤلمة

كيف يمكن لي أن أعيش أطول بناء عليه ؟

لو أنني هنا في وقت أبكر

ربما أمكنني انقاذهم من هذه الجريمة !

حتى أرد على صلاح الدين

(٦٧٧٠) في الحقيقة اني لن أحصل على سروري

وهكذا تفجع الملك رتشارد هناك

حتى بدا الفجر عاليا في الجو

وجاء خفير الى الشرافات فوق السور

وبنايه أرسل أغنية

(٦٧٧٥) وذفخ فقط بضع نفخات واضحة

حتى جلب لهم بهجة كثيرة

ونظر من مكانه العالي الى اسفل

نحو اسطول رتشارد في ذلك المجال البحري

وعرف السفن الصغيرة والكبيرة هناك

(٦٧٨٠) ثم ذفخ نغمة مريحة

وصاح بصوت مرتفع هكذا : « أيها المسلمون

جاء ملكنا المسيحي الينا !

وعندما سمع المسيحيون هذه الصيحة ،

ارتفعت أرواحهم المعذوبة عندئذ عاليا

(٦٧٨٥) الايرل والبارون والتابع والفارس

- ٤٣٤٤ -

- وتسابقوا رأسا الى المتاريس
ورأوا الملك رتشارد سيدهم الشجاع
وحيوه بكلمة لطيفة
« مرحبا ياسيدي ، باسم الرب العزيز !
ذهب الآن ، كربنا والعار كله »
(٦٧٩٠) ولم يكن قد عرف أبدا مثل هذه التحية
وكان حبهم العميق له بابيا
وصاح : « الى السلاح ، واستعدوا الآن جيدا »
ودفع هكذا بأولئك الذين كانوا معه
(٦٧٩٥) « فليس لنا من الحياة سوى واحدة
سنبيعها غالية وكل من اللحم والعظم
ولانه من أجل المطالبة بتراثنا
سوف نقتل الشياطين في هياجهم الشرير !
والذي يخاف هنا هذا الخطر الكريه
(٦٨٠٠) سوف لا يرى أبدا وجه ربنا العزيز !
وسأخذ ببلطتي بيدي
تلك التي صنعت في انكلترا الجميلة
وسوف ترى هذا اليوم عملا جيدا
وستكون لعنة على كثير من المسلمين
فلم أعد أخشى ذروعهم
(٦٨٠٥) وسوف أثابر فوقهم
من خلال بركة الرب في الثالوث
وسوف يرى كل الناس الحق هذا اليوم »
وكان هو أول من قفز الى الأرض
(٦٨١٠) وقتل اثني عشر في كومة واحدة
وصرخ عاليا بصوت قوي واضح
أين هم المسلمون ، فليتباهوا هنا
من الذين طالبوا بهذه المدينة النبيلة ؟
انهم سوف يروضون ببلطتي العريضة
(٦٨١٥) وهذا قسم حلفت ان أفعله

- وشرب طاس نخب من الوسيل أيضا !
وراهن على مثل هذا القتال الهائج
وبأن سيقتل كل المسلمين الذين تحت بصره
وهرب المسلمون من كراهية رتشارد
(٦٨٢٠) ومن فوق تسابقوا خارجين عبر البوابة
وفي قلوبهم شعروا بمثل هذا المصير
وهم يتسابقون نحو البوابة في وجوم
وهربوا من المدينة من فوق الاسوار
وقفزوا الى الأسفل من كل جانب
(٦٨٢٥) وكسر بعضهم سوقهم وبعضهم أعناقهم
بينما كانوا يهربون مبتلعين دون توقف
وكان كل واحد يصيح بهذه الطريق
كما سوف تسمع حالا فيما بعد
"Malcan stran noir abru
Lon Permoir toir me moru"
وهذا يعني بالانكليزية واضحة
(٦٨٣٠) « اذا لقينا سوف نقتل »
على يد هذا الشيطان الانكليزي هذا اليوم
فلنهرب بسرعة بعيدا عن طريقه »
(٦٨٣٥) وهرب المسلمون خارجين من المدينة
ولم يتركوا في خوفهم واحدا حيا
بل اربعمائة او ربما خمسمائة
من الذين قتلهم رتشارد عندما وصل
ووضع حراسه عند كل بوابة
(٦٨٤٠) وأمر بأن تجهر الخيول دون انتظار
وقفز فوق جواده فافل
وقد تسليح جيدا بالحديد والصلب
وسليح الناس بأسلحة قوية
بالدروع التي جلبها معه
(٦٨٤٥) والعديد ممن خرجوا من حجر القلعة

- ٤٣٤٦ -

- عمل على أن يتسلحوا بشكل مكتمل جدا
وركب الملك رتشارد خارجا من البوابة
والتقى في الخارج بملكين مسلمين
مع ستين ألف فارس مسلم
(٦٨٥٠) مع الوية عريضة ودروع لامعة
وضرب رتشارد فوق خوذة احدهم
ونحو السرج انشق هذا الملك طوليا
وضرب الآخر فوق القلنسوة
وبلل سيفه بدم مسلم
(٦٨٥٥) وداويته وباروناته الشجعان
حاربوا بضراوة كما يفعل سبع هائج
وقتلوا المسلمين في هذا الهجوم
حيث لم يشعروا برحمة نحوهم
ورأى المسلمون أن لا عون وراءهم
(٦٨٦٠) فهربوا بعيدا في اضطراب كئيب
الى حشد صلاح الدين الكبير
على بعد خمسة عشر ميلا تماما فوق الساحل
ثلاثون ألفا على الأقل
في ذلك اليوم تناقصت قوة المسلمين
(٦٨٦٥) حيث أن دروعهم ذابت كالشمع
أمام بلطة الملك رتشارد القوية
وكان العديد من المسلمين وهم يرتجفون
يستسلمون لملكنا النبيل
أخذ من أجل الفدية عشرات عديدة
(٦٨٧٠) وقتل ألف رجل أو أكثر
وطارد المسلمين الهاربين بعيدا
حتى وقت المساء
وركب رتشارد حتى حل الظلام
وحيث أنه ضرب العديد هناك
(٦٨٧٥) لم يعد أحد يستطيع هكذا حسابهم

كل الموتى أو مقدارهم
ركب الملك رتشارد خارجا من المدينة
ونصب هناك سرادقة
وفي تلك الليلة بقلبة اللطيف
أراح البارونات لدورهم الشجاع (٦٨٨٠)
والآن سوف تسمعون كيف جرت الامور في الغد
كان يوما للأسى لدى المسلمين
المعركة العظمى كما فهمت
التي لم يكن لها مثيل قط في أي أرض
واذا كنت ستسمع عن هذه المعركة (٦٨٨٥)
اسمع الآن واعط أننا !
بينما جلس رتشارد لوجبة المساء
وأخبر باروناته أنهم يجب أن يشعروا بالشجاعة
ورفهم بكثير من الذبيذ الجيد
جاء مبعوثان بخطة كريهة (٦٨٩٠)
ووقفا أمام مقعد الملك رتشارد
بلحى رمائية طويلة وخداع
ودخلا راكبين على بغلتين قويتين
وكانت عباءاتهم من الحرير والذهب مع دبابيس تزيينية
وكل منهما يمسك بيد الآخر (٦٨٩٥)
وقالا : أيها الملك رتشارد افهم الآن
ان سيدنا صلاح الدين ، ملكنا الذليل
ارسلنا اليك متسائلا :
اذا كنت فارسا مجازفا جدا
لتبقى هنا كل هذه الليلة (٦٩٠٠)
حتى الغد عندما يظهر ضوء الفجر في الجر
وعندها ستتخلى عنك السعادة
لانه من أجل فرسانك الشجعان وباروناتك
لن يعطيك زرين سميكين
وسوف يأخذك بقوة اليدين (٦٠٩٥)

- ٤٣٤٨ -

لأن ليه رجال من أراض كثيرة
من مصر ومن تركيا البعيدة
ومن اليمن ومن شبه جزيرة العرب
ومن بلبيس والذوبة
(٦٩١٠) وفرسان شجعان جسورين للدفاع عنه
من مصر ومن سورية
ومن الهند وكبدوكيا

ومن فارس ومن خراسان
ومن نابلس ومن القاهرة
مائتا فارس دون وزن
انضموا الى خمسمائة من عند السلطان
والارض المحيطة تحمل بالكاد
الناس الذين جاؤوا الى هنا اذا جرؤت
وبناء على نصيحتنا ارجع واقم على مقربة من قلعة يافا
القوية (٦٩٢٠)

فهناك يمكن ان تكون في امان
حتى تبعث في طلب تعزيزاتك
واذا رأيت أنه ليس في امكانك أن تصمد
عد مرة اخرى الى بلادك
(٦٩٢٥) وهكذا يمكنك ان تهرب من هذه الافعال
عد الى ارضك بالبحر
وفي غضبه امسك ريتشارد برغيف
وبيديه مزق قشرته عنه
وقال لذلك المسلم :

(٦٩٣٠) « ليعطيك الرب ضربة مشؤومة !
انت وسيدك صلاح الدين
وليشنقك الشيطان بحبل !
على نصيحتك وانباؤك
وليجلب الرب لك نهاية كئيبة !

- ٤٣٤٩ -

- (٦٩٣٥) والآن اذهب وقل لصلاح الدين
اني على الرغم من ارادة ربه
ساقيم هنا كل الوقت
مع انه سيأتي هنا صباحا
ارجو ان تخبره اني في الغداة سوف
(٦٩٤٠) اخمر له شرابا من الاسى الدموي
واذا جاء ذلك الكلب الي
ستكون بلطتي القوية هي عقابه المحزن
واخبر سيدك اني اتحداه
هو وكل صحبتة اللعينة !
(٦٩٤٥) اذهب الان بسرعة واخبره هكذا
ان عليه اللعنة من يسوع العزيز!
وذهب الرسولان الى صلاح الدين
واخبراه بكل ماجري حيث كانا
فدهش الامير ثم بدأ يقول :
(٦٩٥٠) ان الملك رتشارد ليس رجلا ارضيا :
فهو اما شيطان او قديس
فقوته كما أرى لاتضعف أبدا
وعلى الفور بدأ يعطى أوامره
(٦٩٥٥) ركب تلك الليلة تجاه حرس رتشارد
ليأسر ملكنا الطيب رتشارد
واخذ هذا من ملكنا قليلا من الاهتمام
ونام كل الليل هناك
حتى تخلى الليل عن مكانه للفجر
(٦٩٦٠) عندئذ سمع صرخة حادة تآلفت الانتباه
اذ جاء ملك من السماء برغبة من الرب
وقال له بنصيحة جريئة :
« قم واركب جوادك فافل
وعد مرة اخرى الى قلعة يافا !
(٦٩٦٥) لقد استرحت فترة كافية !

- ٤٣٥٠ -

ستجد طريقك وعرا !
قبل ان تصل الى تلك المدينة
سوف تهاجم انت وبطانتك
وبعد المعركة اوقف هذه الحرب الصليبية
واعقد صلحك مع السلطان (٦٩٧٠)
ابرم هدنة ودع جماعة باروناتك
يتابعون سيرهم لاداء حجهم
الى الناصرة وبيت لحم
والى الجبلية وبيت المقدس
ثم دعهم يسافرون بعدئذ نحو أوطانهم (٦٩٧٥)
وعد بعدهم مع رجال بحريتك
لان لك اعداء كما اعرف
هنا وفي ارض موطنك
« قم » قال الملك ، « وبادر بكل سرعة !
لم يكن لك ابدا حاجة أعظم ! »
وعندما سمع رتشارد قول الملك
قفز فوق فافل حصانه الجيد
وصاح بصوت مرتفع ، « ربي العزيز
الذي استندفرتنا جميعا من اجل يسوع الحبيب ! »
وذبح بوقه وصاح « لانتظروا ! » (٦٩٨٥)
بيد انه تقريبا بدأ متأخرا جدا
لان صلاح الدين وكل حرسه
كانوا بين يافا والملك رتشارد
وهناك جاء من الظلام
ليتغلب على الملك رتشارد (٦٩٩٠)
وسبب هذا لريتشارد الما شديدا
لانه لم يعد بإمكانه ان يرتد الى حشوده :
ولكنه مضى قدما فوق حصانه فافل :
وامسك برمحه جيدا وباحكام
وبذلك قتل وهو على حصانه القوي (٦٩٩٥)

- ٤٣٥١ -

ثلاثة ملوك سمر من قوات السلطان
وكان حصانه قويا وسلاحه جيدا ،
ولم يصمد امامه حصان ولا انسان
وضرب بقوة على رؤوسهم
حتى انهم سقطوا على الارض ميتين كالحجارة
(٧٠٠٠) وكل من رأى هدوءه
سيحتفظ دائما بذكراه
وهاجموه بكثافة البراغيث
كما يفعل سرب نحل الخلية الغاضب
وكذسهم عن ظهور خيولهم الى الارض
(٧٠٠٥) كما يفعل الدب في الغنم
وبدا الرجال الانكليز والفرنسيون الركوب ملتصقين على ان يكونوا
بجانبه ،
وعلى المسلمين تسابقوا بلا توان
بسيوف مكشوفة ورماح قوية
(٧٠١٠) وانزلوا الضربات بكل قوتهم
وقتلوا المسلمين مباشرة
ولكن هذه الوفيات كانت ذات عون ضئيل
لان اعداد كبيرة جدا من المسلمين اصطفوا هناك
وكان الذبح في هذه المعركة
(٧٠١٥) لا يمكن ان يرى مثله في اي ليلة اخرى
وكان هناك مستنقع خارج اسوار يافا
بعرض ميل واحد اجمالا
وعلى الرغم من كثرة المسلمين فان سيدنا ريتشارد
دفع بثلاثة الاف منهم الى المستنقع
(٧٠٢٠) وهناك استطاع المسلمون ان يروا رجالهم
كالبجع يقعون في شرك المستنقع
واولئك الذين تحرروا خارجين
اجبرهم ريتشارد غاضبا على الرجوع
(٧٠٢٥) فممنهم من غرق ومنهم من قتل

وفقد السلطان من مملكته
ستين ألف رجل وحصان
كما قيل في مصدرى الفرنسي
وركب الملك رتشارد حصانه مرة أخرى
ليساعد رجاله بالقوة والعزم (٧٠٣٠)
فمرة هو هنا ومرة هو هناك
ليرشد رجاله بسيفه المشرع اللامع
ولم يحدث قبلا ، كما سمعت يقال
ان قمع رجل واحد مثل هذه الكثرة من المسلمين
وفي وسط الخطر هناك (٧٠٣٥)
راى الملك رتشارد في يأسه
عمه السير هنري الشمباني
يسقط من على فرسه على ارض السهل
وهاجمه المسلمون وهو راقد هناك
ليقتلوه وهو في يأسه العميق (٧٠٤٠)
وكان سيقابل في ذلك اليوم وجه ربنا
مالم يأت الملك رتشارد بصوت مثل الرعد
« ياربى العزيز ان هذا الفعل لن يسرك !
اذك هذا اليوم يجب ان تقي عمي (٧٠٤٥)
من هؤلاء المسلمين الكريهين في الميدان »
وصاح : « يا فرساني يقع على عاتقكم الان »
ان تجعلوا هؤلاء المسلمين الفاسدين مكروبيين
وسوف اقود بنفسى هذه المعركة
اذا عض رأس فاسى المسلمين (٧٠٥٠)
راقب الرجال هناك عزمه وقوته
كيف هدر دم المسلم والمخ
فوق هذا الميدان الذي كان اخضر ، في ذلك اليوم
وبعث بالمسلمين على طريق الشيطان
بالضربات التي اشتراها المسلمون (٧٠٥٥)
ويمكن للمرء ، ان يرى اين قاتل رتشارد

- ٤٣٥٣ -

وجاء فرسان الداوية ليساعدوه في تحطيمه
وبدا هناك صدام قوي :
فكالموا ضربات قوية وجيدة
حتى سال الوادي بالدماء (٧٠٦٠)
وكان لونغسباي فارسا صنيديا
ولدى ازدياده غضبا ، بدأ في القتال
وكان فولك دويلي يقاتل ايضا
وكذلك توماس مولتون بشدة
وحيث ركب هؤلاء الصليبيون انفسهم (٧٠٦٥)
شقوا بالذبح ممرا عريضا
حيث يمكن لاربع عربات كبيرة ان تسير متجاورة
وجمعوا عددا كبيرا جدا من المسلمين
ومات على كلا الجانبين العديد من المقاتلين
الاقوياء الجسورين ، ولم يعد من مزيد للركوب (٧٠٧٠)
واخيرا وبألم شديد
انقذ الملك ريتشارد ايرل شامبين
وساعده على العودة الى ظهر حصانه
الذي كان قريبا منه ليأتي حاجته ،
وجعله يعدو بجاذبه (٧٠٧٥)
وان لا يبتعد عنه قدما واحدا
وجاء مبعوث بخد متورد
وسأل عما اذا كان ريتشارد هناك ليتحدث اليه
وقال : ياسيدي العزيز ، من اجل الاحسان
عد على الفور الى مدينة يافا ! (٧٠٨٠)
ان كلا من الجبل والسهل قد غطيا :
الملك الاسكندر والملك شارلمان
لم يواجها ابدا مثل هؤلاء الاعداء ، يامولاي
كما ان المدينة محاصرة الان
وقد اشعلت الابواب كلها بالنار (٧٠٨٥)
وتراجع رجالنا من الحرارة

- ٤٣٥٤ -

ولا احد يستطيع الركوب داخلا او خارجا
سيدي لقد اصبحوا في شك كبير حولكم
لانه ربما لن يمكنك الركوب الى المدينة
لان عددا كبيرا جدا من الاعداء باقون في الحقول ! ٧٠٩٠
ويجب ان احذر بلا توقف او انقطاع
من ان حملتك كلها ستكون في خطر كبير
والبطريك في ايديهم

وجون دي نسل ميت على الارض
ووليم الارسوري والسير جيرارد
وبرترام برانديز ، اللومباردي الطيب
كل هؤلاء قتلوا وعديد اخرون !
وشعر الملك ريتشارد بقلبه يزداد الما
وصاح يجب ان نذسابق الى يافا
كل رجل باسلحته في المكان ! (٧١٠٠)

واحتشد الوف من المسلمين امامه
بسيوف عريضة ورماح قوية :
وبصوارم وأعمدة قوية
ودفعوا الملك ريتشارد بينهم وحولهم
فقتلوا فافل من تحته (٧١٠٥)

وعندها تجهم ريتشارد وغضب
وسحب بلطته القوية بيده
وقتل بالحال ذلك المسلم نفسه
الذي قتل جواده النبيل :
وعليه فقد حياته في الواقع (٧١١٠)

فحارب على قدميه في كل جانب
ومات العديد على يديه هناك
كل ما امكن لبلطته القوية ان تضربه
وقتل خيولا ورجالا مباشرة
بعضهم من امامه وبعضهم من خلفه (٧١١٥)

الف واكثر كما وجدت في كتابي
قتلوا هناك وهو على قدميه
ولم يعاونه احد ، وهو يلقى بهذه الضربات
وبدا ابنا صلاح الدين في الركوب
وركب عشرة الاف مسلم بجانبهما : (٧١٢٠)
وصاح احدهما بصوت عال للملك ريشارد
« استسلم الان ، ايها اللص والجبان الكريه !
والا سأقتلك في هذا المكان !
وصاح ريشارد انت تكذب ، بنعمة الرب !
وببلطته ضربه فعلا ، (٧١٢٥)
فشق ذلك الفارس المسلم الى نصفين
وسقط نصف جسده على الارض
وكان النصف الاخر مايرال في حزام السرج
وقال ريشارد : « منك انا آمن
وركب الآخر ليستولي على حياة ريشارد
(٧١٣٠) وفوق جواده وباندفاع مخيف
معتقدا انه سيسحق رأس الملك ريشارد
واصابه بجرح من خلال درعه السميك
وسبب هذا للملك ريشارد كثيرا من الالم بات عليه تحمله
ف فوق سنان الرمح سم كرية (٧١٣٥)
واعطاه الملك ضربة قوية جدا
وسقط ذلك الرجل وحصانه قتيلين على الارض
فقال له « ارقد هنا ايها الكلب الكافر !
لن تتمكن ابدا من نقل الاخبار الى صلاح الدين
انك سببت لي فقدان حياتي ! » (٧١٤٠)
وركب خمسة امراء من المسلمين نحو ريشارد
ومع كل حشدهم ابدوا كراهيتهم
واحاطوا بملكنا النبيل
واعتقدوا انهم جلبوا له موته
(٧١٤٥) والملك ريشارد في قليل من الوقت

- جازى الامراء الخمسة على جريمتهم
ومئات عبيدة اكثر بجادبهم
من حشود المسلمين الذين ماتوا حوله
واخيرا مع انه كان متأخرا
(٧١٥٠) حارب الملك ريتشارد نحو بوابة يافا ؛
وعندها شعر رجالنا المسيحيون بالامان
وانهم امام الاعداء يمكن ان يصمدوا طويلا
واحضر ايرل ليستمر ، وسيرروبارد
للكنا رتشارد جواده ليارد
(٧١٥٥) وركب رتشارد بقفزة قوية
وطارد المسلمين كما تطارد الذئب الغنم
طاردهم رتشارد حتى جن الليل
وكل من لحق به ضربه
وكان هناك قتلى من المسلمين
(٧١٦٠) الف الف من الرجال المسلمين
وفي تلك الليلة والحق اقول رتشارد
قفل عائدا الى يافا شاعرا بالسرور
وشكر الحبيب يسوع ، ملك المجد
وامه على هذا النصر ؛
(٧١٦٥) حيث منذ بدء الخليفة
لم يربح مثل هذه الحرب المجيدة ابدا
وعند الفجر ارسل روبرت سابويل
والسير وليم وبيترول
وهيوبرت وروبرت تورنهام
(٧١٧٠) وولتر جيفورد ويوحنا مقدم الاسبتارية
ورجاهم ان يقولوا لصلاح الدين
« انه ضد خمسة وعشرين رجلا
يمكنه ان يقاتل في ارض الميدان
ليحمي حق مولانا العزيز
(٧١٧٥) فاذا ربح ، فانه عندئذ يأخذ الارض

- ٤٣٥٧ -

لتبقى الى الابد في ايدي المسيحيين
واذا امكن للمسلمين ان يقتلوه
تحكم الارض بطريقة السلطان
واذا لم يوافق السلطان
قولوا : « لثلاث سنوات ، وثلاثة شهور وثلاثة ايام ٧١٨٠
اطلب هدنة من السلطان
لأسافر إلى الوطن وأعود مرة أخرى
وبدا الرسل يركبون
وطلبوا من السلطان ان يقرر
هو لم يكن ليقتل ريتشارد : (٧١٨٥)
فقط خمسة وعشرون ضد قوة ريتشارد
قادما وعند الفجر إذا ركب ريتشارد
يذبحي ان تبدأ هذه الهدنة بينهما
هكذا اخبر الرسل
واخبروا ملك الصليبيين (٧١٩٠)
وعند الفجر ركب السلطان في المقدمة
ليعد الهدنة مع الملك ريتشارد :
بعد انقضاء ثلاث سنوات من عودتهم الى بيارهم
من عكا كل من سيقدم الى هناك
ثم بعد ذلك لكل السنوات الثلاثة ٧١٩٥
الرجال المسيحيون من بعيد وقريب
يتخذون طريقهم الى بيت المقدس
الى الضريح والى بيت لحم
والى جبل الزيتون والى الناصرة
والى عمواس بنفس تقى (٧٢٠٠)
ولا احد على طريق الحج
سيعاني من الازى او الضرر الحزين
ملكنا ريتشارد قوي اليد
انعطف عائدا باتجاه بلاده الى انكلترا
وحكم ملكنا الشجاع هنا (٧٢٠٥)

- ٤٣٥٨ -

ليس اكثر من عشر سنوات ماجدة قصيرة
ثم بطريق الخيانة اطلق عليه سهم
في قلعة غيلارد من خلال مؤامرة شريرة
هكذا انتهى رتشارد ، اشجع ملوكنا
(٧٢١٠)
ليمنحنا الرب جميعا نهاية طيبة
ولتستقر روحه هادئة وصادقة
وارواحنا كذلك عندما تأتي الى هناك آمين

المحتوي

- ٣ - توطئة
- ٧ - نشيد رولاند
- ٩ - مدخل الشعر
- ٣٦ - الصورة الاقطاعية
- ٣٨ - التابعة الاقطاعية
- ٣٩ - العلاقات والامارات
- ٣٩ - الفروسية
- ٤١ - احكام المعركة
- ٥٠ - نشيد رولاند (النص)
- ١٨٩ - ملحمة رتشارد قلب الاسد